قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتذكر [illegible]
حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليك اعتمادي

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا
وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول
وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم
ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات
وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان
بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على
انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم
بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة
عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم
بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد
زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من اوحي اليه
حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي
ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى
جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية و
اقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع
الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع
فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد
وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف
معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا
اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في
يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما
يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير
الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان
برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ
القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي

وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك
الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم
المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما
همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من
سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا
ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها متنبها
على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا
غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه
ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين
بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من
الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا
الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت
فأبوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء
على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من
رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على
علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان
كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة
نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله فتوجهت
تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور
على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من
نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام
شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن
مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه
كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه
والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت
بي العلل ورأيتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب
فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله
وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة وما هي الا آية
من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله تعالى ان يجعل ما تعبت
فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسئول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على
المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد
وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها
تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم
من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من
السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب
ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها
اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها
السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها
وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت
الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقرو كما ان المسافر اذا
حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح
وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق
الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في
الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست ونكحت ومنه قوله فقلت
الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا قلت
لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون
باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء و
ذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للا
ختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك
فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم
فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم
بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع
واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله صلى الله عليه وآله كل امر ذي بال لم يبدأ فيه
باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني
ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك
قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب
واحسن فان قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد
كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من
القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه

ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة
التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال
لام الاضافة وباؤها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء
فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا
نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها
بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء
المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه
من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر
وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في
قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط
لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه
طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره
الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف
التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل
والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم
غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما
الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله
كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم
غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد
كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها
صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق
قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام
تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح
فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم و
اطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران
من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة
ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة
المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا

من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل
منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا
اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران و
العيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة
في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه * وانت غيث الورى لا زلت رحمانا * فباب من
تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا قلت أقيسه على اخواته من بابه
اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك
ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة
بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس
على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنه الرحم لانعطافها
على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره و
معروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى
الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم
وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف **الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين** والحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من
نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى
النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال * افادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير
المحجبا * والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الحمد
رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على
موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من
الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه
الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى
الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها
منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة
المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه
قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم عليه السلام حياهم
بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه و
المعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف

تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك
وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من
بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري
الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال
والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة
تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم
حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن **الرب** المالك
ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن
تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة
كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن
علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض
فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون
صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على
المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك
اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين
تدان وبيت الحماسة * ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا * فان قلت ما هذه الاضافة قلت
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت
فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا يكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة
للمعرفة قلت انما يكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير
الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد به معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس
او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو
المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف
التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد
لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله
اياك نعبد واياك نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء

واليا. في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون وما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف اليا. واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء. قال طفيل الغنوي شعر فهياك والامر الذي ان تراحبت. موارده ضاقت عليك مصادره. والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات شعر تطاول ليلك بالاثمد. ونام الخلي ولم ترقد وباتت وباتت له ليلة. كليلة ذي العاير الارمد. وذلك من نباء جاءني. وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا الصراط المستقيم هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي عليه السلام وابي رضي الله عنه اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا السراط بالسين من سرط الشيء اذا ابتلعه لان يسترطه

السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاء وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهي ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فايدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدة التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله ع ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي عليه السلام انهما قرا وغير الضالين وقرا ايوب السختياني

آمين

ولا الضالّين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جانّ وهذه لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شابّة ودابّة. آمين صوت سمّي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلمّ اصوات سمّيت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مدّ الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وآله لقّنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن انه لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور منه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفّل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قرأ ولا الضالّين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لأبيّ بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه الصلوة والسلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبيّ من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

اعلم ان الالفاظ التي يتهجّى بها اسماء مسمّياتها الحروف المبسوطة التي منها ركّبت الكلم فقولك ضاد اسم سمّي به ضه من ضرب اذا تهجّيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسمّيات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي في عدد حروفها مرتقية الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلّوا في التسمية على المسمّى فلم يغفلوها وجعلوا المسمّى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسمّاها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقّك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب باط ولو اعربت ركبت شططا

فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلّا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين

قلت قد استوضحت بالبرهان النيّر انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم

متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا تقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دلّ على معنى في غيره وهذا كما ترى دالّ على معنى في نفسه ولانها متصرّف فيها بالامالة كقولك بآ تآ وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نصّ في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها

فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء أمعربة ام مبنية

قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسّها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين

فان قلت فلم لفظ المتهجّي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مدّ فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيّل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء

قلت هذا التخيّل يضمحلّ بما لخّصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجّاة ومدّت حين مسّها الاعراب ان حال التهجّي خليقة بالاخفّ الاوجز واستعمالها فيه اكثر

فان قلت قد تبيّن انها اسماء حروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسورة

قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السورة وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حدّ ما لا ينصرف باب اسماء السور وهي على ضربين احدهما ما لا يتأتّى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتّى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتّى فيها ان تفتح نونها وتصيّر ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكيّ ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجّاد وهو شريح بن اوفى العبسي

شعر يذكّرني حاميم والرمح شاجر ❊ فهلّا تلا حاميم قبل التقدّم ❊

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث ❊ والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى

كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال شعر
وجدنا في كتاب بني تميم • احق الخيل بالركض المعار • وقال ذو الرمة شعر سمعت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعي بلالا • وقال الاخر شعر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي • وروي
منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون
مفتوحات قلت الاوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم
وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال
حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها
وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم قال ذو الرمة شعر الا رب من قلبي له الله ناصح • وقال الاخر شعر
فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين القسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل
في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان
الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك
مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون
الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه
بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن
اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو القسم لا يجوز
الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا واسيل
فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو
للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما رووا عن ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه
قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين
والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع
في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء
فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى
القسم قلت لا ابعد عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في قوله عز وعلا
حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه

واما قوله صلعم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الباء
لليمين واضماره فان قلت فما معنى تسمية هذه السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان
المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على
صورة الحروف انفسها لا على صورة اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسما
ويقع في الكتابة الحروف وانفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح و
ايضا فان شهرة امرها واقامة الالسن الاسود والاحمر لها وان اللافظ غير متهجاة لا
يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر بالبال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بنى
عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ
وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود
هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران
وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم
كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم
يتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان في القصيدة والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت
بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم
يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر
وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصر القول الاول ان يقول ان القران
انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوزوا
ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم
والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول منقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده
اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا
نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله
ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل
باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها

اسما للهاء وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها قلت لما جرى الكلام على اسلوب من يقصد
التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا استفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل
المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة
اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا
على طريق حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب
التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي
بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر
وبين التسمية بطائفة من اسماء الحروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما
تسمية السورة كلها ببعضها فلست بضعين الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف
بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولك صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم
مؤلفا والمسمى مفردا وللوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب و
تعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة
كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله
حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة
بها ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة
من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح
من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين و
الحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت
في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان
فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة
نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن
الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم
والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة
نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والياء والسين والحاء والنون والقاف والياء ومن المستعلية نصفها القاف

والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء و
العين والياء والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء
ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الله الذي دقت في كل شيء حكمته وقد
علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته
فكأن الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من
التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم
اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه
الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان و
السجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان
المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في
الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب
به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت
اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين
والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق
على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على
طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز
ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة
بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا
الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده
زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض
التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذلك
بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت فما بالهم
عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة
السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص
آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها
وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان و
كهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين و
من عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية
قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت

ما حكمها في باب الوقف قلت توقف على جميعها وقفا التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسورة ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قايلا الم الله اى هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كساير اسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداء وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني شعر نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتداء ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتداء وخبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتداء محذوف اى هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي عليهما السلام قال سمعت رسول الله

زمان النسبة كما في الامثلة المتقدمة وربما يميز زمان اثباتها كما في هذين المثالين ثم المجاز باعتبار المآل قد يكون بطريق المشارفة كما قيل قتيلا فانه قبيل حقيقة حيث تعلق القتل به بلا تراخ وكذا الهلال غير محال بعد وقبل الغالة وقد يكون بطريق الصيرورة مجردا عن المشارفة كما في قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان الاتصاف بالفجور والكفر متراخ عن تعلق الولادة بالمولود فقد ذكر المصنف بقوله ومنه فهذا قيل تفريع على الرواية الثانية اي اذا اريد بالمتقين ما ذكر فلم ترك الحقيقة الى المجاز واي فائدة في العدول والجواب ان فيه فائدتين الاختصار الذي هو من قبيل ايجاز القصر [illegible] تصدير السورة المعظمة بذكر اولياء الله رعاية لتحسين المطلع والمراد بقوله على الطريقة التي ذكرنا طريقة المشارفة لا انها المتفرع بما فيها من ظن المنسب لمعتقد هم انه مصيرهم الى الهدى وما يليه ان يكون بطريق الصيرورة فلا انه اشارة اليه واخفاء المشارفة لكونه اوفق لما ذكر من صفات المتقين

[illegible]

صلى الله عليه وآله يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة
اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن
له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه
انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه انما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة
له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله
ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما
عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل
تتم للمعارضة او تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في
ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان
المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب
لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول
كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب
فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه
والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان
ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة
الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح
كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى
الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت لم قيل هدى للمتقين والمهتدون
متقون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو
ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند
مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلعم من قتل قتيلا فله سلبه
وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الكفر والفجور فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق
علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان
يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى

بعد الضلال فاختص الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرها فقيل هدى للمتقين وايضا
فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول
المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه
ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة
الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل
الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن
لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر ومحل
هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا
جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة
او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله
الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية
ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب
حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا
بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة
وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم
اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب
الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض
بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب
على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد و
ايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله و
توفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** الذين
يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين
يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك
على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما
فان قلت ما هذه الصفة اواردة كشفا وبيانا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير ما
فائدتها ام جارية على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان

ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها و
ذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على
غيرهما الا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين
الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى فويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها
ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها
والتي اذا وجدت لم تتوقف اخواتها ان يقترن بها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين
العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون كبائر الاثم والمعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة
هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال
آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه
معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت
فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب
اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع
الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم
بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب
ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوبها
يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انخمصت واما ان يكون
فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف
الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان
يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها
والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة
والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله
فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن
اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في

فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز
وجل والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت
السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزاله سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس
فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد
والتشمر في ادائها وان لا يكون في موديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت
الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر
عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع
والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى
عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في
تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق
الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا
عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون
بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة
وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا
يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد
واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا
تاملت فان قلت والذين يومنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف
كما يوسط بين الصفات كما في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين
امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه
ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجسام
ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب
والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون وزعموا ان اهل الجنة مستغنون عنه فلا
يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم
في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين
ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد

بهولاء فيعا ولبك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا **قلت** ان عطفتهم على الذين يومنون
بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على ان مرتين من مومني اهل الكتاب وغيرهم وان
عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يومنون بما انزل اليك
فان قلت قوله بما انزل اليك ان عنى به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا
وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم
فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب **قلت** المراد المنزل
كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على
المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه
نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كله كانه قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا
ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا يريد بهذا
الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه لماضيه وقرا
يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف
حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث
الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الاخرة وهي من الصفات
الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله
دابة الارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه
فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه **شعر** لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذا اضاءهما
الوقود **اولئك على هدى** الجملة في محل الرفع ان كان الذين يومنون بالغيب فقد ذهب
به مبتدا والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين
يومنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين
واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه ان يقال فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يومنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال
المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصايصهم التي استوجبوا بها من الله ان
يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هذه عقايدهم واعمالهم
احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلعم الانصار
الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك هم اهل للمحبة وان جعلته
تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا
بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى

عاجلا او الفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجي تارة باعادة اسم من
استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة
صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري
الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتدا واوليك خبره قلت نعم على ان يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة محمد صلعم وهم
ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي
هو اوليك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت
لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان
يهلك ومعنى الاستعلا في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم
به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم
انهم منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير
والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يعرف كنهه ولا يقادر قدره
كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة
ويزيد وورش في روايته والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد
روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اوليك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة
لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو
انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اوليك
كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف
بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان فان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شي واحد فكانت
الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفايدته الدلالة على ان الوارد
بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره
او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان
المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من
اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التايب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين
ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم
لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان
زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك

ليبصروا مراتبهم ويرغبوا في طلب ما طلبوا وينشطوا لتقديم ما قدموا ويثبطوا عن الطمع
الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زيّنا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدّرت سورة البقرة بذكرهم والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت
له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء
والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما
قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبيّن أن الكتاب هدى
ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت
لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كقوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن
فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت
فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف. فإن قلت هذا إذا
زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته
بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب
المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له
في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن
يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث
عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر
لأن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو
عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم
في موضع الابتداء وسواء خبر مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لأن فإن قلت
الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام
المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني
ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب
اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل فالهمزة وأم مجردتان لمعنى
الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما
جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم
المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما

معلوم بعلم غير معين وقرئ ءأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية
بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام و
بحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا
قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده
وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء
طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف
الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس الانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت
ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم
والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه
والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على
الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما
الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم
عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين
المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله
على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نابر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه
بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص
على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر
بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما
اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير
العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف
تتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط
بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء عمل
في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته
بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب

ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التى هى فى خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بقلوب البهائم انفسها
او بقلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعى شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل فى تجافيها عن الحق
ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد فى نفسه من غير الله لله فيكون الختم
مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس
الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند
الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى
الرجل الاسد فى جراته فيستعار له اسمه فيقال فى المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفى
عكسه سيل مفعم وفى المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفى الزمان نهاره صائم وليله قائم وفى المكان
طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفى المسبب له بنى الامير المدينة وناقة
ضبوث وحلوب وقال ع اذا رد عافى القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم فى الحقيقة او الكافر
الا ان الله سبحانه لما كان هو الذى اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الايات والنذر
ولا تجدى عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق
الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم الله
ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض فى التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم
اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم فى التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه
الا بالقسر والالجاء وهى الغاية القصوى فى وصف لجاجهم فى الغى واستشرائهم فى الضلال و
البغى ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا فى اكنة
مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره فى الحكاية والتهكم قوله لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل
ان تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها فى حكم الختم
لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت
اى فائدة فى تكرير الجار فى قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع فى تعدية
واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم فى الموضعين ووحد
السمع كما وحد البطن فى قوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن
كقولك ثوبهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر فى اصله والمصادر
لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن فى قوله وفى اذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اى
وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابى عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائى عن
امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير فكان فيها كسرتين وذلك اعون شى على الامالة وان يمال له ما لا يمال
والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائى ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به

يبتصرو يتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستماع وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغُشاوة بالضم والرفع وغَشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالرفع والكسر وغشوة بالفتح والرفع وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه ينقع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا ترى أنك تقول في وزن قه افعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف يجعلون بعض أولئك والمختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع بين الفريقين معا وصيرهما

جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني ومقيدا في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ الخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله شعر واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة شعر إن الحليم وذا الإسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت

فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون
صورة صنيع الخادعين وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده
في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة صنيع المؤمنين
معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن
معتقدهم وظنهم ان الله تعالى ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه للايمان بالله نفاقا لم يكن
عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله
تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على
عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه
باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره
او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم
اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك
ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم
بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد
لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال
عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب
فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه
ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو اوجه ويخادعون بيان ليقول ويجوز
ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفعهم في ذلك فقيل يخادعون فان
قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم
عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنون
من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم
لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا
يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر
عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين
وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد
بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة بمعاملة المخادعين
الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه
اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك
يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم

بالاماني وان يراد وما يخدعون فيجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة
وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون
يخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل
للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها
بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس
الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدمته الجن وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر
واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهما ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس
فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه و
الآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز
ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر
الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي
لا حس له **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون**
واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض
والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها
واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت
الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من
الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلعم والمؤمنين غلا وحنقا
ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم
اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد
بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وآله اعف عنه يا محمد واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي
اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه
شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والخور والجبن لان قلوبهم كانت قوية اما
لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر
وضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما
لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب
وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله نصرت
بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا
به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما
اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا
في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا

وقلة طمعهم فيما عقدوا به رجاءهم وجنادعوا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم عم انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كان صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي ويروى مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متحير متوقف في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه وآله مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما يقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي اضحك وابكى والذي

اما ان واحيى والذي امره الامر ردّ الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم وكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف يصح ان يسند قيل الى لا تفسدوا والى آمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا تدعي بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او اراد عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم بانهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان بينهم قائما من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾

بيان هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين وليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار والباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه لرسول الله ثم اخذ بيد علي عليه السلام فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري مُلاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس لما خاطبوا به المؤمنين جدير بان يقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه عنهم وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزولوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت اني تعلق قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم

معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت وظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه تعالى متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد بذلك وقد كثر التهكم في كتاب الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم بالنسبة اليه استهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والامهال والاملاء قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام

كاملوله فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله تعالى
واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها
المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين و
الظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند
الى الله سبحانه وتعالى لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء
واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله سبحانه لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه
وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة
كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى
الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان
منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من
القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد
ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان
الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي عليهما السلام في طغيانهم بالكسر
وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت
فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم
وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى
يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند
اليه المد على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في
صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي
ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى
عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه و
منه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلكت ارضا عمهاء
لا منار بها اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر ومنه قوله اخذت بالجمة رأسا
ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل لم تفقهون لغير الله وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت
جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه و
استبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل

خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه
فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من
قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر
وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن
ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو
من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما
تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد
المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت
تريد المقدام ان لم تقم حالة دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع
مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت
هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق
المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء
ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطل وان جعلوه
كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل
ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه شعر
ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر
والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه شعر
فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام
اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المتين المحكم يريد اذا حردت و
اساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا
ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه
وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان
سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى
فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح
وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم
له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما
يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان
ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق

والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه شاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الآبي ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مِثل ومَثل ومَثيل كشِبه وشَبه وشَبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فإن قلت** ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً وكذلك قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن **فإن قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران الأول أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالاً بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذوات المستوقدين حتى يلزم منه تشبيه الجمع بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى

الأمكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور **فإن قلت** أين جواب لما **قلت** فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار **فإن قلت** فإذا قدر الجواب محذوفاً فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاماً مستأنفاً كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل ذهب الله بنورهم أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان **فإن قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني **قلت** مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في قوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى **فإن قلت** فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم **فإن قلت** كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريق المجاز المرشح فأحسن تدبره **فإن قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت **قلت** ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون **فإن قلت** فلم وصفت بالإضاءة **قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين ذهب به وأذهبه أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذاً لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة **شعر** فتركته جزر السباع ينشنه

ومنه قوله تركهم في ظلمات اصله في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل
عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها
تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد
والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا
من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم
يعمهون **فان قلت** فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** المراد ما استضاؤا به قليلا من
الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي
بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله
على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع
لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار
للتعظيم **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة
الى الحق كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك صم اذا
سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار **فان قلت** كيف
طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا
في الصفات وذاك في الاسماء والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام و
اضاء الحق **فان قلت** هل يسمى ما في الاية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته
تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث
يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه
لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير **شعر** لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام **شعر**
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا
ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق
بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج **شعر**
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة
المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون او يتاخرون
وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق
يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**

ثم ثنى الله تعالى شأنه فيهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف وايضاحاً غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ شعر يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته شعر اذاك ام عش بالوهبين اكرعه ام ذاك ام حاضت بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرء القيس شعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفته من الكد والتعب وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله

تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم لما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا ابالي اولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يليه الا ترى الى
قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا
بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد شعر وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ❊ لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة
زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت
اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم
يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر
بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت
للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب
عصيانهما فكذلك قوله تعالى او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي
هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلت
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال
للسحاب صيب ايضا قال الشماخ شعر وأسحم دان صادق الرعد صيب ❊ وتنكير صيب لانه اريد
نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسماء هذه
المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب
لا يكون الا من السماء قلت الفائدة انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق
واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله
تعالى واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ❊ ومن بعد ارض بيننا وسماء ❊ والمعنى انه غمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير
امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم
من يزعم انه يأخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد هو الصوت
الذي يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند
ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل
الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات
السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمة سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات
المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف
يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين
في الجملة فهما فيه الا ترى انك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت

هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري شعر يا عارضا متلفعا ببروده ❊ يختال بين
بروقه ورعوده ❊ وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين
في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى
الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان
المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجع الضمير
في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال تعالى او هم قائلون لان
المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم ❊ بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما
يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون
اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل
اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي
ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن
اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان
اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة و
السباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ
مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق
متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم كقولك سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد ينقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق فمات اما بشدة الصوت واما بالاحراق ومنه قوله تعالى
وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين
سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على
رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس
بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة
كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب
على انه مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره ❊ واعرض عن شتم اللئيم تكرما ❊
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة

احاطة الله بالكفرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطّف بفتح الخاء واصله يختطف وعنه يخطّف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي عليهما السلام يخطّف من خطّف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيّب وما هم فيه من غاية التحيّر والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد والمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس شعر هما اظلما حالي ثمّت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقه الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء

يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم يقول لشيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا والمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها كانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجد ترك الانتقال من الغيبة الى المواجهة هاز من طبعه ما يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه

فلا بدّ ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصحّ المقصود بالنداء والذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدريج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر النداء في كتاب الله تعالى على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم ان يقوم واما الكفار فلا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله تعالى اعبدوا شاملا للامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيء آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابن السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي عليهما السلام والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله شعر يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه

اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفائه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصرهم عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خزائن الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خزائن الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

قدّم سبحانه وتعالى من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم

وبالختم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن
لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر
على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو
على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد
الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها
وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن
الأرض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء
كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول
والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب
أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا فإن
قلت ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء
سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا
أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال
إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الا
ستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب
حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض
لشهادة قوله تعالى فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء
ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء
فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من
السماء من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز
أن يكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا فإن قلت فبم انتصب رزقا قلت إن كانت
من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج فإن قلت
فالثمر المخرج من ماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد
ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق
والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله تعالى كم تركوا من جنات
وثلثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم
صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل
رزقا إياكم فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا
ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك

أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات
فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أو خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه
فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي حفكم بهذه
الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء
والند المثل ولا يقال إلا نافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد
نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما
يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا إليها و
عظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على
مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع
عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي
ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه: أربا واحدا أم ألف رب أدين
إذا تقسمت الأمور: وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فإن قلت ما معنى وأنتم
تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد
والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء والفطنة
بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا
يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها ومفعول تعلمون
متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم العرافون المميزون
ثم إن ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من
التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الإشراك ويهدمه وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أن
من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على
ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وما يدحض الشبهة
في كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي أم هو من عند
نفسه كما يدعون بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء
جنسه وأهل جلدته فإن قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الإنزال
قلت لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
ذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند
الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل

وكفاء الحوادث وعلى سنن ما ترى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما وجد منهم
مفرقا حينا فحينا وشيا فشيا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات النازلة
لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسايله ضربة فلو انزله الله
لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة
واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور وايات شتى مفتريات و
هذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرى على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته و
السورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان
تسمى بسورة المدينة وهي حايطها لانها طايفة من القران محدودة محوزة على حيالها
كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتواء سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ، ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القاري
وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين
وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التي هي البقية
من الشي والفضلة منه فان قلت ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست
الفايدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وساير ما اوحاه الى انبيايه
على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور
بالتراجم ومن فوايده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله
ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشط للسير
ومن ثم جزى القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة
اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه
ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم
كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير
وملايمة بعضها لبعض وبذلك يتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد والمنافع
ومن مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز
ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت
معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن
هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل
ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير

حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة
اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير
بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا
وذلك لان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك
عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم
نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا
وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملايم
لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون
ادنى مكان من الشي ومنه الشي الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع
الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا
ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في
الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد اثنى عليه
بالشنا عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلم ينالك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا وبشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم
على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفايها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي
لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التبكيت بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليايه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة
والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء
في هذا الوجه جايز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا
بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه و
ادعوا شهداءكم من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحاكم وهذا تعجيز
لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم

الله يشهد انا لصادقون وقولهم هذا يستعجل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة ومن يعنى
العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا
من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين
اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس
الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله
تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا الاية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون
امر النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله
قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه وقد صرح الحق
عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على
اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه
الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي هو للوجوب دون ان الذي
للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان
العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم
على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه
ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل
واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول الموصوف اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت
والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه
الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات
وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا فان قلت
ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب
النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم
غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تقول انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى
الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين
عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو
به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله
فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم
انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم
بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق
رسول الله صلى الله عليه وآله واذا صح صدقه عندهم ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا

استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع المعاندة ونظيره ان
يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري و
افعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا
ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه
الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر
والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين
بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته الا به فكان نفس السليط
حيوته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار
الاخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او
سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في سورة التحريم نارا
وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم
وههنا معرفة قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت
هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها
ان اريد احراق الناس واحماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه واحماؤه وتلك
اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها
اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس
والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس
والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس فانذرتكم
نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا
وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت
الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما
وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى
الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من
دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم
بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم
واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة و
ذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو

المعنى الصحيح الواضح المشهود له بمعانى الثبت لما اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون من عادته عز وعلا فى كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصى وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون كل احد كما قال النبى عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلمة بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه قلت ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم وفى قراءة زيد بن على عليهما السلام وبشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرنى اخبرنى عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم قال الحطيئة بيت كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتينى والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اى فرق بين لام الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على الجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسية والجمعية فى جمل الجنس لا فى وحدانه فان قلت فالمراد بهذا الجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف

اغصانه قال زهير بيت تسقى جنة سحقا اى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر كانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وآله وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جرى الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شئ واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق والنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطاهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنان اشباه ثمار جنات الدنيا او اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار الدنيا اى اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه

قيل كلما رزقوا من الجنات من اى ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات و الرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف ورأى مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ولو ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى

فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل اللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وآله والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتشابه هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق التي عليها نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذن من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما للموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة شعر واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور ملت

والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي عليهما السلام مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس شعر الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم لا يبيت باوجال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله تعالى لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع

ولم يقل المتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سابق للمثل على
قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه واحتذى عليه وليبيان ان المومنين الذين عادتهم
الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا
التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حول مرتعه وان
ان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم
ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك
سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف
انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات
والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها
باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضرد من جرادة و
اضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ
البعوض وكلفتني مخ البعوضة ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان و
النخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر
منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي
لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن
اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد سوى
ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به
للمشركين المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله عز وجل هذه الاية و
الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة
يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي
لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياء من
كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت
كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث
سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه
تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه
وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل
بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان
يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو
فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام شعر من مبلغ افناء يعرب كلها

اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال
الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة
هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها
ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت
عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح وهو قول المتنبي
فيه • اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد • وقرا ابن كثير
في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون
استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن
وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك
اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه
قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة
صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما في تماما على الذي احسن و
وجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله
لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة
مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان
الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى
وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده للطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان
اقل من لا شيء في العدد ولقد الحرية قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له
بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه
وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق
البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد شعر
لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا • ومنه بعض الشيء لانه
قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها
فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو
القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك
تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم
كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من
البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذممت من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان بخل بالدرهم

والذهبي هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما تخلف فيه فهو الدرهم و
الدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شاب من قريش على عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة و
محيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه
السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما
ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما
دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر
منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها البصر الحاد
الا بتحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها
فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها
ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم شعر يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الاليل • ويرى عروق نياطها في نحرها • والمخ في تلك العظام النحل • اغفر لعبد
تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول • واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك
وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال
سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفايدتين بيان كونه توكيدا
وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين
كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم
حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر
اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما
بمعنى موصولا الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة
فتكون هو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجي على الاول مرفوعا وعلى الثاني
منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد يجوز عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المرئي
خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسلونك ماذا ينفقون
قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشي اذا طلبته
نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه

الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد
منا التي هي القصد وهو امر زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله
هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل
او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في
عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب
غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف
بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلمايهم فان قلت لم وصف
المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم والناس كابل مائة
لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين
يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا شعر ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب
لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن
دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود
فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما
يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة ع فواسقا عن قصدها جوايرا
والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي
منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء
وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر
المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل شهادته
ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من
الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ
وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم
العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان
في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل

اعتزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر
الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه
قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثقي عالم نقل هذا
الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الموثق و
عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه
والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت
فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه
عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم
بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه
من الكتب المنزلة عليهم كقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله تعالى في الانجيل
لعيسى صلوات الله على نبينا وعليه ساانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم
من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من
عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف
انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا ايام
عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وآله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما
كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد
الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد
خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به
عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد و
الميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد
ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل
قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن
هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من
يتولاه شبه بامر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شأن و
الشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثلها في قولك اتكفرون

بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير
جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير
جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما
قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل
والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي
يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد
علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات
كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان
يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الامير الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو
على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم
هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم
يحييكم بعد هذه الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض هذه القصة ماض وبعضها مستقبل
والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال
عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم
عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون
في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان الاستفهام في كيف للانكار
وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل لهم علم بالاحياء
الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول
العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم
اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك
لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتة وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به
الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت
لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ
واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ
عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات
بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين

جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم لكم لاجلكم ولانتفاعكم
به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما
فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها
لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب
والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق
والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء
التي تصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل
احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها
وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد الجهات
العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول
الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد
فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير
في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء
والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل
خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم
ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي
والمهلة قلت ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا
للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما
اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد
اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لا لان
جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق
منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو
الالتزاق واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم
ما لا تعلمون واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل
كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ

والخبر وهما قولك خليفة في الارض فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة
والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها
آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم
واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد
من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد
خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في الارض وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة
في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال و
يجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض
الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان
يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم
الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا
منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان
الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين
على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ يسفك بضم الفاء
ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض
والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد بحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك
ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم
ما لا تعلمون اي اعلم من الصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم
تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن
والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها وعلم آدم
الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم
باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب
من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون
على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف
المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى و
عوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء

لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم انبئهم باسمائهم فلما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء اراده للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء المكسورة فيهما **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على جهة التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر كان من الجن ففسق عن امر ربه **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة على وجه التوسعة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة بكسر الشين فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرؤها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب النهي **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر

الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن الاكل عن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عني مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة

فمن تبع هداى **فان قلت** فلم جى بكلمة الشك واتيان الهدى كاين لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لو لم ينزل كتابا ولم يبعث رسولا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التى اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغى والضلال ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التى هى اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون** اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقيل اسرائيل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به فى التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدى اى بما عاهدت عليه كقوله تعالى ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدى واوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه واوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياى فارهبون فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اى ابالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدى ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون** اول كافر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اى كل احد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحى اليه والمستفتحين

على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعنى من اشرك به من اهل مكة اى لا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وكقوله **شعر** فانى شريت الحلم بعدك بالجهل **تعبى** ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلعم فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذى كل كثير قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون** الباء التى فى الباطل ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشى بالشى وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتمونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى لا تلبسوا جامعين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن **فان قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم فى التورية ما ليس منها وكتمانهم للحق ان يقولوا لا نجد فى التورية صفة محمد عليه السلام او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفى مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين** واقيموا الصلوة يعنى صلوة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع فى صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعنى فى الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها اى الصلوة مع المصلين لا منفردين **أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون**

اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر
لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه
في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من
اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها
فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر
كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية
وفيها نعت محمد عم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه
وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان
تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين مشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب
وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية
والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن
سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا
على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال
فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل
الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان
يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال
الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي
امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت الآية واستعينوا لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر
للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي
يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه
يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون و
اما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين

والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله
فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف
حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت قرة عيني
في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واني فضلتكم نصب
عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله التي
باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل ولا هم ينصرون يوما يريد
يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا
من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا ومن قرا لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون
في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين
العائد منه الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي
تروحي اجدر ان تقيلي * اي ما اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري
مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير
ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع
وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه
الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء
الفعل للفاعل وهو الله تعالى عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة
قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها
شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع
قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة
ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها
لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يوخذ منها ولا هم ينصرون
يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي
كما تقول ثلاثة انفس واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل آل
اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم

وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتق تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم
يصف المختون شعر قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه . وقرئ انجيناكم و
نجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا
ابينا ان نقر الخسف فينا . واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب و
يريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى
سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده واقطعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله
يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاعفون قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف
كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا
فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ و
كان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ فرقنا فصلنا بين بعضه
وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء
لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت فما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد
انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط
بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا
لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني
على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون
ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وقال اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي
ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثُمَّ عَفَوْنَا
عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد
ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو
عنكم وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ الكتاب والفرقان يعني الجامع
بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان
من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق
البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ .

يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ حمل قوله
فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم
المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية
بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه
او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون
وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار
من ايديهم وكانت القتلى سبعين فان قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الاولى للتسبيب
لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم
من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان
ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان
يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب
عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي
خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي
برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله
ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم
حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها وَإِذْ قُلْتُمْ يَا
مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ قيل
القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك
جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها
على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما انتصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال
بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام
دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان
يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض
فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم
الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة
ما صعقهم اي اماتهم وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت

من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه
السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون
اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي عليه السلام فأخذتكم الصعقة **ثم بعثناكم من بعد
موتكم لعلكم تشكرون** لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد
ما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت **وظللنا عليكم
الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون** وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه
سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار
يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح
الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم
وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين** القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها
بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت
المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان
ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طؤطئ لهم الباب ليخفضوا
رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة
والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك والاصل النصب بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر
صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونستقر فيها **فان قلت** هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه
الكلمة **قلت** لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ
تغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم
كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة
**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون** فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا
بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله
وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا
به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا و
ما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا

اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز
عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب
وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون
الفا **واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين** عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما
للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة
اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي
امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه من الجنة فتوارثوه
حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل
اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه
معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب
حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى
ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر
ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس
الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان
يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ
عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها
كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون
وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد
فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه **واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتووا
ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت** ارادوا بالواحد

ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة رجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل
لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما
ضربان والحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما
نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس
كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي
اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل ادنى الذي هو
ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو
داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون
الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادناه بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي
انحدروا والبيه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين
بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه
مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة
والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف
عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب
وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه
فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان
حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم
من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد
قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام فان قلت قتل الانبياء لا
يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا
ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو
سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي
عليه السلام ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع
المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل
هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك
بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود
الايات وقتل الانبياء وذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم

عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا
بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين
تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين
وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من
هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم
الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع
ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان
والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول كما هي وفي الثاني فلهم اجرهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ اخذنا
ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال
لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه
ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا
خذوا واذكروا ارادة ان تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله
عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق
والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ ما آتيتكم وتذكروا
واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم
كونوا قردة خاسئين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان
ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج
خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال واذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض
هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء
وهو الصغار والطرد فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين
فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل

القبلة لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم
ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو
أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما
بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها **وإذ قال موسى لقومه
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن
أكون من الجاهلين** كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه
وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو الهزؤ
نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه
وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاء نحو كفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو
وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه
يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**
في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا
من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن
ندبة **شعر** لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق إليه ما تقوم على رجل * وكأنما سميت
فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف
قال ع نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت **فإن قلت** بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن أين جاز دخوله على ذلك **قلت** لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما
ذكر من الفارض والبكر **فإن قلت** كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة
إلى واحد مذكر **قلت** جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام
كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر
لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير
مجرى اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله * فيها خطوط من
سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق * إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت
السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه أن أسماء
الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله أمرتك
الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول به بالمصدر كضرب الأمير **قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها**

تسر الناظرين الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع و
وارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر
ومدهام وأورق خطباني وأرمك رداني **فإن قلت** فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع
توكيدا لصفراء **قلت** لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به
ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة و
صفراء فاقع لونها **فإن قلت** فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر اللون **قلت** الفائدة فيه
التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من
قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس
يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي عليه السلام من
لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء
شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر وقال الأعشى **شعر** تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون
ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها
وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله
عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم
ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي
نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني أضأن أم ماعز فإن
بينت لك قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت سوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا
تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته إن
البقر تشابه علينا أي أن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ
تشابه علينا بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة وقرأ محمد
ذو الشامة إن الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء الله والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي
علينا من أمر القاتل **قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي
الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون**
لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من
النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن
المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن يوصف
به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أي فيهم أو حيث هم وقرئ

تسقى بضم التاء من أسقى مسلّمة سلّمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلّمها أهلها منه كقوله
شعر أو معبّر الظهر ينبي عن وليّته . ما حجّ ربّه في الدنيا ولا اعتمرا . او مخلّصة اللون من سلّم
له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى
الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشياً وشية اذا خلط بلونه
لوناً آخر ومنه ثور موشّى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال
في أمرها فذبحوها اي فحصّلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا
يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برّاً بوالديه
وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وأمّه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة
اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي
تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا
المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخاً لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ
قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولاً لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع
الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالاً له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص ۵
وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون وإذ قتلتم نفساً
خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ
بعضهم بعضاً اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بان طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه
الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضاً عن البراءة والتهمة والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوماً فان قلت كيف اعمل مخرج وهو
في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلاً في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه
وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون والضمير في اضربوه
اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص او الانسان واما الى القتيل لما دل عليه من
قوله ما كنتم تكتمون ببعضها بعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل
البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى
روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دماً وقال قتلني فلان وفلان لابني
عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان
يكون خطاباً للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة
ويريكم آياته فان دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون لكي تكمل عقولكم وتعلمون على

قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الا
ختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطاباً للمنكرين في زمن رسول الله ص فان قلت
هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط
حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب
والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف
لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور
من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر
بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته
من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار
فتيّ السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئاً من العيوب يونق من ينظر اليه و
ان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رض انه ضحّى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له
وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء و
ليعلم بما امر من مس الميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص
على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها
وان يقال واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل
ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها
ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء و
ترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس
المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر
القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت
بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى
يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف
مع تأخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم قست
استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون
وصف القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر

فيها وذلك اشارة الى احيا القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة فهي كالحجارة فهي
في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى
او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش
بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى من عرف حالها
شبهها بالحجارة ~~او قال هي اقسى من الحجارة~~ بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها
شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة و
وجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل
اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل
عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وان من الحجارة بيان
لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها
قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن دينار ينفجر
يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الما
الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الما ايضا يهبط
يتردى من اعلى الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع
على ما يريد فيها وقلوبهم لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون باليا و
التا وهو وعيد **أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**
يعني اليهود قالوا قال المنافقون منهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به
واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صلعم وقال المنافقون لاعقابهم
يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون
المؤمنين وقيل كان اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا ترى انك تقول هو في كتاب الله
هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد **أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون**
يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا
ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان
اباهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة

خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون واذا لقوا

فقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب
في شي حدث به اهذا شي رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب
الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحرر ما يتمناه
وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ
اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين
قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى
بالتقليد والظن وهو متمكن **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** يكتبون
الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا
كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون**
اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة
آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
يكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة **بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون** بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى
تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من
الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم تنقض عنها بالتوبة
وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال يا
سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها
واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة **والذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم و
انتم معرضون** لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا
تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو
يخبر عنه وتنصره قراءة ابي وعبد الله لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه
ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان تقدر وتحسنون بالوالدين او احسنوا
وقد قيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء مجرى القسم كانه قيل واذ
اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله **شعر**
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان
لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا من الميثاق كانه

بل اخذنا ميثاق بني اسرائيل وتبعيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم
غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنى على المصدر كبشرى ثم
توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد بهم
الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية وإذ
أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم
ثم أقررتم وأنتم تشهدون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل
ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره
فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم
تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم
يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان
وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي
في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما
تعملون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون
اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشأن ويجوز ان يكون
مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء و
ذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه
واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم
واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان
لان عصيانه اشد وقرئ تردون ويعملون بالياء والتاء أولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فلا يخفف
عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة
ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم

ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا
اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير
من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وبال
عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال
وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان
فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه
آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح
القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال و
روح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب في
الارحام الطوامث فقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل اسم الله
الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم
فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت
به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويحتمل ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم
ففعلتم ما فعلتم ثم وبختهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد
استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحولون
قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلم
عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف
بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي خلقة
وجبلة مغشاة باغطية لا يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان
تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان
الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر
الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم و
للمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب
ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية
للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال
فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه
وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما
اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا
بالنبي المبعوث في آخر الزمان نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب
واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم
واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان
يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب
على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا
به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم و
هو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل وعلى ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو
الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم
كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة
ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما
معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم
بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى
بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا و
اشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع
الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في
قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به

ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب
اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح
في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس
لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي عليه السلام يطوف
بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت
سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد
من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وآله لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر
بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من
المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من
اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب
وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب
ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت
لم يقولوا لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء
على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت
ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع
احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجد
بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم
قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة
بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص
من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان

حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه
وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون
الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل
ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له
مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم
وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر
من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد
والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان
قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر
الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين روي
ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل
فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رض ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم
سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب
وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله
ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد وافقك ربك
يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل
وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل
بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه
عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان
صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته

على قلبك اي حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام
ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان
احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا
للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك الكتاب مصدقا لكتابهم وموافقا
له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته
له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن
قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني
العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان
الله تعالى انما عاداهم لكفرهم فان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة
وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وآله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية
فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون الواو في اوكلما
للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال
بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله
فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه
وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على
الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به

من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كتاب الله
يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله المصدق لما معهم كافرون بها
نابذون لها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا و
نبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان
ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي
كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب
يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والريح التي
تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت سليمان به من اعتقاد السحر والعمل
به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا
اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما
هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه
او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرف الشر لا للشر لكن
لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن
على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من
احد حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر
فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس
من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين
الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك
والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما
يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر

وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من
احد وقرئ بين المر بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري به بطرح النون والاضافة
الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل
الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد
القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم
حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله
خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه
من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت
كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات
المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل
لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم
آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم
آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا يا رسول الله وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه
وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو
في معناها وهو انظرنا من نظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله
بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين
من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن
لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما
يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وآله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود
حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم
ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم
تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية تذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بخير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن

اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وآله واخبراه فقال اصبتما خيرا فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء

وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء يصح ويعتدّ به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل وغيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدّق الثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس احد

من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية

ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو أمن ريحانة الداعي السميع

بمعنى السمع وفيه نظر لأن يكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام و
تمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق والمعنى ان ما قضاه من الامور
واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي
يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان
بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات
مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح **وقال الذين لا يعلمون لولا
يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم
قد بينا الآيات لقوم يوقنون** وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل
الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا
منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت
قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون
يوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها **انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم** انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر
على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم و
تصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت جهدك في
دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت
شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم
ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا
تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله
ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل **ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير** كأنهم قالوا لن نرضى
عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله م عن دخولهم
في الاسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم
عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى
وهو الهدى كله وليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى
الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم
اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون** الذين آتيناهم الكتاب
هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله

اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره
باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما
يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة وهي قراءة
ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل
يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق الضمير به
اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى
ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا
واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وكذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى
فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام و
اداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى
بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم
ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت
ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك
فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات
فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله
ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت والاسلام قبل ذلك في قوله
اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط
وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة
كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض
ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان
ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا
من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه و
شهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب

نصرة زيد بن علي عليهما السلام وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام و
الخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله
بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد و
ارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة
والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب ظلم ‌‌وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ
عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ
الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ و
البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه
ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ
مثابات لانه مثابة لكل الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا
من ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهي على وجه الاختيار
والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وآله انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وآله استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد
الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى
ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه
وهو الموضع الذي تسمى مقام ابرهيم وعن عمر انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه
قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته
عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه اي طهرا والمعنى طهراه
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه
غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين و
يجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين بمعنى القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع
السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اي
اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه
كقولك ليل نائم من امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة

ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم
صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف
الفرق بينهما لان الامامة استخلاف وخلافة تستحقها ويختص بها الا من ينتصح للرعي ويبعد الناس عن النصيحة
الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق
من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط
اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فالزمه الى عذاب النار لان المضطر الذي لا
يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره
بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا
ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم
اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره
وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد
من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك
ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة
الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف
قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق
ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ
يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان اسس قبل
ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان
من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من
ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك
بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان
رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنائه و
عرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه
جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام
الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود و
قيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في
محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك

انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا **فان قلت** هلا قيل قواعد البيت واى فرق بين العبارتين **قلت** فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد الابهام من تفخيم لسان المبين **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم** مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرى مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم **فان قلت** لم خصا ذريتهما بالدعاء **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرى وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** وابعث فيهم فى الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث فيهم محمد صلى الله عليه وآله قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابرهيم ومن سفه فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله **شعر** ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم اى فى ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطا راى من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله فى الدارين بان كان

صفوته وخيرته فى الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة فى طريقته منه **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه فى ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر فى الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** وقرى واوصى وهى فى مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير فى بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بنى على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه فى معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفى قراءة ابى وابن مسعود ان يا بنى اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع فى حال الصلوة **فان قلت** فاى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلوة وليس بمنهى عنها **قلت** النكتة فيه اظهار ان الصلوة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول فى الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا**

ونحن له مسلمون ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اى شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولى العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالآباء الها واحدا بدل من آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اى نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة ومعناها ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون بالتوحيد او مذعنون **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين** بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته كقول عدي بن حاتم انى من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد **شعر** ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم عليه السلام وهو على الشرك **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اى في مناوأة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك **صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل

فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغة الله وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده ثم نوصي في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة اي نحن له موحدون منهما نحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم

وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي شعر كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل ليكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب

أن نستقبلها الجهة التي كنت عليها أولاً بمكة يعني وما رددناك إليها إلا امتحاناً للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز أن يكون بياناً للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وأن استقبالك بيت المقدس كان لأمر عارض لغرض وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه **فإن قلت** كيف قال لنعلم ولم يزل عالماً بذلك **قلت** معناه لنعلمه علماً يتعلق به الجزاء وهو أن نعلمه موجوداً حاصلاً ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز وإن كانت لكبيرة هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة إلا على الذين هدى الله إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم وقيل من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك فنزلت لرؤوف رحيم لا يضيع أجورهم ولا يترك مصالحهم وحكي عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله إلا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته وأقرب الناس إليه وأحبهم وقرئ إلا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقاً عنها العلم كقولك علمت أزيد في الدار أم عمرو وقرأ ابن أبي إسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والأصل وإن هي لكبيرة كقولك إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد أترك القرن مصفراً أنامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليه أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل إليها لأغراضك

الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال وأطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون أنه الحق أي أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وآله أنه يصلي إلى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين** ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط أي بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق وما أنت بتابع قبلتهم حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلاً بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذاً لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق **فإن قلت** كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة **قلت** كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر أنه سأل عبد الله

ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبّل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن وتحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول ويعضده الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقاً منهم استثناء لمن آمن منهم او لجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي عليه انت اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبراً بعد خبر وان يكون حالاً وقرأ علي عليه السلام الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ان الله على كل شيء قدير ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة وقد وليها والمعنى لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة تصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون للمعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة الكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت

للسفر

للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلاً الى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي عليهما السلام الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبهاً فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشياً فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشئ بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وآله من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه و روى ان طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شئ يوذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشئ ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم بكل حال واخبر بالبلاء وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شئ او على الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة و اولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة تغليبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل نفي الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك لقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف فمن تطوع خيرا بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شئ عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا

فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله و من يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وآله والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة و المؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس الكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة واله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه

على الحياة على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة يريد لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر لتسخير الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وآله ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب أندادا أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له أي كما يحب الله على أنه مصدر من المبني للمفعول وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملتبس وقيل كحبهم الله أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام المجاعة والذين ظلموا إشارة إلى متخذي الأنداد أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذ عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول أو كل أحد وكذلك لرأيت أمرا عظيما وقرئ إذ يرون على البناء للمفعول وإذ في المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار إذ تبرأ بدل من إذ يرون العذاب أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع وقرئ بعكسه الأول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول أي تبرأ الأتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال أي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات أي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة

في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون حلالا مفعول كلوا أو حال مما في الأرض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول وقرئ خطوات الشيطان بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به إنما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم بالسوء والقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه فإن قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الإنسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لأنه لا ضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون

انهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله
الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن
ونعق الراعي بالضان قال الاخطل شعر فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي وهو رفع على الذم يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان
كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان
صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اني
والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري إنما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم وقرئ حَرَّم على البناء للفاعل وحُرِّم على البناء للمفعول و
حَرُم بوزن كَرُم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات
والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات
ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وآله احلت لنا ميتتان ودمان قلت
قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق
الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الوهم الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة و
التعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله
تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة
في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان
الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه
شحيم إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك
ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب أليم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه
الا النار لانه اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال ع اكلت دما ان لم أرعك بضرة
وقال ع يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا
يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء
عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه
وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل
الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض
لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من

هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى
وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم
الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه
ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من
الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم
اهل الكتاب لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله
نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر
وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا
لما جسروا على ان يكفروا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون البر
اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل
الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق و
ذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وآله الى
الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل
ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر
خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب
ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة
اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله
بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن
بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت شعر
فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ
ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه
مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا و
قيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى
لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى و
اليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له

كالمسكين للدائم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى تفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على ساير الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس ولان تلك والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وتروى انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى

عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه المشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه الصلوة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم ان يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي ارتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين

بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اذا احضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن عايشة ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعماية دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك وعن علي عليه السلام ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال الوصية فاعل كتب وتذكير فعلها للفاصل او لانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدو الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هو مخالف لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليه وان لا ينقص من انصبايهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر موكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان يرسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرايهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى الحق ذكر من بدل الباطل اثر من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يوثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء السالفة والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي عليه السلام اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصايم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء

وقال النبي صلى الله عليه وآله فعليه بالصوم فان له وجاء او لعلكم تتقون تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتبت على رسول الله صلى الله عليه وآله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب على الذين عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء او بعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويكثر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قايل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسيل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقايل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضايه ان شيت فواتر وان شيت ففرق وعن علي عليه السلام وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يوتى عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدو الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجايز وحكم هولاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه

ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم
فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرى فمن يطوع بمعنى يتطوع
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم ويجوز ان ينتظم
فى الخطاب المريض والمسافر ايضا وفى قراءة ابى والصيام خير لكم شهر رمضان الذى انزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون الرمضان مصدر رمض اذا
احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما
قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمى
شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع و
مقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض
الحر فان قلت فان كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء
فى الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وآله من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك
رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسى
حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذى انزل فيه القرآن او على انه
بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على
صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل
فيه القرآن ابتدى فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا
ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل فى شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما يقول انزل
فى عمر كذا وفى على كذا وعن النبى صلى الله عليه وآله نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس
وبينات نصب على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات
مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من جملة
ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة
بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر
فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا
به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك
ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض
والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل

محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم
من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا
نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما
عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين
على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل
يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت
لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير
يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون فانى قريب تمثيل
لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعى
اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وآله هو بينكم و
بين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى فى
حوائجهم وقرى يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم و
كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا
الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا
تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه
الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما
اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله انى اعتذر اليك
من نفسى هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اى
احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث
الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك
لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق
فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه هنا بلفظ الرفث

الدال على معنى الفتح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء
دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد
منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم فإن قلت لم عدي الرفث بإلى قلت لتضمينه معنى الإفضاء
لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه
قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فإن قلت ما موقع قوله هن لباس
لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون
أنفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه
زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم
الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء
ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي
كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله
لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة
القدر وما كتب لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الأبيض
أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود والخيط الأسود ما يمتد معه من غبش
الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو دواد فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان
للثاني ويجوز أن يكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله فإن قلت أهذا من باب الاستعارة
أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا
زدت من فلان رجع تشبيها فإن قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على
الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار أن تدل
عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان
تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة فإن قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى
قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا
يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته
فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروي إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد
الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وآله بقفاه لأنه مما
يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتني بعض البدويات بدوي عريض القفا
ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فإن قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد
الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط
الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنما

يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد
إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي
غير مرادة قلت أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي
وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد
منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد به ثم أتموا الصيام إلى الليل قالوا فيه
دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم
الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد
بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل
معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس وقبل فأنزل وعن قتادة كان
الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن
الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد
نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في
المسجد تلك الأحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فإن قلت كيف قيل فلا تقربوها
مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد
الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا عن
الطرف فضلا أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه والرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله
محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم
تعلمون ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا
تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة
الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه
قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له
على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقطع له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد
منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى الحكام على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم
داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أنكم على الباطل و
ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ يسألونك عن الأهلة قل هي
مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى
وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم

الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب لكن البر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما

تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب بها اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة

التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدلّ هذا من قول ابى عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله
ما حكاه سيبويه من قولهم التضرّة والتسرّة ونحوها فى الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال
اصلها التهلّكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلّك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجُوار
فى الجِوار وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او
صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد
فصيام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامّين
كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توانٍ ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على عليه السلام وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما
وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل و
قيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والاغراض
الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل فى
ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان يدل دليل على
خلاف الوجوب كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب
وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج
جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روى عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر
ان رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين علىّ اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد
نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما
وانهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل فى ذلك
على كونها قرينة له فى الوجوب واما حديث عمر فقد فسّر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما
واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبّر بالتطوع من الصلوة والدليل الذى ذكرنا اخرج العمرة من
صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى انك تأمر
بفرض وتطوع وقرأ على عليه السلام وابن مسعود والشعبى رضى الله عنهما والعمرةُ لله بالرفع كانهم
قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من
خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا فى سبيل الله وقال ابن ميّادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصرتك شغول وحُصر اذا حبسه عدو عن المضى او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير
وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صدّه واصدّه وكذلك
قال الفراء وابو عمرو الشيبانى وعليه قول ابى حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما
معتبر فى اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وآله

من كسر او عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر
واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرئ من
الهدىّ بالتشديد جمع هديّة كمطيّة ومطىّ يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون
بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فان قلت
اين ومتى ينحر هدى المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابى حنيفة يبعث به ويجعل
للمبعوث على يده يوم امار وعندهما فى ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا
ما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم
الخطاب للمحصرين اى لا تحلّوا حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى
يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابى حنيفة فان قلت
فان النبى صلى الله عليه وآله نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذى الى
اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله عليه وآله نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى
الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه
الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل والجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة
ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من برّ او نسك وهو شاة وعن كعب بن
عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لعلك آذاك هوامّك قال نعم يا رسول الله قال
احلق رأسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فىّ نزلت هذه
الآية وروى انه مرّ به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك
مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسْك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا
وكنتم فى حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب
بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حلّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى
ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة ويأكل منه وعند
الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم
بحجته فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج اى فى وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين
احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابى حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما
وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعى لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله
فى الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابى حنيفة وعند الشافعى هو الرجوع
الى اهاليهم وقرأ ابن ابى عبلة وسبعةً بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله
او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجىء للاباحة فى نحو قولك
جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة
وايضا ففائدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد
العلم وفى امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها

وان لا يتماوت ثمنا ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك
بمنزل الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابيّ فصيام ثلثة ايام متتابعات
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع
منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك
يأكلان منه وعند الشافعي الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد
الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا
تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اشهر معلومات
فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند
مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح
الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت
فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل
نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر
وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان
العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن ابن عمر انه قال للرجل ان اطعتني
انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا للعلماء من مذهب عروة جواز
تأخير الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على
خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه
عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق
ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء و
الخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير
في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ
المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين
على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك
ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون
بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة
فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله
عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير

يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق
البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم
حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى
الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني
ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباب فكأنه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم
وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من
العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون
من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا
فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال
له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه
عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل
كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم
في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله
افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر صب في
دقران وهو يخرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وخاضوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات
فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون
بالتاء التي في لفظها او بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي
قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها
كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت
تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل
حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان
الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس
الا ان يكون جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعد
وعن النبي صلى الله عليه وآله الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية و
التكبير والتهليل والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل
الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى

وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وآله لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلام من قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او وما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي عليه السلام الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب

مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلائق على قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت أليس التأخر افضل قلت ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وهو علم في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا

قلت بالقول اى يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاء المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ
الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذا في الدنيا
لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اى قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة
لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين قيل
كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة
الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض
ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض
باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل و
قرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح
اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على
الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد يشري نفسه
يبيعها اى يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في
صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله
واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان
زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم السلم بكسر السين و
فتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله واطيعوه كافة
لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم
وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما
تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا
بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه
كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله ان
يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف لانهم كفوا عن ان
يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج
والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القران

وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه
وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور اتيان الله اتيان
امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان
ياتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فاعلموا ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما
اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالجر كقوله هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت
لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر
من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث
يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر
على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث
والتذكير فيهما سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فان الله شديد العقاب سل امر للرسول او لكل واحد وهذا السؤال تقريع كما يسال
الكفرة يوم القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة
على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة
وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وآله فان قلت كم استفهامية
ام خبرية قلت تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته
قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
والله يرزق من يشاء بغير حساب المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه
وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها
او جعل امهال المزين تزيينا وتدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل
ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود
وعمار وصهيب وغيرهم اى لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية
لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء
عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء
بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون

وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه فإن قلت متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق إلا الذين أوتوه إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير

يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن يقع موقعها قال إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها على قوله وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي أمر كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به فان قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت وكفر في معنى الصد عن سبيل الله فالحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه لا فصل وكانه قال وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام هذا وجه والوجه الآخر ان موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية عليه كما في قوله ولم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قدم ولم يكن له لفرط العناية وكذا ههنا ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي صلوات الله عليه وآله لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء

اربعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شرب ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اشرب منه اوقية فاقطع قطعا احب الي من ان اقول لشيء حرام هو حلال ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال قول لهم بالشعب الذين يسرون اي يفعلون بهما يفعل الياسرون بالميسر فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وآله اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي عليه السلام ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما الكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب من نفعهما ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وهي بالسعي والنصب وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس

انما الصدقة عن ظهر غنى فى الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد فى النفقة او تتفكرون فى الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا فى عقاب الاثم فى الآخرة والنفع فى الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات فى امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم فى الحرج فقيل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اى ولا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الكتابيات والحربيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهى منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شىء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستأمره فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله وإماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعو الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة

بتيسيره ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين المحيض مصدر حاض محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو أذى اى الحيض شىء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعنى فاجتنبوا مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة وان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شىء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهى حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها ثم قال وهذا قول ابى حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انما قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطّهّرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت كل صلوة وذهب الشافعى الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اى فأتوهن كما تأتون اراضيكم التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اى شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا

مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين المدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وآله لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذي لا يعتد به

من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان تحلف على الشيء تظنه على ما حلفت عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة

ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن درجة والله عزيز حكيم المطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم

الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحوه من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل طهر تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم ينكر عليه روي ان جميلة

عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شى والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان فى الاسلام فان قلت لمن الخطاب فى قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهولاء ليسوا بآخذين منهن ولا بموتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والموتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها فى بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيا وقرى الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفى قراءة ابى الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وآله فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسنى فقال لها كذبت فى قولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجى الاول فقال قد عهدت

رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتنى بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول فى النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعى وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبى صلى الله عليه وآله انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شى عليم** فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضى الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن لتطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد فى الامر انما انت لاعب وهازى ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبى صلى الله عليه وآله ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون** فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب

به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة

وان قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل واحد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون

الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد

فانما امهات الناس اوعية ... مستودعات وللآباء ابناء

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا تراه قد ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا تكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نوى ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوزها وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها

احق بالتربية وهي اعطف على الصبي وقرئ ان اردتم ان تسترضعوا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعدّيه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره فأمرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير والذين يتوفون منكم على تقدير المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي عليه السلام والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي عليه السلام على ان امره بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن بالمعروف من التعرض للخطاب بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم فيما عرضتم به وهو ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغب فيها ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت قد غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال

او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فانكحن او تأبدا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستحيى لان مسارّتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تقول ان لا تسبقيني بنفسك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة

دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا تنقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شي قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير الا ان يعفون يريد المطلقات اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان يعفو ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقراها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة

اشد

اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي صلوة المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله

لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه نادِ فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على ان الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ نبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط

فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن الجهاد وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها

رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية فكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وقرئ يحمله الملائكة **فان قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت** الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد لاوي آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما **فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد وغيرهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو هذا من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون **فان قلت** مم استثني قوله الا من اغترف **قلت** من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة

في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا معه يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين** وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وداود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى اشمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة

او التى ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وآله تفضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم
فى الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ
كلم الله بالنصب وقرا اليمانى كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
اى ومنهم من رفعه على ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وآله لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يؤته احد من الايات
المتكاثرة المرتقية الى الف اية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتى الانبياء
لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما
لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا
فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه
بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه
ولو قال ولو شئت لذكرت نفسى لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولى العزم من الرسل
صلوات الله عليهم وسلامه وعن ابن عباس كنا فى المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته
وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وآله افضل
بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم
فذكرنا له فقال لا ينبغى لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها **فان قلت**
فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر **قلت** لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد
بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الايات فلما كان هذان النبيان قد
اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر فى باب التفضيل وهذا دليل بين على ان من زيد تفضيلا بالايات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وآله هو الذى اوتى منها ما لم يؤت احد فى كثرتها
وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو
شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم فى الدين وتشعب مذاهبهم
وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة **يا ايها الذين
آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون
هم الظالمون** انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتى يوم لا
تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى
يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان تحط عنكم ما فى ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم فى حط
الواجبات لان الشفاعة ثمة فى زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة
هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل
ترك الزكوة من صفات الكفار فى قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة **الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات**

**وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده
حفظهما وهو العلى العظيم** الحى الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين
الذى يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملى وسنان اقصده النعاس فرنقت
فى عينه سنة وليس بنائم اى لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك
استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام
ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما
فالقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء انى امسك
السموات والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم او نعاس لزالتا من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان
لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له فى الكلام كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
من علمه من معلوماته الا بما علم الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى قوله
وسع كرسيه السموات اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته
وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما
قدروا الله حق قدره والثانى وسع علمه وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم
والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك والرابع ما روى انه خلق كرسيا هو بين يدى
العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شىء وعن الحسن الكرسى هو العرش ولا
يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلى الشان العظيم
الملك والقدرة **فان قلت** كيف ترتبت الجمل فى آية من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة
الا وهى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير
ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق
وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت هذه الاية حتى ورد فى فضلها ما ورد
قوله عليه السلام ما قرئت هذه الاية فى دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم
منها وعن على عليه السلام سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسى فى دبر
كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة

ما في القرآن فقال لهم عليّ بن أبي طالب آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي سيد البشر آدم و
سيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال
الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت
لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور
أعظم من رب العزة فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها
منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه فإن العرانين تلقاها محسدة

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر
الإيمان على الإجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى
الأمر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر
بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل
الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس
حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو إخبار في معنى النهي أي لا
تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب
خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا
قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما
فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر
فنزلت فخلاهما

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

الله ولي الذين آمنوا أي
أرادوا أن يؤمنوا تلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي صمموا على
الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم
له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي
تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

ألم تر تعجيب من محاجة نمرود
في الله وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء
الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من
الشكر على أن آتاه الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه
عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثاني
حاج وقت أن آتاه الله الملك فإن قلت كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب

به وتسلط من المال والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحاناً لعباده وإذ قال
نصب بحاج أو بدل من آتاه إذا جعل بمعنى الوقت أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض
عتيداً ولكن إبراهيم صلى الله عليه وآله لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه
على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة وقرئ
فبهت الذي كفر أي فغلب إبراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين
كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو إليه فقال
ربي الذي يحيي ويميت

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أو كالذي معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة
تعجيب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية والمار
كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك وللكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل
هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم وقوله أنى يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريق الإحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر
وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوماً أو بعض يوم بناء على
الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد المائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ثم
التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم روي أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبناً فوجد
التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه
من السنة على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمإ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت
عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر إلى طعامك وهذا شرابك
لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت
وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن
يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا
ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال
هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً فقالوا هو
ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده
شيوخاً وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام هي عظام الحمار
أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله
الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل تبين

مضمر تفسيره فلما تبين له ان الله على كل شىء قدير قال اعلم ان الله على كل شىء قدير فحذف الاول لدلالة
الثانى عليه كما فى قولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعنى امر احياء الموتى
وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرا عبد الله قيل
اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم
يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ارنى بصرنى فان قلت كيف
قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة
للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبى ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة
علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم
الاستدلال يجوز معه التشكيك فان قلت بم تعلقت اللام فى ليطمئن قلت بمحذوف تقديره
ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرا ابن عباس فصرهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره اذا جمعه نحو ضره يضره وضره يضره وعنه فصرهن من التصرية
وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على
كل جبل من الجبال التى بحضرتك وفى ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدى سبعة ثم ادعهن
وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات فى طيرانهن او فى مشيهن على ارجلهن فان
قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها
لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروى انه امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك
رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله
فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها
وقرئ جزءا بالتثقيل وجزا ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل
مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم مثل الذين ينفقون لا بد
من حذف مضاف اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة
لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج
ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين
عينى الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود فى الدخن والذرة
وغيرهما وربما فرخت ساق البرة فى الاراضى القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا

على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما
قال وسبع سنبلات قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة
مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت
احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون
اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
والله غنى حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه
وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين
المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون
اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرا اسدى الى صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفى نوابغ الكلم
صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهى امر من
الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين
الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان
خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اى فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله
فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة
المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة
قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل
مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير
من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غنى لا حاجة
به الى منفق يمن ويؤذى حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ فى ذلك
بما اتبعه كالذى ينفق ماله اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء
الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله ومثل صفوان مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة
بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون
على شىء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف فى محل النصب على الحال اى
لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق قلت
اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت
اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا
منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح وبذله اشق شىء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان

لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعها لشهواتها وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتاً لها على الإيمان واليقين ويجوز أن يراد وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على التفسير الأول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسداً من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتاً من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبييناً من أنفسهم **فإن قلت** فما معنى التبعيض **قلت** معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معاً فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وربوة بالحركات الثلث وأكلها بضمتين **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** الهمزة في أيود للإنكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلاً لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا **فإن قلت** كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات **قلت** النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليباً لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل **فإن قلت** علام عطف قوله وأصابه الكبر **قلت** الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**

ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها **فإن قلت** فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفاً على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض **قلت** معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويمم وتيمم وتأمم سواء في معنى قصد ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلاً وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثواباً عليه في الآخرة **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب** يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش وخيراً كثيراً تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار** وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئاً إبداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل

والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفّر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفّر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفّر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفّر عنكم سيئاتكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهى فحسب ولكن الله يهدى من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابى بكر فاتتها امها تسالها وهى مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف فى الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله فى تسع ايات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اى صدقاتكم للفقراء والذين احصروا فى سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض للكسب قيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه واله فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه واله يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشىء يعطاه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده وعن النبى صلى الله عليه واله ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا بلطف ولم يلحوا وقيل هو نفى للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفى المنار والاهتداء به

الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وعن ابن عباس نزلت فى على عليه السلام لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وعن ابى هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجنى يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم فى الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام فى الربوا لا فى البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوى الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جىء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربوا فانتهى فتبع النهى وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم فى شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شىء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقى ولانها فى معنى الوعظ وقرا ابى والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربى الصدقات

ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين اتركوا ما شرطتم على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون فأذنوا بالحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء وترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ لا يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة شعر داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم قال لما حرم الله الربا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة وتجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي

ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار
مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال
المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم
اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر
بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل
ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في
الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق
ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير
او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من
صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته
الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار
كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون
على اقامة الشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط
واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على
طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى
تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة
ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل
هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كبيت الكتاب بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما ذا كواكب
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف
ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة
وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل
البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر
بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة و
النقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد
مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وان تفعلوا
شيئا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد
الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون
عليم على سفر مسافرين وقرأ ابي ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد
الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ
فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان
ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وآله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض
تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل
الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره
وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين
بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به
وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو
مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذي
ايتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء
منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية
كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا
اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو
ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل
بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي و
لان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله
فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة
من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان
ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها
الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة
من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الا
شراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله
سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض و
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله
فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب

العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه
الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن
ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد
فنزل لا يكلف الله الآية وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب
فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ
فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم
والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط
نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله شعر
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب
لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك
ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة
القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول
والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان
مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز
ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب
اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية
قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع
لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد
في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك
منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الوسع ما يسع
الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى
الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان
وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها
بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ
بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت
في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله

اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على
الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان والخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما
معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط
والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس
فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت
تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم
عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ
والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته و
الاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله
استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك
وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة
والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة
التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق
الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن
عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك
او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ
الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن
قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس
بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة
وعن علي عليه السلام خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه
رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين
هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان
المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة
التي فيها البقرة عن النبي صلى الله عليه وآله السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله
الا هو الحي القيوم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد
اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز

الفاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان الميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثبات وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القران بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا من الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا طاوس تصوركم اى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اى اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب

واخر متشابهات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اى اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القران كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التاويل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ ارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد جامع الناس ليوم اى تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قرا علي [illegible] لن يغني بسكون الياء

وهذا من الجد في استعمال الحركة على حروف اللين من قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن يغني عنهم من رحمة الله او طاعة الله شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ لن يغني بالياء وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وآله وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اى فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل

يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الامثال وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص وعلى الحال من الضمير في التقتا راى العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب زين للناس المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مولفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده انه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا

هو العزيز الحكيم شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من
اياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف
وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق
والاجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه
على انه حال مؤكدة منه كقوله تعالى وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوف
عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة
او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء
لا نورث شعر انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة
قول الهذلي شعر ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة
للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف
فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم
لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك
انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد
وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم
كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي
كانه قيل شهد الله والملائكة واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط
على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل
عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في
الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين
وهم علماء العدل والتوحيد يعني اصحابنا وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة
للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما
بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد
وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما
يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام
وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين
عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل
وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على
ان دين الاسلام هو التوحيد والعدل فترى القرآن كلها متعاضدة على ذلك وقراءة عبد الله انه لا
اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله

بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة
والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله
لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة
ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه
قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية
والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر
بايات الله فان الله سريع الحساب الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم
انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت
النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب
وهذا [illegible] بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا
بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام
وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه واله حيث امن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم
في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى
عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف
يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على
حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله
ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم
اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي
ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف
على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات
ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت
له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله
تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير
بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي
الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة
وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا

نفد تعنوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وقرا الحسن يقتلون النبيين تقتلا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا وقرا ابى يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبيا وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فى الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء فى خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان وحصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهى نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهى التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اى دين انت فقال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضى ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه واله ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه واله فى كبائرهم فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون او فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فى دفعه والتخلص منه وان ما احدثوا فى انفسهم وسهلوه

عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ الميم فى اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وبغير ذلك مالك الملك اى تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتى الملك من تشاء تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذى اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روى ان رسول الله صلى الله عليه واله حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيه المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه واله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون معه وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك وقلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام

يكونون يولى عليكم **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا يتخذ اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الرأي عنك لعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضربا الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله وسلامه عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد وتجويز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته **قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير** ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار وغيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد** يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود

فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا ودادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين** محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال اخبا بامروان من حب تمره واعلم ان الرقى بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم **ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم** آل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار

اذكروا امراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت
فاقود وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه
السلام والقول الآخر يرجحه ان موسى عليه السلام يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران
هذا هو ابو مريم البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا ابنته
ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل
شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشئ
وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين
ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت
الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة
او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشئ واحد كما انث الاسم
في من كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة
فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت بهذا
القول قلت قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها
كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن
قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم
بالشئ الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك
لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا
وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى وليس الذكر كالانثى قلت
هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف
على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم فان قلت فلم ذكرت تسميتها
مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعه طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل

صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في
اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه
ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي: لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء
الطفل ساعة يولد. واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم
لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فتقبلها ربها فرضي بها في النذر
مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود
لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان
تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت
بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا
حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق
الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها
بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك
تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله
وعنفوانه قال القطامي: وخير الامر ما استقبلت منه. وليس بان تتبعه اتباعا. ومنه المثل خذ الامر
بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بمعنى ضمنها وكفلها زكريا بتشديد الفاء
ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة
ابي واكفلها من قوله اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة
ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى زكريا عليه السلام
محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروى انه كان لا يدخل عليها
الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال
يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة
كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه انه جاع في زمن قحط فاهدت

فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وآله انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد امها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قرى فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على ان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرى يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشر ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع الصرف للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مومنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا قومه وفائقا الناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل شعر

وشارب مربح بالكاس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة والله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة

للعادات قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار آية علامة اعرف بها الحبل لا تلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما وقع ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرى رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرى والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مودى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانبياء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها

فان قلت اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون ايهم
يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم
وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين المسيح لقب
من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا
اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم
يتعلق قلت هو بدل من اذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا
في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون
الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت
على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن
مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف
بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك
قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من
النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو
الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه
سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا و
معناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي
يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال
كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ومن بدع التفاسير ان قولها
رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا
باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في
بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي و
ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ويعلمه عطفا على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام
مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة
وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له و
ارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما
بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق
ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله باني قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم
وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء

المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال
تولى بريح فيه وجمته كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش والاكمه الذي ولد اعمى
وقيل هو الممسوح العين وقالوا لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير
وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته
الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم
ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وكذا وقرئ تدخرون بالذال
والتخفيف ولاحل رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا
مردودا عليه ايضا اي جئتكم بآية ومصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب
ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية
له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يديه من التوراة او
الله تعالى او موسى صلوات الله عليه لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن
كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا
القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف
جعل هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه
للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى
مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في
المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون
فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله
لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما
احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد
بانا مسلمون فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري
مضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا
من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل
صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا
ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا
لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم
او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وآله لانهم شهداء على الناس
ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله
ان رفع عيسى والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك

إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة
ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين إذ قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله إني متوفيك
أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف
أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها
ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا إلى
يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل
الإيمان وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فأحكم بينكم تفسير للحكم
قوله فأعذبهم فيوفيهم أجورهم وقرئ فيوفيهم أجورهم بالياء ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك
فلا تكن من الممترين ذلك إشارة إلى ما سبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات
خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر و
يجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه إن مثل عيسى عند الله إن شأنه الغريب كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة
لما له شبه عيسى بآدم فإن قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم قلت هو مثيله
في أحد طرفيه فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف
ولأنه شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب
وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته
إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب
له فقال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل
ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص فقال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما خلقه من
تراب قدر جسدا من طين ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء
وجل رسول الله أن يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا لغيره فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى
من بعد ما جاءك من العلم أي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر
في هذه المسألة ندع أبناءنا وأبناءكم أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ثم نبتهل

ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده
من رحمته من قولك أبهلته إذا أهملته وناقة باهل لا صرار عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا
إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف
نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا
يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك
ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي
كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال
والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله
ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإن قلت
ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى
ضم الأبناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على
تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء
والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى
يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة
عن أرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء
عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنه لم يرو أحد من موافق
ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله
لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين إن هذا الذي قص عليك من نبأ
عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزل من هو منزلة
بعضه فخفف كما خفف عضد وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها وإما مبتدأ والقصص الحق خبره
والجملة خبر إن فإن قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت إذا جاز دخولها على الخبر كان
دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من إله

الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجبت عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم اعلمهم بانه بريء من دينهم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين لم يكن منهم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه

من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وباله الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم وجه النهار اوله قال شعر من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطا اثنا عشر من احبار خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت فظهر لنا كذبه وبطلان دينه واذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجميع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته في الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم

قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى
ألأن يؤتى احد **فان قلت** فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا **قلت** معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى
وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم
فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب
اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله
فلا يحاجوكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان
الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى
احد مثل ما اوتوا **ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون** عن ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش
دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا
عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير
وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك
الاداء الذي دل عليه لا يؤده اى تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى
لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس
اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم
في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم
دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس
انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا
في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم
الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون **بلى من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اى بلى عليهم سبيل
فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه **فان قلت**
فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله **قلت** اجل لانهم اذا وفوا
بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم

ولما تقوى الله في ترك الخيانة لا تتوانى في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على
ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء **فان قلت** فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من **قلت** عموم المتقين قام مقام الضمير
عن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب **ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم** يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وبأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع
الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب
ابن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد
هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن
الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها
في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم
والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
فان قلت اى فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت** اصله فيمن يجوز عليه النظر
الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه
فيمن يجوز عليه النظر **وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** لفريقا هم كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح
الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما
قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع الضمير في
لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من
الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب
ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى
كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله

ثم أحدثت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون** ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين فقهاء علماء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كما كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل ويجوز ان يكون معناه ومما تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناها معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته **ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون** قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له **واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين** ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق عليه كما يقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد

على زعمهم تهكما بهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون ما موصولة **فان قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم **قلت** بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون** فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما اختلفوا بينهم من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلام كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئ بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين **قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** امر رسول الله صلى الله عليه وآله بان يخبر

من نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه
كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما
تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء
تارة باحد المعنيين والاخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول
والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله
بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه
من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف
يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي
القوم الظالمين كيف يهديهم الله فما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم
على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم
الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله
بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا
اسلموا ثم رجعوا ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت
فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه
بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان
يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين
المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او
دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من
ناصرين ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بالنبي كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم
عن الايمان وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة تربصا بمحمد ريب المنون وان
اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب
فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي

يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة
من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت
قد آذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر
وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم
تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل
توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في
ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع
الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر
بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار
وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت
على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على
ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على
المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى
بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك
ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية
ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت
وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن تقبل من احدهم
ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا
ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي
انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة
افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله
اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل
فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما
تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين اي من
اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه

كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك
هم الظالمون كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر حل الشي حلاً كقولك ذلت
الدابة ذلاً وعز الرجل عزاً وفي حديث عايشة كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر
والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على
نفسه لحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل اشارت اليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها
لم تزل حلالاً لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك
غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم
حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله
عذاباً اليماً وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وجحدوا ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات
عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى
ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم
تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد
من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية
فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك
الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب
بزعمه ان ذلك كان محرماً على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك
هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق الله فاتبعوا**
ملة ابرهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفاً وهي ملة الاسلام التي عليها محمد
ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله
لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه **ان اول بيت وضع للناس**
للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله تعالى تدل عليه قراءة من
قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله تعالى ومعنى وضع الله بيتاً للناس انه جعله متعبداً لهم فكانه قال
اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي عليه السلام ان رجلاً قال له اهو
اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة
واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن

عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل
لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل
آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي
ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء
ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخيطة ومخبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد
وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء
يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال شعر اذا الشريب اخذته اكه
فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركاً
كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من
فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم **فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن**
دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان
الله غني عن العالمين مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان
الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى
ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها
الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون آيات ساير الانبياء عليهم
السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف
سنين آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من
الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات
كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه الصلوة والسلام حبب
الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف
بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله
كان آمناً جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان
قوله ومن دخله كان آمناً دل على امن من دخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن
داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمناً صح لانه في معنى قولك فيه آية
بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع
بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء

دابرًا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا
الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى
قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص
او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى
يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وآله من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة آمنا وعنه صلى الله عليه وآله الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في
الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله
عليه وآله على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن
هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع
كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وآله
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل
من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن
ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان
الرجل اذا وثق بقوة بدنه لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر
على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو
مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو
حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه
وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق
واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل
عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد و
تكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين
ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن
العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى
عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط
الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب
وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال

ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وآله حجوا قبل ان لا
تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل
ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل
دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله
بغافل عما تعملون والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على
صدق محمد صلى الله عليه وآله والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال
توجب ان لا تجترءوا على الكفر بآياته قرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق
علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم
عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون
لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت
فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة
موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وآله عن وجهها ونحو ذلك والثاني
انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من
كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء
بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار
وما الله بغافل عما تعملون ومحل تبغونها نصب على الحال يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم
اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل
فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام فقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان و
كيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله

فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب
والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول
غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله فقد هدي ومن يتمسك
بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد
حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه
حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون حق تقاته واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد
بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على
نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة
من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين
به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي
شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قولهم اعتصمت
بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق
يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل
بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك
بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي
عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين
في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه
الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد
قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب
وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام
والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم
لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها الى الاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث
لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال ** كما شرقت صدر القناة من الدم ** وشفا الحفرة وشفتها حرفها

بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب
والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت
حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان
البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولتكن منكم امة من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف
يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه
وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر
على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين و
اضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون و
اولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل وهو
على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه
وآله افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن
حذيفة ياتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر
تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع و
العقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه
اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن
الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه
ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية
نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدي بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر
قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه
وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد فاما الانكار الذي
بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف
وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما
يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه
لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف
مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وأينا يفعل
ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون

الطيب ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم كالذين
تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة
وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون يوم تبيض وجوه نصب
بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض
من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه
وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من
ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل
الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه
المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء
وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء
شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام
شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة
لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا
فاعاذك الله منهم وقيل هي في جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة
بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد
في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه
فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون
واكثرهم الفاسقون كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على
عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل
وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين
اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم

ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب
الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن
بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا
والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء
الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا
على اذى بقول من طعن في الدين او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر
ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا
يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر
يبالي به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا
جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم
اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا
بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم
عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم
لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فالذي عطف
عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم
اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما
كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من
شأنه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون بحبل من الله في محل النصب على
الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال
والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة
الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية
وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة
غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا
اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق

سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربا و
قد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله
آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين الضمير في ليسوا سواء لاهل الكتاب اي ليس اهل
الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة. امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام
وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون
وادل على حسن صورة امرهم وقيل عني صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله
عنه اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان
لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين و
من الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن
الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا
مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير
فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون
بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز
ان يريد بالصالحين المسلمين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون فلن تكفروه لما جاء وصف الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب
نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر
النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه
بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال
لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات. كما قالت ليلى الاخيلية. ولم يغلب الخصم الالد ويملأ
الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان
الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني
ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال. وفي الرحمن للضعفاء كاف. شبه ما ينفقون
من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى

الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقتصر على قوله
اصابت حرث قوم قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب على الكلية حتى لا يبقى
منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة
فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لما فيه من
حصول الاعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة
جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت
هو التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل
اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين
على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب
الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على
اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز في الشعر يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا
لكم الآيات ان كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة
به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار
ومن دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اي بطانة
كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد
ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد
جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون
مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء
لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد
بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم
تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك
قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن
منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم
حيث تبذلون محبتكم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون واو الحال

وانصابها من لا يحبونكم اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ووصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول ومعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه ويجوز ان يكون خارجا عن المقول ومعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وآله اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا

بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع ما رايت يا رسول الله فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوتها واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته

او لعلكم ينعم الله عليكم بنعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اذ تقول ظرف لنصركم
على ان تقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان
يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا
عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت
وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار
ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا
لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين
من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه
قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت
به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى
انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله
يعجل نصركم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر
ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله
الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وما جعله الله الهاء
لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة
لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا
ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة ويربط به على
قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور
رحيم ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و
اسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده
بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب: لاكبت حاسدا وأري عدوا: هو من الكبد والرئة واللام متعلقة
بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس

لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل
ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء
او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك
لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى
منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل
اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا
للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم
او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء
ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب
الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون و
اتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل
فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف
آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد
ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو
هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ
الباقون بالواو ويعضده قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان
به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى
من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا
في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة
وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم
حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس

فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملأها وشدّ فاها وكظم البعير اذا لم يجترّ ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثراً وعن النبي صلى الله عليه وآله من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امناً وايماناً عن عائشة ان خادماً لها غاظها فقالت لله درّ التقوى ما تركت لذي غيظ شفاءً والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي منادٍ يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلّاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام في المحسنين للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ وخبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اي اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلّت فان عفوه اجلّ وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وآله ما اصرّ من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصبّ عليهما معاً والمعنى وليسوا ممن يصرّون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرّون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله

يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبيّن من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهناً وجبناً ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شأناً لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبراً كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان

أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا أبو بكر وها أنا عمر قال يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال فلا ترد المياه فلا ترد المداولا في الناس بين تمثل جمّا يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله تعالى لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم ولينبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل فأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ولقد كنتم تمنون خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا

وهذا

وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته وقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله يدعو إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وآله لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص العلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى
لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم
الشاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين المعنى
أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا
بأن يأذن الله فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن من الله و
هو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا
لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة
العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلسين من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر
مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا
تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وقرئ
قتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون و
القراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول عن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون
وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء
والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم
من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حتى أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان
قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم
ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب
والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة و
الغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد
به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين إن تطيعوا الذين كفروا قال
علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم
وعن الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم
الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه

وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا
يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم
أي ناصركم فلا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى
الظالمين سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين
الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم أي كان السبب
في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة
فإن قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك قلت يعني أن هناك حجة إلا أنها لم
تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله و
لا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم
في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ولقد صدقكم الله
وعده وقد وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا و
سارعوا إلى نهبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا و
قد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل أحدا خلف ظهره
واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة
للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلوا والفشل الجبن
وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضهم لا نخالف
أمر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون
بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون
على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان
أمر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال
سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة فإن قلت أين متعلق
حتى إذا قلت محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم
الله وعده إلى وقت فشلكم إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في

اخريكم فاثابكم غمّا بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون
اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال اصعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابيّ اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلّم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غمّا حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غمّ اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غمّا مضاعفا غمّا بعد غمّ وغمّا متصلا بغمّ من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرّنوا على تجرّع الغموم وتضرّوا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضارّ ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمّكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجّة وغيرها غمّه ما نزل بكم فاثابكم غمّا اغتمّه لاجلكم بسبب غمّ اغتممتموه لاجله ولم يثرّبكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانّما فعل ذلك ليسلّيكم وينفّس عنكم لئلّا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدوّ **ثمّ انزل عليكم من بعد الغمّ امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمّتهم انفسهم يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل انّ الامر كلّه لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور** انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافّنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين اشتدّ علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتّب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا والامنة الامن وقرئ امْنة بسكون الميم كأنّها المرّة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدّمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبارّ وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردّا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمّتهم انفسهم ما بهم الا همّ انفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حلّ بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحقّ في حكم المصدر ومعناه يظنّون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يجب ان يظنّ به وظنّ الجاهلية

بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنّون بالله ظنّ الجاهلية وغير الحقّ تأكيد ليظنّون كقولك هذا القول غير ما يقول وهذا القول لا قولك وظنّ الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظنّ المختصّ بالملّة الجاهلية ويجوز ان يراد ظنّ اهل الجاهلية اي لا يظنّ مثل ذلك الظنّ الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قطّ يعنون النصر والاظهار على العدوّ قل انّ الامر كلّه لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبنّ انا ورسلي وانّ جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم انّ الامر كلّه لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد انّ الامر كلّه لله ولاوليائه وانّهم الغالبون لما غُلبنا قطّ ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بدّ من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انّهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى انّ الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انّهم الغالبون لعلمه انّ العاقبة في الغلبة لهم وانّ دين الاسلام يظهر على الدين كلّه وانّ ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة ممّا يحرّضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابيّ وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل انّ التدبير كلّه لله يريد انّ الله تعالى قد دبّر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كُتب عليهم القتال وكَتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبُرّز بالتشديد وضمّ الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص وليمحّص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمّة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمّتهم صفة لطائفة ويظنّون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمّتهم انفسهم ظانّين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنّون فان قلت كيف صحّ ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظنّ قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظنّ فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل انّ الامر كلّه لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استينافا **انّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان انّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم انّ الله غفور حليم** استزلّهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه انّ الذين انهزموا يوم احد كان السبب في تولّيهم انّهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولّوا وقيل استزلال الشيطان ايّاهم هو التولّي وانّما دعاهم اليه بذنوب قد تقدّمت لهم لانّ الذنب يجرّ الى الذنب كما انّ الطاعة تجرّ الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلّهم بقبول ما زيّن لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرّهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكّرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخّروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حالة مرضيّة فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم انّ الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل

بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لإخوانهم أي لأجل إخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى الإخوة اتفاق الجنس أو النسب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فإن قلت كيف قيل إذا مع قالوا قلت على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله تعالى عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده ضلالهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله تعالى كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوا وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر

مشاورة من أصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله على إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان ومنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته وأجبنته ومعنى وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأول لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا أن يغل إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وأن لا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله أخذها وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال عليه الصلاة والسلام بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد

فان قوله لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه **فان قلت** هلا قيل ثم توفى ما كسب ليتصل به **قلت** جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه **هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون** هم درجات اي متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله: أنصب للمنية تعتريهم ، رجالي ام هم درج السيول ، وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين** لقد من الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده **فان قلت** فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم **قلت** اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة وكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه واله وقراءة فاطمة عليها السلام من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه واله وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل وياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه **اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير** اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع **فان قلت** علام عطفت الواو هذه الجملة **قلت** على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي عليه السلام لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى **وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون** وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم قتالا ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غرض في الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له تعالوا وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلمه كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته **الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم**

صادقين الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصباً على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعاً على هم الذين
قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله على جوده
بالماء حاتم لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار
وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو
القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلاً يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو
أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها روي أنه مات
يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود
فما معنى قوله إن كنتم صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال
وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن
سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين
في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا
عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ولا تحسبن الخطاب لرسول الله
أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله أو لا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلاً
والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتاً أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتاً فإن قلت كيف جاز
حذف المفعول الأول قلت هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء والمعنى هم أحياء
لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم
أحياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون
ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من
فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامات والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين
معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وآله لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم
في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش
ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم قد بقوا بعدهم و
هم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك
فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة
والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى
مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله أن لا

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله
وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وأن الله بالفتح عطفاً على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء
وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين استجابوا
مبتدأ وللذين أحسنوا خبره أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأراد
أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا
أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وآله مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من
المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا
لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني
أبا بكر والزبير الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال
صلى الله عليه وآله إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى
الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال يا نعيم إني
واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر
ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في
دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله
لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل
بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي
نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين ألقي في النار حتى وافوا بدراً
وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين
غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق
فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو
المثبط وحده قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له
إلا فرس واحد وبرد فرد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون
جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت إلام رجع المستكن في فزادهم قلت إلى المقول الذي

هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا لان القول من صدق كان خيرا او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقولهم ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستأنفة بيان لتشيطنه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسول الله وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وبالهم عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرّ به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار

بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منهما بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم والتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله

ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم
على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على
الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر
انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب
كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم الرسول ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه
على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا
يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك
عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات
الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب
حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا بالله
ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا
مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء
وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ولا يحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او
ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين
يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو
سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة
تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وآله في مانع الزكوة يطوق بشجاع
اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما
يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد
والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد او عن استهزاء بالقران وايهما كان فالكلمة
عظيمة لا يصدرها الا متمردون في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب
سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال
لقد سمع ثم قال سنكتب وهلا قيل لقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب
على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة

له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه
سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وآله كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة
ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء
للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم
وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت
فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا
لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن
العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه
الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك ايتهم كان
تقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله
لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات
سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة
التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين
ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي
قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما
قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر
والكتاب المنير في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت و
انما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور وقرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت
بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما
توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم
على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم
نفي ما روي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل

هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يغاير به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وآله من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا

وقرئ ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل الله من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوه من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من اتى بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت لعائشة اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك

ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذاك **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع **فان قلت** هذا اشارة الى ماذا **قلت** الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار** فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من تدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار** تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله **فان قلت** فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء الثائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول الداعي الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون واستشهدوا وقرئ وقتلوا وقاتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم وبالتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك

يجاب واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب
لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لا يغرنك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة
الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل
هم اليهود وروي ان ناسا من المومنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش
فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله
بذلك حتى نهي عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب
بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور
بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن
من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين
آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة
المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب
ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه
لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل
ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
وما عند الله خير للابرار النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي شعر
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات
لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء
من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل
وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد
وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب
وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل
في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه
السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك
انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام اخرجوا
فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى

عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت
ودخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم
من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن لان من يومن في معنى الجمع لا
يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم
عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين يوتكم
كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر
ويجوز ان يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في
الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من
الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور
رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وآله من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وآله
من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا
يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت
علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس
واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس
الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني
ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته
ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة
على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر
على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى
عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها
او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله
فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا

عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم وتسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد وكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن تعالى اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم متعلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لابيك لا تدعوكم ولدك الا في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا تقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا** اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا اكفاء يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم ابي طالب اما على القياس واما على حكاية الحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال

ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشارا بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلى الله عليه وآله ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وآله ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة شعر فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وانما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحول والحال والقول والقال والطرد والطرد **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب منه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل

عند اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنّاً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقيل الاناث اليتامى كما قال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب
كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان
خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى
وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها
وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع و
محلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى
التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من
العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو
في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة
اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا
بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة
التي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من
النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء
ذلك وقرأ ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما
خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله
يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت
واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة و
بين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة
من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام
لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم
في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة عن
رسول الله ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم
فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم
لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل

على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب لا تظنن
بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم
بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب
من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريق الكنايات
فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض
بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن
فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي
من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد
وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن
طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر ان ابي كان نحلني جداد عشرين وسقا بالعالية
وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن
نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن
ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل
نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام
خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى واتوهن مهورهن ديانة على انها مفروضة
له ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج
وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة
لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى
اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر
الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في
توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق
لانك لو قلت واتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين
كأنه قيل الاصل اصدق مجزوما فلما جاء بالفاء نصبه فعطف واكن على محل اصدق
لان الفاء عارض كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما
يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت
له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته
شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال

تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن
وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها
فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي
بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة
فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله
سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا
يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال
الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق
المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو
سمحن إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن
لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها
ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون
متناولا لبعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء
والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما
تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف
على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه
عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل
الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا السفهاء المبذرون
أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب
للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما
ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم
فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها
قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو
وقوام الشيء ما يقام به كقولهم ملاك الأمر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا قال لئن أدنتني
من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان
أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها
مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق
وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه

يضيعه وبما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم
وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك
نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا
من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم
ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى إذا تبينتم منهم رشدا أي هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير
تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به
وهو التوالد والتناسل والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء
عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد
التهدي إلى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي
الابتلاء أن تتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء ويتبصر مخايله وميله إلى الدين و
الرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال فإن قلت فإن لم يؤنس منه رشد
إلى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن مدة بلوغ الذكر عنده
بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان
لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس و
عند أصحابه لا يدفع إليه أبدا إلا بإيناس الرشد فإن قلت ما معنى تنكير الرشد قلت
معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله
حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى إلى فادفعوا
إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا
متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا
اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وقرأ
ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن إليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين
ورشدا بضمتين إسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ثم قسم
الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعفف من أكلها ولا يطمع ويقنع
بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره
على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف

ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة ألا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان

عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية المواريث كالوصية عن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب صارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل شعر

لقد زاد الحياة الي حبا: بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البؤس بعدي: وان يشربن رنقا بعد صاف

وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد انك ان تترك اولادك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا: فان زمانكم زمن خميص: ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله
كان عليما حكيما يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا
إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر
قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان
فضل الذكر وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصدا إلى بيان فضله كان أدل على
فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية
فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة
بمثل ما يدلون به فإن قلت فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت أريد حال الاجتماع
لا الانفراد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ
المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله
فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه
لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فإن كن نساء فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس
معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء
أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى
فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن
ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت فإن قلت
قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح
أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث قلت وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر إلا أنه لما
فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعا فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء
فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة
قلت لا أبعد ذلك فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة قلت لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا
لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن و
أريد هاهنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت قد ذكر حكم البنتين
في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما
وما باله لم يذكر قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله فإن كن نساء
فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة و
الذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن
الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل
فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين
وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس
رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد

رحما منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها
ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت
ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره
اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت
فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما قلت لأن في الإبدال
والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ و
خبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك
الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر
بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء السدس فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث
مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه
قلت معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس
مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك
إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت
ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم
له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم
بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة جامعا بين الأمرين فلو ضرب
لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فكان للزوج
النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون
للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا
لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا
إلا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم فإن قلت فكيف صح أن
يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية قلت الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية
والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة
عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة إتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية
من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه
الأنصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء
للمفعول مخففا فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على
قسمة المواريث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين
مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة بالميراث في كونها مأخوذة من غير عوض
كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف
الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها

مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أقرب لكم نفعا فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب يجب النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا إن الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ إن كان لهن ولد منكم أو من غيركم جعلت للمرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل يعني الميت يورث من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت تطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء وقال الأعشى شعر فآليت لا أرثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على أنها مفعول له أي يورث

لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت إلى الرجل وإلى أخته أو أخيه وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر للأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم وتدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من الأم وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل إنما استدل على أن الكلالة ههنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزاد على الثلث شيئا أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بالإسراف في الوصية وتنصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على يسبحه رجال فكان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾

فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو
يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى
وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن
في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله
تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن يكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة
ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت
والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه
لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن
الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة إن الذين توفاهم الملائكة
قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن واللذان يأتيانها منكم فآذوهما
فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية
فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما
واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين
على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما
ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذانّ بتشديد النون واللذأن
بالهمزة وتشديد النون إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك
يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما
القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب
القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى
إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء
ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب
وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي عليه السلام إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق
ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في
من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة
الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت
ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام
بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب
عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا
لهم عذابا أليما ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة
الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر
قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار
أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة فإن
قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار قلت فيه وجهان
أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما
إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
وقوله عليه السلام من لم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن
من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حالة قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على
ذلك إلا قلب مصمت يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى
أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج
وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف
تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا كانوا
يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات
له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم
أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو
مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات
بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه
بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز
وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن
فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن
فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق
إليها وأخرجها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة
لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا
يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والإجمال
في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح
في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل
إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء

منه بما اعطاها اليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم الاستبدال تزوج الاية القنطار المال العظيم
من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء
فلو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المومنين
لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم
من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة
ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بري منه لانه يبهت
عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم
يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل
واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي افضى بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد
قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل
هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان و
عن النبي صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من
ذوي مروّاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه
قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين
وقرئ ولا يحل لكم بالتاء وعلى ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه
وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها وحمل الله
بالرفع على انه فموضع الحال وآتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت
تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان
ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعديتي ذهب بالباء وبالهمزة قلت
اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب
فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثناء هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من
العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط
قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا
كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم
من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض
المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى
يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات

الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين
الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم
نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم
من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت
بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك
زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم
اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم
اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام
يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز
للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطي
الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز
في الرضاع لان المانع في النسب وطي الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم
ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان
يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة
الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا
يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات
نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من
غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء
الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس يصح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد
معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا
ان يقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن
امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات
النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله
في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل
الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر وابن الزبير
انهم قرءوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر
روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها

قبل ان يدخل بها فان شاء تزوّجها اقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمّى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربّها كما يربّ ولده فى غالب الامر ثم اتّسع فيه فسمّيا بذلك وان لم يربّهما

فان قلت ما فايدة قوله فى حجوركم قلت فايدته التعليل للتحريم وانهنّ لاحتضانكم لهنّ او لكونهنّ بصدد احتضانكم وفى حكم التقلّب فى حجوركم اذا دخلتم بامهاتهنّ وتمكّن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودّة والرحمة وكانت الحال الخليقة بان تجروا اولادهنّ مجرى اولادكم كانكم فى العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم وعن علىّ عليه السلام انه شرط ذلك فى التحريم وبه اخذ داود فان

قلت ما معنى دخلتم بهنّ قلت هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى ادخلتموهنّ الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابى حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجرّدها فاستوهبها ابنه فقال انها لا تحلّ لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما انى لم اصب منها الا ما يحرّمها على ولدى من اللمس والنظر قالوا المراد بالنظر النظر الى الفرج وعن الحسن فى الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبّلها او يكشفها انها لا تحلّ لولده بحال وعن حماد بن ابى سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا بنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالامّ فعرّاها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحلّ له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنّيتم وقد تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش الاسدية بنت عمّته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم وان تجمعوا فى موضع الرفع عطف على المحرّمات اى وحرّم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم فى الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما فى ملك اليمين فعن عثمان وعلىّ عليه السلام انهما قالا احلّتهما آية وحرّمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجّح علىّ التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحلّ لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ اجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما والمحصنات القراء بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرّف انه قرأ بكسر الصاد وهنّ ذوات الازواج لانهنّ احصنّ فروجهنّ بالتزويج فهنّ محصَنات ومحصِنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى سبين ولهنّ ازواج فى دار الكفر فهنّ حلال لغزاة المسلمين وان كنّ محصنات وفى معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتها رماحنا ✽ حلال لمن يبنى بها لم تطلّق ✽ كتاب الله عليكم مصدر مؤكّد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرّم فان قلت علام عطف قوله واحلّ لكم

قلت على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحلّ لكم ما وراء ذلكم ويدلّ عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم واحلّ لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحلّ لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرّمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بيّن لكم ما يحلّ مما يحرّم ارادة ان يكون ابتغاؤكم

... قوله عن اليمانى ... اليمانى ... محمد بن السميفع

باموالكم التى جعل الله لكم قياما فى حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيّعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحلّ لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفّة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والاموال المهور وما يخرج فى المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدّرا وهو النساء والاجود ان لا يقدّر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزانى من السفح وهو صبّ المنىّ وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهنّ فآتوهنّ اجورهنّ عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما فى معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهنّ اجورهنّ مهورهنّ لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضع موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكّد اى فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحطّ عنه من المهر او تهب له من كلّه او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرّحها سمّيت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوّج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وآله انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرّم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرّتين وحرّم مرّتين وعن ابن عباس هى محكمة يعنى لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهنّ الى اجل مسمّى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى فى المتعة وقولى فى الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهنّ باذن اهلهنّ وآتوهنّ اجورهنّ بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متّخذات اخدان فاذا احصنّ فان اتين بفاحشة فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادنى حبّا لنفسى اننى ✽ بغيض الى كلّ امرئ غير طائل ✽ ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اى بشىء يعتدّ به مما له فضل وخطر ومنه الطول فى الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحجّ وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعى واما ابو حنيفة فيقول الغنى والفقير سواء فى جواز نكاح الامة ويفسّر الاية بان من لم يملك فراش الحرّة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفى رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسّع الله على هذه الامة

نكاح الامة اليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق وثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط اذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف غير مسافحات ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل هم المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب

وبنات

وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول الله يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان يكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان الاسباب التي الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقرأ علي عليه السلام ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك لكونه سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة شديد العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي عليه السلام الكبائر

سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما﴾ ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا اجعل لما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ مما ترك بيان لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على شريطة التفسير ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا﴾ قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا

ذو فتن بعباده وكان من حلف في زمن الجاهلية فاجروا الاحكام على مقتضيه حتى اذا مات احدهم ورث الآخر منه ... نزلت في الذين آخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة فنسخ الله ذلك بآية المواريث

يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قايمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل الغيب الاسرار بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج واهجروهن في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم

وانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا تبتم وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف
الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقولك بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان
جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهاره صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما
يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا يصلح للحكومة والعدل والاصلاح بينهما وانما
كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم
نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات
ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع بينهما
والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما
وما جعلا حكمين الا وليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا عليه
السلام وقد جاءته امراة وزوجها مع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي
عليه السلام للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج
اما الفرقة فلا فقال علي عليه السلام كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله
لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين
وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه
الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما
المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما
فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران
للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما
بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب و
ابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما
احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب
جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد شعر لبلعاء بن قيس
لا يجتوينا مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقربى والصاحب
بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم
او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه
فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة و
ابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه

وما ملكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا الذين بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا
عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويضمرون احقاء بكل ملامة
وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم
بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره وان امرءا
ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان
احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله
وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار
يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد
عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه
وآله اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم
به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر
الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفات رسول الله والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله
قيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرئاء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
وكان الله بهم عليما وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في
سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما
ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر
ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما الذرة النملة الصغيرة وفي
قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل
واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من
الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته
في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى
مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في
كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني
عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة

الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد
الكثير لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا
لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ
ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم
كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة
النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون
الله حديثا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم
كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان
جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا
ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند
ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر يتمنون ان تسوى بهم الارض
وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله
يسمعون وماضيه اسوى كازكى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم ان الله كان عفوا غفورا روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب
رسول الله حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم
فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء
شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها
ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه لا تقربوا مواضعها وهي المساجد
كقوله عليه الصلوة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله
وراثوا بسكر سناتهم كل الروين وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر
علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة
للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع
الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين
وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في
حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان
لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اى ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين

فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة بعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا
الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد
جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار
كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي عليه السلام لان بيته كان في
المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء
الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف
حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه
لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم
يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة فان قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اى بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية
فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من
الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا
غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون
ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض
والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد تعالى
ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم
لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة
ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء
فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط وقيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط
بمعنى الغائط الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا
السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على
معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود
يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل
الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء
بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم
فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته و
نصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا يحرفون الكلم
عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم

فلا يؤمنون إلا قليلا من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله شعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ ويحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عليه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابى وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله شعر قليل التشكى للمهم يصيبه اى عديم التشكى او الا قليلا منهم قد آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهى اذرعات الشام يريد اجلاء بنى النضير فان قلت لمن الراجع فى قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم ونخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله وعد باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فان قلت قد ثبت ان الله تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفى والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثانى من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اى ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل فى القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكى من يشاء اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به

ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم
ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى
به اثما مبينا كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا
من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله و
من يلعن الله فلن تجد له نصيرا الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان
وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على
محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن
مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام و
اطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله
وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم
فقال انتم اهدى سبيلا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال
ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون
اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل
فى القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان
يكون معنى الهمزة فى ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة
كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذى
هو النصب وهى ملغاة فى قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة و
ازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين
هم اسلاف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتى اسلافه وعن
ابن عباس الملك فى آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف
استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا فمنهم من اليهود من آمن به اى بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد
عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن
بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم
نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان
عزيزا حكيما بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص

قلت العذاب للجملة الحساسة وهى التى عصت لا الجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين
مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين حكيما
لا يعذب الا بعدل من يستحقه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل
ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا
لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلفنا اليه التفيؤ تحت ذلك
الظل وفى قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا
ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل احد فى كل امانة وقيل نزلت فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار
وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق
عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه
فلوى على بن ابى طالب عليه السلام يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر
اليه فقال عثمان لعلى عليه السلام اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله فى شأنك قرآنا
وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل فاخبر
رسول الله ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل
وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان
يكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اى نعم ما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى
الحكم وقرئ نعما بفتح النون يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله و
اليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا
بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولى الامر منكم امراء الحق لان
امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم
وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما فى ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما
والنهى عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعونى
ما عدلت فيكم فاذا خالفت فلا طاعة لى عليكم وعن ابى حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له
الستم امرتم بطاعتنا فى قوله واولى الامر منكم قال اليس قد نزعت منكم اذا خالفتم الحق بقوله فان

تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيا الى الكتاب ولا الى السنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون من صفات الذين هم اولو الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم

الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا ابن عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وعن الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردون اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا

بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق

من امره حتى يلوح لهم اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشي من
قولك سلّم لامر الله واسلم له وحقيقته سلّم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما
تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل
نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة لانهما اختصما الى رسول الله في شراج
من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم
ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير
حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى
شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء
يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله
ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هولاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا اناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في
فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله
وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا
عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم
لطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك
الفضل من الله وكفى بالله عليما الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم
كابي بكر وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمومنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن
الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في
استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وآله كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه

وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين
لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى
اكون اليه احب من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة
ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره
والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به
عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم
من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا خذوا
حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من
المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة
سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة
وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن
كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه
ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون
معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو
ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد
ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي
ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او
غنيمة ليقولن وقرا الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن
في معنى الجماعة وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون
المومنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر
انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو المومنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا
على وجه العكس تعكيسا لحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم

والنون مع التمنى فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز فى ذلك الوقت فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما يشرون بمعنى يشترون ويبيعون وقال ابن مفرغ وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله و يجاهدوا فى سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الاجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرض قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل فى سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعنى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدى الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه واله وسلم فتولاهم احسن التولى ونصرهم اقوى النصر فلما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولائد والولدان للولائد والولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الاباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التى ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلونى البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون فى سبيل الله فهو

وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين فى جنب كيد الله للكافرين اضعف شىء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا كفوا ايديكم اى كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير فى يخشون اى يخشون الناس مثل اهل خشية الله اى مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوفا على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه فى حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشى فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شىء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت فشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالى ولا حرم وهو قول نحوى سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا فى ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدا قوله يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر

فأرضا السيئة يقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب
ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك
وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنهم الله تشاءموا برسول الله فقالوا
منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله
يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون أن الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب **ما أصابك من حسنة فمن الله وما
أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا**
ثم قال ما أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه
وإحسانا وامتنانا وامتحانا وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن نفسك
لأنك السبب فيها بما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير
وعن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع
نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وما أرسلناك إلا كافة للناس قل يا أيها الناس إني رسول الله
إليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك **من يطع
الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فإذا
برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون
فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه
لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة
لله وقد روي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا
تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل
إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فأعرض عنه فما أرسلناك
إلا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت
عليهم بوكيل ويقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى
أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض
العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله
وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة و
سوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وضمنت من الطاعة لأنهم
أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت
إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بالليل وإما من أبيات
الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه

على سبيل التوعد أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم
فأعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث
الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** تدبر الأمر تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في
عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه وكان بعضه
بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه
إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير
ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق أخبار علم أنه ليس إلا
من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه فإن قلت أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان
مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلافات
قلت ليس باختلاف عند المتدبرين **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه
إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة
بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وخلل
أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى أولي الأمر منهم كبار الصحابة
البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه الذين
يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله
وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ
الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه
المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك الخبر وبالا على
المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا
يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم يستنبطونه
من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو
أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل من الأدم دبرت صفحتاه
وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير
لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بإرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهار بعضهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب شعر وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل شعر الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل

اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم فانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لا اله الا هو اما خبر للمبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه تعالى صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وآله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه

لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله من جعله
من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم
وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وإن
آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة
ليس بعدها بداء ولا تعرب فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم
حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن
بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق
أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا إلا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت
إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وقيل إن الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل
رسول الله من هو من أنسابهم والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله
عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين
عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم
بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاءوكم لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه
قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على
صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف
على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاق
لنفي التعرض لهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء
واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء
دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم
اتصالهم بالكافين واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على
أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون
جاءوكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد
والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد
صفة لموصوف محذوف على أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا

رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم فإن قلت
كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء
لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه وكانوا مسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط و
قرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون
آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن
لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا
إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى
الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر
والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى
أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما وما كان لمؤمن
وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود أن يقتل مؤمنا
ابتداء غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي
له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا
في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل
المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا
على أنه كافر فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة
وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن
زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك
على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده
كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك
وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش
بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله فقال قتلته ولم أشعر
بإسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم
في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه ومنه

وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق مؤمنة قيل لا تجزى الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزى الصغيرة وقاس عليها الشافعى كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابى فقال كتب الى رسول الله ان اورث امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من يجب الرقبة والدية **قلت** على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية يتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة ففى بيت المال فان لم يكن ففى ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبى صلى الله عليه وآله كل معروف صدقة وقرا ابى الا ان يتصدقوا **فان قلت** بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل ويجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل الحرب وذلك نحو رجل اسلم فى قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهله شئ لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتى قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله فى التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرء مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن القران هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه

الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا يدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا فى العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله تعالى التوبة فى قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع ولكن لا حياة لمن تنادى **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اى قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله **يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا** فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اى لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله كان عليها غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك **لا يستوى القاعدون غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما** غير اولى الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله

فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المومنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة نظير قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كانه قيل ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وان ينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة

ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

توفيهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيه معنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالت الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شي كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة

فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شي قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شي من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شي فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة هذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين من ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشي بعينه كقوله شعر ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي شعر كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف

عليها ثم نقل حركة الهاء الى القاف كقوله ع من عنزى سبنى لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله ع والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

الضرب فى الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابى حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشى الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعى ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعى وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه اتم فى السفر وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان يتم ويقصر وعند ابى حنيفة القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء فى الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرا الزهرى تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما فى حال الامن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة فى حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التى كان يحضرها والضمير فى فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعنى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابى حنيفة ان يصلى الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتى الاخرى فيصلى بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتى الاولى فتؤدى الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتى الاخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابى حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة كان الامام يصلى عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلى بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم وتعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر فى الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة فى الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار فى التبوؤ فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر ويضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة

فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم فى حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم فى تلك الاحوال التى هى احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اى حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعى فى ايجابه الصلوة على المحارب فى حال المسايفة والمشى والاضطراب فى المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابى حنيفة فهو معذور فى تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد فى كافة احوالكم من قيام وقعود و

والاضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أمنتم فأقيموا الصلاة فأتموها **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما** ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم يئلمون كما تئلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما** روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك وعن عمر لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد برأيه لأن الرأي من رسول الله كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهودي لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم **فإن قلت** لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده **قلت** لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه **فإن قلت** لم قيل خوانا أثيما على المبالغة **قلت** كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة **يستخفون**

من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس بما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته **فإن قلت** كيف سمي التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس **قلت** لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه **ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما** فإنما يكسبه على نفسه أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء **ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** خطيئة صغيرة أو إثما أو كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا وإثما لأنه بكسب الإثم آثم وبرميه البريء باهت فهو جامع بين الأمرين وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ولولا فضل الله عليك ورحمته أي عصمته والطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون بكنه القصة وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم وما يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله**

جهنم وساءت مصيرا لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه
مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من
امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد
بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله
عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال
الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه اوما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر
فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به
وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر
بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر
الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما عبر به عن سائر الافعال
وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل
على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع
غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ
ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر ان يشرك
به تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني
شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع
المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى
حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه
الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى
بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وقرئ أنثا جمع انيث واناث وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد
واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة اوثانا وان يدعون وان يعبدون
بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة
لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع
نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض للجند رزقه
قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا

غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار
وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو
ذلك وبتكيهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن
وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي
واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم
فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم
تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول
هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات
والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا
وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا
توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون
به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب
بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من
آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن
مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم و
قالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين واهل
الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون
نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل
ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما تزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم و
احسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن
ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك
قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات
بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز

ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت
الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال
وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه
الصلاة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في من يعمل فإن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون
وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات
جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم
لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره
مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل
لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه
لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا أسلم وجهه لله أخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل الحسنات تارك للسيئات حنيفا
حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها
إلى دين الإسلام واتخذ الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في
الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت
هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب
اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس
يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه
ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته
إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذه
فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا ولله ما في السموات و
ما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ولله ما في السموات وما في الأرض متصل بذكر العمال الصالحين و
الطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا
فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها ويستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما
تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما ما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى
يعني قوله وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ
وفي الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة

في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل
بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا
على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس
بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فإن قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء
قلت في الوجه الأول هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن
وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك
عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن أي ما فرض لهن
من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت
دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون أن تنكحوهن يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن
تنكحوهن لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت جميلة غنية قال زوجها
غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها والمستضعفين
مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء
ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وأن تقوموا مجرور كالمستضعفين
بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا
وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم وإن امرأة
خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير و
أحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا خافت من بعلها توقعت
منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة
والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب أو ضرب والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها
ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى
أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح
أصبر في اصطبر وصلحا في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب
له نفسا من القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله وعرفت مكان
عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه
ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي
فأقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها و
الصلح خير من الفرقة أو النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح
خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله وأحضرت الأنفس الشح
ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه
والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها وبغير قسمها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا
رغب عنها وأحب غيرها وإن تحسنوا بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا

على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان
بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من
اذم بني آدم وامرأته من اجملهن فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت
حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عبادة الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا و
تتقوا فان الله كان غفورا رحيما ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية
حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما
كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع
داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ
من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد
والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو
كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن
فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان
اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله
وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال الحسن هي التي لا هي ايم
ولا ذات بعل او وصلت او بين ذلك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت
له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب بعث الى
ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث
الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله كان يعدل بيننا
في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان
عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى
من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما قرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق
كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه
والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان
لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين

اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية
في معنى القول وقوله وان تكفروا فان الله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال الله يوصي بها عباده لستم بها
مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان
لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن
خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله ولله ما في
السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى
اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ان
يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد اناسا آخرين مكانكم
او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع
عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي
رسول الله من العرب اي ان يشأ يميتكم ويأت بناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله
صلى الله عليه وآله بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه
اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا
قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم
باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين
والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت
هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة
وبالا على انفسكم او على اقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن
المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما
بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر
لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا
او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى
المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير

اى بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقال عبد الله ان يكن غني
على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس
او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او
تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم
عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على
الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب و
الدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب
لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انها نزلت لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن
قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام
بل آمنوا بالله ورسله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين
كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل
من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من
الكتب قبله فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة
ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه
علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد تعالى في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و
يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل
من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية
ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان
الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية
وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت
والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا
ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا
ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم
فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه
امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب
ان يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وموسى ثم كفروا بالانجيل وعيسى ثم ازدادوا

كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل
عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا والذين نصب
على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان
كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن
قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به فنهي
المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقعدون مع الخائضين في
القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين
والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت
الى من دل عليه من يكفر بها ويستهزئ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها
فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين و
الراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين
منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين
يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين
او نصب على الذم منهم يتربصون اي ينتظرون ما يتجدد لكم من ظفر واخفاق الم نكن معكم مظاهرين
فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا
عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار
ان قال الحطيئة شعر الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر
المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر
المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني
ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع

من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث
تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم
يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته
فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون
بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المومنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ
بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين
كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلاتهم الرياء
والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا
ما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم
يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من
المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى
المراءاة وهي مفاعلة من الروية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانا
والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى راءهم كقولك نعّمه وناعمه
وفنّقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رات المراة المرآة الرجل اذا امسكتها ليرى وجهه ويدل
عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤون بهمزة مشددة مثل يرعّون اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤونهم
كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون
بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في
جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال
الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم
او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر
مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين
على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان
لا الى هؤلاء منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مومنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا
مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لا تتخذوا الكافرين اولياء ولا تتشبهوا بالمنافقين في
اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين
بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المومن وخالق الكافر
والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المومن ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا

واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما الدرك الاسفل
الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد
عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله وبمكلماتهم
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المومنون
المخلصون واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المومنين فهم اصحاب المومنين
ورفقاؤهم في الدارين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم
فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية
من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله
عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي
يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه
فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم
وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا
عليما ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته
الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب
وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان
قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل
التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما الا من
ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما
فيه من السوء وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل
قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع
اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر
بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد
ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع و
العبودية ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وذكر ابداء
الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير
وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا

اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

جعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله او امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطاوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر حقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما يقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا ترى انك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله لستن كاحد من النساء والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر والغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن لو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوا منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارنا نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين واخذتهم الصاعقة كما سال ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله

وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا البهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه

قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع
الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته
مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو
مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان
يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء
منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك
ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون ظانين قلت اريد انهم
شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا
يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه
كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشي علما ونحرته علما اذا بالغ
فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين
واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل
الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها
وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل
ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
آية ما قراتها الا تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى
فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه
وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه
ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس
انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها
شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه
حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا
سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل
موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب
عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع
به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم
كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا

يؤمنن

ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويهلك في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم
في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل
الضمير في به يرجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه
وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا
صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا
كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك
سنؤتيهم اجرا عظيما لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون
في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار
وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب
واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في المصحف
وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص
من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد
همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم
وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم
الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود
زبورا انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاء
جمع زبر وهو الكتاب ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره

قصصناهم في قراءة أبيّ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب
انهما قرآ وكلّم اللهَ بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن و
مخالب الفتن رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما
رسلاً مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف
يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة
والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت
الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل
امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قرأ السلمي لكنّ الله يشهد بالتشديد فان
قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب
انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى
انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد
ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة
شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم نعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت
يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون
بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة
التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز
عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته
بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك
مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ
له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى
قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة
هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا
ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي
او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر
لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم
القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما
حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح

عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا
تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما
في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر
وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا
او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد
انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من
غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي
روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى
القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم
يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون
باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا
فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة
وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من
جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد
بامهاتهم وان اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير
اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من
حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر
الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض
بيان لتنزهه عما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه
الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا لن يستنكف لن يأنف
ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا
من هو اعلى قدرا منه واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل و
ميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان
المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق

لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية ووجهان قال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلام منزلة ومثاله قول القائل شعر وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره ولا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا على عليه السلام عبيدا لله على التصغير وروى ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله والملائكة قلت لا يخلوا اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عباده صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا و

نساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم روي انها آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وآله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله الانصاري فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال فللذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل ان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة شعر قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم

وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اى احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم في حال امتناعكم من الصيد والحرم جمع حرام وهو المحرم

يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب

الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله ولا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم و فسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة

وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم

كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرا ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام او الى تناول

ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام من الفسق قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشوني وأخلصوا لي الخشية أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم الإسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا إن هذه أمتكم أمة واحدة فإن قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب

هذا للكفار فيما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصعين أن الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه واحذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته وأصلح بالتقصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهار ما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع عما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود

قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او الذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وآله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم وقبول ما يفتيكم به فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطاهر ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم

سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين

السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر

الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وآله كل لحم انبته السحت فالنار اولى به وقيل كان رسول الله مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بما انزل الله وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلفاء بان يعادوه ويضاروه فامن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم

وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين

وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان ترتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك

انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون

فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم تعالى لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود

بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اى بسبب سؤال انبيائهم اياهم
ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن فى من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لكيلا
يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبى وعيسى للذين هادوا
يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون و
الاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه
شهداء ويجوز ان يكون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ
من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهى للحكام عن خشيتهم غير الله
فى حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة
اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا
قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة
عن الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو فى كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها
وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان
من حلو فهو لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم
فاسق وعن الشعبى هذه فى اهل الاسلام والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وعن ابن
مسعود هو عام فى اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببنى اسرائيل لتركبن طريقهم
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير انى لا ادرى اتعبدون العجل ام لا وفى مصحف ابى وانزل الله
على بنى اسرائيل فيها وفرض عليهم فيها وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف
على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان المعنى
الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتابة والقراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة
انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم
فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين و
الانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص
ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا
لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته و
عن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجانى اذا تجاوز
عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفى قراءة ابى فهو كفارته له يعنى فالمتصدق كفارته
له اى الكفارة التى يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب
فى العفو وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه

الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثانى بزيادة الباء فان
قلت فاين المفعول الاول فى الآية قلت هو محذوف والظرف الذى هو على آثارهم كالساد مسده
لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير فى آثارهم للنبيين فى قوله يحكم بها النبيون
الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمى خرج لعجمته عن زنات
العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال
وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله و
ليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان
قلت فان نظمت هدى وموعظة فى سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت
بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ
وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروى فى قراءة ابى وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان
موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل و
قيل ان عيسى صلوات الله كان متعبدا بما فى التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر و
الاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
فان قلت اى فرق بين التعريفين فى قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت
الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثانى تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز
ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه
وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هيمن عليه الله تعالى او الحفاظ فى كل بلد لو حرف
حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى
ولا تنحرف فلذلك عدى بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا
منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين
تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة
على شريعة واحدة او ذوى امة واحدة اى دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم

من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك واردوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند تضرب زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظير من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل

من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان يصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وآله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وآله باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على ان يأتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله تعالى شهادة لهم

يحبط الاعمال ويحييها من سوء اخوالهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

قرئ من يرتدد ومن يرتد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وآله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم اشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن

لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هي من اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن

لا يغالب يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح
ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل
الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل
عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن
الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة
اعداء الدين وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ اتخذوها
الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون
لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا
إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ وقرا الحسن هل تنقمون
بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم
فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى
وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا
مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان
اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم
الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وآله نفر
من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة و
ان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على
الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ
اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره
بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم
بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثابة لمثوبة ومثوبة فان قلت المثوبة
مختصة بالاحسان فكيف جاءت بالاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة

قلت كان اليهود يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه
الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت
عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى
وقرا ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد و
وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال
ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبد وعبد بضمتين جمع عبيد و
عبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد
وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت
فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار
اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت
قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوه والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم
به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من
دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو
الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده و
قرا الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة و
مشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة
القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة
جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله
في باب الكناية التي هي اخت المجاز وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ
خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ نزلت في ناس من اليهود وكانوا يدخلون على رسول الله
صلى الله عليه وآله ويظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك
كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان
اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد
خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت
لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا
آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ
الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون
كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه

ويتدرب وينسب اليه وكان المحق في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي نهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل و الجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله شعر

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله

اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلى

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد بالدعاء بالبخل والنكد ان الذي يقسي قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وآله وكذبوه كف الله تعالى عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمتهم مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع

اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحوا ذكر رسول الله من كتبهم

ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم

ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف واصحابه والروم

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين

بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله

من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المومنين غنى عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له وإلا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطف عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في

الكلام فان قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت ما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقراءة عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفاته وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله

لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين وحرم دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم** من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان **فان قلت** فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم **قلت** في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم** افلا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون** قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله **فان قلت** ما معنى التراخي في قوله ثم انظر **قلت** معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه **قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو**

السميع

السميع العليم ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر **قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه **لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا اي ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب **فان قلت** كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء **قلت** من قبل ان الله تعالى امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه **فان قلت** ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل **قلت** معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون** ترى كثيرا منهم منافقي اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله

عليم والمعنى موجب سخط الله ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل فى قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمرى انهم لكذلك واشد وعن النبى صلى الله عليه واله ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اى علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شىء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الاخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشى انه قال لجعفر بن ابى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتيك حديث موسى فبكى النجاشى وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه واله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه واله سورة يس فبكوا **فان قلت** بم تعلقت اللام فى قوله للذين امنوا **قلت** بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التى اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التى اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب **فان قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء وهو من اثر المسبب مقام السبب وقصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اى تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا **فان قلت** اى فرق بين من ومن فى قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا امنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين

مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو فى ونطمع للحال **فان قلت** ما العامل فى الحال الاولى والثانية **قلت** العامل فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كانه قيل اى شىء حصل لنا غير مؤمنين وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول فى الاسلام لان الكافر ما ينبغى له ان يطمع فى صحبة الصالحين ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ قرأ الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده وما يذهب اليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموها لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله فقال لهم انى لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له انى حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدراج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اودى شكره قال افيشرب الماء البارد قيل نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد اكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما

فنهى عن الاعتداء اليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك
وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه
الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله
الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا
تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ
إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو
مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة بما عقدتم
الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده
الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال شعر ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه
كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من
شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله
ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند
الشافعي مد لكل مسكين وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي جمع اهل كالليالي في جمع ليلة و
الاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب
فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف وكسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف
ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ
وعن ابن عمر ازار وقميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد
ابن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار
نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل
واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى
او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق باسها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد
احداها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات
وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك
كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث
لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة
واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان
التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان

لا تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم
اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد
منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان
لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان
الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع
التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات
الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف و
الموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما
او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب و
الازلام اولا ثم افردهما اخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من
افعال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره فكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله
في علم الغيب وبين من شرب الخمر او قامر ثم افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن
الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ واحذروا وكونوا حذرين
خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد و
احذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما
كلفتم لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ رفع الجناح عن المؤمنين
في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان
والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء
المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني
ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا و
احسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم من الايمان والتقوى

والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل

يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عندما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء

يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام

حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او علم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيه العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر

بعد التقويم الى الثلث فيختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرأ السلمي فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرتفع كفارة من نصب الجزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل ذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه فينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن

يؤمن بربه فلا يخاف ان ينتقم منه في الآخرة. واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء و
ابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه
تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون صيد البحر مصيدات البحر
مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم
اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير
الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له
بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام
كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا
كما تزوده موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل
شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم
جوزوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة
بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر
فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله وقرئ ما دمتم بكسر الدال من
دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله
بكل شيء عليم البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما يجيء الصفة كذلك
قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم
لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا
لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه
من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الاشهر الحرم والهدي
والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة
الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله
يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على
الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت

عليكم

عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون البون بين الخبيث والطيب بعيد
عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان
ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال
المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديئهم فاتقوا الله
وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا
بالكثرة شعر وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا يدهمنك من دهمائهم
عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن
الايقاع بهم وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها
قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم
تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله
صلى الله عليه وآله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم (?)
وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما يروى ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن
قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اعاد مسألته
ثلث مرات فقال صلى الله عليه وآله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن
شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن اي وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة
في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي
تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما
سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم
بعقوبته عنها فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها
قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة
التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها
او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها
تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون كان اهل الجاهلية اذا نتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا
مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري
او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان

الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة ولا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون

الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة

يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون

كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال تعالى لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم وعليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره

يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين

ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم ومن غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي ان خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر او بعد الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا فيهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم

بالتحليف بعدها اعنى ذلك من التقييد كما لو قلت فى بضاعة الفقه اذا صلى الحذق فى الدرس علم انما
صلاة الظهر ويجوز ان يكون اللام للجنس ان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان يكون الصلوة لطفا فى
النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر على
انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين فان عثر فان اطلع على انهما
استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم اى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل
الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما
وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان
كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير فى يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق
اى من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه
وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به من
يرى رد اليمين على المدعى وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا
على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة
لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو على عليه
السلام وابى وابن عباس رضى الله عنهما قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم
بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين
ذلك الذى تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتى الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان
ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى فى قصة بديل واسمعوا
سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
يوم يجمع بدل من المنصوب فى قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه
او ظرف لقوله لا يهدى اى لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكروا ويوم
يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اى اجابة اجبتم
ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة
توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال
توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكى
واللجأ الى ربهم فى الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت فى اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم
فى ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكى انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة
من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول

ما فعل بك هذا الخارجى وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بى تفويضا
للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم
يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه
علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التى
منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب
على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب
علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر
نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا و
اذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى
واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر
مبين اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق
الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بنى اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات والمعجزات هذا
سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس
بالكلام الذى يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل
عليه قوله تكلم الناس وفى المهد فى موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان المهد فيه
دليل على حد من الطفولية وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت
ما معنى قوله فى المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم فى هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك
فى حين الطفولية وحين الكهولة الذى هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذى يستنبأ
فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب
والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير
باذنى بتسهيلى فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا
يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه فى شئ وكذلك الضمير فى فتكون
واذ تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ كففت
بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتى عليك كان يلبس
الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما
امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم

عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز
ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله ع أحار بن عمرو كأني خمر لأن الترخيم لا يكون
الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان
والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين
وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى ع لهم معناه اتقوا
الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا
اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع
سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند
الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها
على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل
عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب ان خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء
للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين
قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا
من العالمين اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا
عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور
العائد ولذلك يقال يوم عيد وكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما
يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل
يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا بمعنى
والتأنيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب
ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عم لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت
سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى
عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم
احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك
فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة
قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله

ويزدكم

ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي
باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها
فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فابى
احد بها قالوا لا نريد فلم ينزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيمة
لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت
علام الغيوب سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق
لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام
طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام
الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما
يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا
الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت
الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها
مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه
له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول
ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر
فمسند الى ضمير الله تعالى فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم
لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا
عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله
مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت
فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني
به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان يكون ان موصولا عطف بيان للهاء لا بدلا
وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وبما انزلت عليهم من البينات وارسلت
اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ان تعذبهم
فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت
المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام
على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه

وتجيء حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن قال الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم قرئ هذا يوم ينفع الصادقين بالرفع والإضافة وبالنصب إما على أنه ظرف لقال وإما
على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا
كقوله يوم لا تملك لأنه مضاف إلى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فإن قلت
ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار العمل وإن أريد صدقهم
في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت
معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة أما إبليس
فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه
السلام فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو
على كل شيء قدير فإن قلت في السموات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل
ومن فيهن قلت ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل
أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المائدة
أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس
في الدنيا سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات و
الأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من
طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى
أحدث وأنشأ كقوله وجعل الظلمات والنور وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء
من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور
لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وخلقتني من نار أجعل الآلهة إلها واحدا فإن قلت
لم أفرد النور قلت للقصد إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من
أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار فإن قلت علام
عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت إما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما
خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق
ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فإن قلت فما معنى ثم قلت
استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت
أنه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيمة وقيل الأجل الأول ما بين أن
يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الأول النوم والثاني الموت فإن قلت
المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده قلت لأنه تخصص

بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فإن قلت الكلام السائر أن يقال عندي ثوب
جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم قلت أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن
الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء
إله وفي الأرض إله أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك
به في هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه
عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فإن قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت إن أردت
المتوحد بالإلهية كان تقريرا له لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت
في السموات خبرا بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير
والشر ويثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين من في
من آية للاستغراق وفي من آيات للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر
والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة
خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به
يستهزئون فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما
هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه
فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء
استهزؤوا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب في الدنيا أو يوم القيمة أو
عند ظهور الإسلام وعلو كلمته ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا
من بعدهم قرنا آخرين مكن له في الأرض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله إنا مكنا له في الأرض أولم
نمكن لهم وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين
جمع بينهما في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم
من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء هو المظلة لأن
الماء ينزل منها إلى السحاب أو السحاب أو المطر والمدرار المغزار فإن قلت أي فائدة في ذكر إنشاء قرن
آخرين بعدهم قلت الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فإنه قادر على أن
ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم
ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا إن هذا إلا سحر مبين
تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم
لا ينظرون لقضي أمر إهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على
رسول الله صلى الله عليه وآله في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا

نزلنا اليهم الملئكة لم يكن بد من هلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة
التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم
من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار
اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون
لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه
رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل الى محمد صلى الله عليه وآله في اعم الاحوال في صورة
دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملئكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان
قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا
محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم
حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا
بلام واحدة وقرا الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وآله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من
اجل الاستهزاء به قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فان قلت
اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه
قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه
اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك
بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون لمن ما في
السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون
ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته
ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم
النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وقوله
الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت
معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار
وهو السميع العليم وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل
عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل
اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اولي غير الله همزة الاستفهام

دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم
ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على
المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول
والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو
يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو
يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك وهو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول
من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت
بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه وذلك الفوز المبين من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى
وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله
الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله
عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر
المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب
المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي من
يصرفه الله عنه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء
قدير وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان
يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته وهو
القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله
وانا فوقهم قاهرون قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا
القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد
قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله تعالى شيء لا
كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة
فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله
بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني
وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله تعالى اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب

والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى
محمدا صلى الله عليه وآله أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا أشهد بما تشهدون
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون
الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله بحليته ونعته الثابت في
الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا
استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من المشركين و
من أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
إنه لا يفلح الظالمون جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت
بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا وقالوا الله
أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم
نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف أين شركاؤكم أي آلهتكم
التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في
الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه
وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبري منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد
ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وإنما أنث قالوا لوقوع
الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا
بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وضل عنهم وغاب
عنهم ما كانوا يفترون من الإلهية والشفاعة فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على
حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه
من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود
ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضي عليهم وأما قول من يقول معناه
ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإفحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا
الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد
قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع

إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها
حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ومنهم من
يستمع إليك حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل
وأضرابهم فقالوا يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال
والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن
القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت والأكنة على القلوب والوقر
في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو
قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون
به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقاطعة بكسر الواو حتى إذا جاؤوك يجادلونك
هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز
أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول
الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم
يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون وهم ينهون الناس
عن القرآن وعن رسول الله واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون
وإن يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله
وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي
أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وآله سوءا فقال شعر والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا لولا الملا
مة أو حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا فنزلت ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا
ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت
أمرا شنيعا ووقفوا على النار أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار
عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
يا ليتنا نرد تمنيا للرد ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وعدا كأنهم قالوا ونحن لا
نكذب ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم
تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
فتدخل تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون كاذبا قلت
هذا التمني قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك
وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه
قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على أنه جواب

التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون** بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم **وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون** جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقال ابن عباس هي الدار الآخرة وقرئ تعقلون بالياء والتاء **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات

فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين** ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين **وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** كان يكبر على النبي صلى الله عليه وآله كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض والسلم في السماء هو الاتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي الى السماء لفعلت لعل ذلك يكون آية لك يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه **انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون** انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته

على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه ترجعون للجزاء وكان قادرا على هولاء الموتى بالكفران يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرى يرجعون بفتح الياء

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون

لولا نزل عليه آية بمعنى انزل وقرى ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تانيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله لترك الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية يضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها

وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون

امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم

فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشا الله يضلله اي يخذله ويخليه وضلاله لانه لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه

قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والكاف تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله

اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الشرطية به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه

ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون

الباساء والضراء البؤس والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم

فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون

فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون

فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة للتزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرى فقطعنا [illegible]

قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون

ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم ياتيكم به اي ياتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها

قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون

لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرى بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرى هل يهلك بفتح الياء

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح (?) بهم ويتقرح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب

اصلاحه مما كلف والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسًّا كأنه
حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرّين والأقورين حيث جمعوا جمع
العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى اليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير
أفلا تتفكرون اي لا أدّعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين
الخلق وأرزاقهم وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة
منه اي لم أدّع الهية ولا ملكية لأنه ليس بعد الالهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا
دعواي وتستنكروها وانما أدّعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الأعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادّعى المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية او الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العميان او فتعلموا اني ما ادّعيت
ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى اليّ مما لا بد لي منه فان قلت أعلم الغيب ما محله من الاعراب
قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا
هذا القول وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
لعلهم يتقون وأنذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى اليّ والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في الاسلام مقرّون بالبعث الا انهم مفرّطون في العمل فينذرهم بما أوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون
في زمرة أهل التقوى من المسلمين واما أهل الكتاب لأنهم مقرّون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم
انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فأمر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى
يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر
على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ذكر غير المتقين من المسلمين
وأمر بانذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من أرادهم
خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه
والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب
وسلمان وأضرابهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك
فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك
ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا
فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر
من مقالته قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وآله

يقعد معنا ويدنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني
حتى أمرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم
من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك
من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى و
ان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك
من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان
بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدّى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب
صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى
يهمك ايمانهم ويحرّك الحرص عليهم الى ان تطرد المؤمنين فيطردهم جواب النفي فتكون من
الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالما
مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء
منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن
العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين
اهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده
من دوننا ونحن المقدّمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لأن يكون امثالهم
على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول
لأنه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين اي الله اعلم
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق
واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم
فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم
بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما
يقول لهم ليسرّهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه
بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال
من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل
الجهلة لأن من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه

والجهل امّا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر شعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمدٍ
ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على
شي حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم
انها مفسدة **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** قرئ وليستبين بالتاء والياء مع
رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين
واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال
المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع
ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان
يعامل به فصلنا ذلك التفصيل **قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم
قد ضللت اذا وما انا من المهتدين** نهيت صرفت وزجرت بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت
من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا
فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق
ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شي يعني انهم كذلك
**قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق
وهو خير الفاصلين** ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي
وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم
به غيره ويقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل
به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال
ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان
الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقص الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل في اقسامه
وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقضِ الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين لو ان عندي
اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
وانقطاعا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم
وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل
البيان والقرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان
يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي
بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين
**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين** جعل للغيب مفاتح على

طريق

طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال
ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها
غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح و
هو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على
ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط من شي من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب
مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين
علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة
وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار
**وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى
ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة
اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم
فيه ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في
ليلكم ونهاركم **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا وهم لا يفرطون** حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن
ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شي يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه
الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة
الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف
خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف
القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم
ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت
الا ويطوف عليهم كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون
بالتخفيف والتشديد فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به او لا يزيدون فيه **ثم ردوا الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين**
ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه موليهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق
الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب
على المدح كقولك الحمد لله الحق **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية
لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون**
ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب
اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر

بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على
ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية
بالضم والكسر قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون هو القادر هو الذي
عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة
وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم
ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وآله سألت الله ان لا يبعث على
امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني
جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه
وآله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد
باحد اصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ
مستقر وسوف تعلمون والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان
ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل
نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد
منه وقيل الضمير في به للقرآن واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يخوضون
في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان
شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك
بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من
حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى
اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم
ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى
اي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من
احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان
تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا
وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو
واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام
وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا
به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من
المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا دينهم كما شرعه الله ومعنى
ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة
ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال
وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه
شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل
كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على
المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ
واما في قوله فلا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم
لعبا ولهوا قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله
كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى
الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون
قيل نزلت في ابي بكر حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعو انعبد من دون الله الضار
النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله وهدانا
للاسلام كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا
يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي
او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا
مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كالذي يتخبطه
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت
اليهم قل ان هدى الله هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته
قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انتكص مشبهين من استهوته
الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب
فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه وان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على

محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انه مقول كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم

فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم

فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله والمومنين خصوصا بينه وبين الصديق فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موقع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة

وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك قوله الحق اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب وارتفاعه على المدح

واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين

آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين

ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي

او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له

وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين

فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مود الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى

الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

بازغا مبتديا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه

فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون

هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها

اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين

اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتديها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب

فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة الى الشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية

وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون

وحاجه قومه وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هداني يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز

وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون

وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن السوال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير

القمر بالكبر لخط اللبس وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن
ربك حكيم عليم وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم
مهتدون ومعنى آتيناها إبراهيم أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة
وقرئ بالتنوين ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى
وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ومن ذريته الضمير لنوح
أو لإبراهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا
بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم
كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر
بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين آتيناهم الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب
والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي
صلى الله عليه وآله وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن
مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به
ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم
بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده في
أصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول
الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء
في المصحف وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم
تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه
حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم إذ أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته
وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه
بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من
قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وآله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام
توبيخهم وأن نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى
للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء

والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه
أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت
من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء
فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف
وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى و
التوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب
لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون
الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون على أن يناكروك
ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا
يجدي عليه إنما أنت لاعب يلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من
يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه
للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ لتنذر بالتاء والياء وسميت مكة أم القرى
لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا وقيل لبعض
المجاورين فمن تلبث في بعض القريات رحلة وأم القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل
به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة
على أخواتها ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال
سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا
أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته
تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة
الحنفي الكذاب وكذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وآله رأيت فيما يرى النائم
كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن أنفخهما فنفختهما فطارا عني
فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي ومن
قال سأنزل مثل ما أنزل الله وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي فكان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وآله وكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب
غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله
من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت

فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير
عنه ومن توليه الى غيره الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رباحا وبني رباح
العزيز العليم تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح
والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي
هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق و
قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح و
قرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا اليه
من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس
والقمر قرئا بالحركات الثلث بالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او
يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرو امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في
الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون
زمان والجر على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان
حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم
بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز العليم الذي
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر و
اضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وهو الذي انشأكم من نفس واحدة
فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم
مكان او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع
في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون
مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا
له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه
حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان
مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فاخرجنا
به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات
صنوف مفتنة كما قال تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات

كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث
والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله
وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة
باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد من غير تنفيس وامهال وانهم
يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا
يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل
معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع و
ان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة والهون
الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه
عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و
تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين عن اموالكم
واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء
لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا
قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها
لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلث وفردى نحو سكرى فان
قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم
لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى
مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي
قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت
من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد
الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والحب
والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل و
يخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات
والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض
بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون

خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدها ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء او واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيآن وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقولك كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع والملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد

للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية

بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم

بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف وهو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا من زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء

ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل

ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به يدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ

قد جاءكم بصائر من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والبينة على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون

وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول

بمعنى قريبا وعفت ودارست وغيرها بمعنى درست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة
كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا
وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على هى دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية
فان قلت اى فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة
وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات
كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه
معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فمعنى قرأ درست ودارست
درسنا الكتاب ودارسته يرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا
هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم
بوكيل هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك
زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ولا تسبوا الالهة
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي
قلت رب طاعة علم انها مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة
كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك
النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء
فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان
حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب
الالهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين
وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين
بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا
لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيخبرهم عليه ويعاقبهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها
اذا جاءت لا يؤمنون لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها
ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها واتيكم بها وما يشعركم وما
يدريكم ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها
وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها

تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا
به اول مرة وقيل انما بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس شعر
عوجا على الطلل المحيل لاننا ... نبكي الديار كما بكى ابن خذام وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون و
ترى انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا
جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون
اى يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من
الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم اى وما يشعركم انهم لا
يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اى نطبع على قلوبهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند
نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اى نخليهم وشأنهم لا نكفهم
عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اى الله تعالى وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء
للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا
ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى
كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا
به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اى عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم
يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا بها لما لا يشعرون به من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين
يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك
من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب
والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انه مفعول اول كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى
بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان
شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني
فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا
واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اى ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم
ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها
ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اى ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما
وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اى قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما

يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فلا ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلعم خطاب لامته **وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** وتمت كلمات ربك بلغت الغاية ثم كلما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيا من ذلك او ما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن **وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون** وان تطع اكثر الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في قولهم ان الله حرم كذا واحل كذا **ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** قرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين** مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله **وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين** وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة **وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون سيجزون بما كانوا يقترفون** ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر **ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون** وانه لفسق الضمير راجع الى المصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد اوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وهذا يؤيد تاويلهم بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما **او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين**

ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك عنها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات كمن صفته هذه وهو قوله في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله تعالى على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهو تسلية لرسول الله صلعم وتقديم موعد بالنصرة عليه **واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون** روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار ذل وحقارة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عنه الطائر حتى ينبو قلبه عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد وحرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب **وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون** وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا او انتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا **لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها

كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب
اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم
او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر
من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم
منهم لحكم الحقين كقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين
اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل
استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا
وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على
الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم
من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء
اي تخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب
الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس
عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من
التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء
الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون نكل بعض الظالمين بعضا فعلهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل
الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث
اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين انه بعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به
آنس وله آلف وقال الجمهور الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح
ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله
ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد صلعم يبعثون الى الانس ورسول الله صلعم
الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي
اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون
بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يتفاوت الاحوال

والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها او يريد شهادة ايديهم وارجلهم
حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم
كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم
غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة
وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء
كون ربك مهلك القرى بظلم على ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان
الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه حال اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا
برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل
ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه
عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين
وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشا
يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم اخرين
من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عم ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان اني عامل فسوف تعلمون
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم
وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا
الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور
به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
فان قلت ما موقع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة
الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في
المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل
انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم كانوا يعينون شيئا من حرث
ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة
واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ

وكان تركيبة بن عمرو وقرئ بزعمهم بالضم اى قد زعموا انه لله والله لم يامر بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك
لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اى لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها
من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك ومثل
ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين
والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل
يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي
هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم
برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان
في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف
به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرا
بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى
الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام
ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسر لما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او
اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا
هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرا الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج
وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح
وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا
هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك
التجنيس الى الله افتراء عليه اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد
لان قولهم ذلك في معنى الافتراء وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم كانوا يقولون في اجنة البحائر
والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور
والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم

من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان يكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر وان يكون مصدرا
وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو
الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس
خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان تكن بالتاء والياء ميتة وميتة وقرئ وان تكن ميتة
بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير
في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم
اى جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام قد خسر
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها لخفة احلامهم و
جهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم من البحائر والسوائب وغيرها وهو الذي
انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين انشا
جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات
ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري
والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه
مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع
داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين
وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره
وقيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع واتوا حقه
يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة واريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد
وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه
واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا
تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم
صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس

إن الله لا يهدي القوم الظالمين ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى تقليل لقوله وهما زوجان والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاج كأسا بشرط أن يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء والهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت ذكورا أو إناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم نبئوني بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم إن كنتم صادقين في أن الله حرمه أم كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فإن قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم فيما أوحي إلي تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل لغير الله به فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا فإن قلت فعلام تعطف أهل وإلام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ذو الظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل

شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت ظهورهما يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله تعالى ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم

هم شهداؤهم الذين يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم
الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم
ليهدم ما يقولون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء اليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء
معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم
ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء
بالحق وذلك ينافي الغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن
هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم
بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا به مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا
قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا
ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين
احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون
المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي
مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه
مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده
منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه
الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع
الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله
من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما
يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك
لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه
معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي

ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان
واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله
وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من
اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله
عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس
هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن
تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التورية
ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم
يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون فان قلت علام
عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء
قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال
ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما
تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة
على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين
احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر
به او تماما على احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه
على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا
ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا
على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب
على احسنه ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم
لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من
ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ان تقولوا كراهة ان تقولوا
على طائفتين يريدون اهل التورية والانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن تلاوة كتبهم
اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب
ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان تقولوا او يقولوا بالياء
فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه

من الالتفات والمعنى ان صدق فيكم ما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط
وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة
ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب **هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
او ياتى ربك او ياتى بعض آيات ربك يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون** الملائكة ملائكة
الموت او العذاب او ياتى ربك او ياتى كل آيات ربك بدليل قوله او ياتى بعض آيات ربك يريد آيات
القيمة والهلاك الكلى وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء
بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلعم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج
من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى
ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ
نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا فى ايمانها فلم تفرق كما ترى
بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما و
يسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تاتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرأ
ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذى هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه **ان
الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**
فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها فى الهاوية الا فرقة واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية
الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا
ببعض وقرئ فارقوا دينهم اى تركوا وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم فى شىء اى من السؤال عنهم
وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة باية السيف **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون** عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره
عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد
بالواحد سبعماية ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون
لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم **قل انني هداني ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين** دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا
مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف
به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين**

لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين ان صلاتى ونسكى اى عبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى وجمع
بين الصلوة والذبح كما فى قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتى وحجى من مناسك الحج ومحياى ومماتى وما آتيه فى
حيوتى واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول
المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته **قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس
الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** اغير الله ابغى
ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اى منكر ان ابغى ربا غيره وهو رب كل شىء فكل من دونه
مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل اغير الله تامرونى اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم
فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلعم خاتم النبيين فخلفت
امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض
فى الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف يشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع
والحر بالعبد والغنى بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب
بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلعم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف
ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد
كل آية من سورة الانعام يوما وليلة **سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسألهم عن القرية الى و
اذ نتقنا الجبل وهى مائتان واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم**
المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين كتاب خبر
مبتدا محذوف اى هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك
كقوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن
منشرح الصدر منفسحه اى لا تشك فى انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له
واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم **فان قلت**
بم تعلق قوله لتنذر **قلت** بانزل اى انزل اليك لانذارك به او بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن
انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته **فان قلت**
فما محل ذكرى **قلت** يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم
بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى
للانذار وللذكرى **فان قلت** النهى فى قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه **قلت** هو من قولهم لا اريتك
ههنا **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون** اتبعوا ما
انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اى ولا تتولوا من دونه من
شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم
وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب
ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا

ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اوليا. قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرا تذكرون بحذف التا ويتذكرون باليا. وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ﴿وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون﴾ فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذى هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قولهم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ﴿فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين﴾ فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وكان حين دعا ولا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر كان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس ﴿فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ فلنسئلن الذين ارسل اليهم ارسل مسندا الى الجار والمجرور ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم يسئلهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسئل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم واحوالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بما كان وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم الانبيا ﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون﴾ والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتدا وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسئل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرى القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم ويشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبيا والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضا السوى والحكم العدل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت

اعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهي حسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها ﴿ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح اليا وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾ ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم ﴿قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امرى لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا واحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السما التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصى فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبره كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض ﴿قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين﴾ فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما كان في ذلك من الابتلا للعباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده ﴿قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب من الامر اياه بالسجود لمن هو دونه وهو ما حمله على الانفة ومعصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت اليا فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا اى فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون اليا للقسم اى فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن الكاذبين المجبرة ما حكى

عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله تعالى ان لفقوا الاقاويل على الرسول وعلى الصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلعم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين مذءوما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة

والاصل الياء والهاء بدل منها فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلاوة وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة انما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصّف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسماه ذنبا وان كان صغيرا مغفورا لهما لاستعظامهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال

أي يستعاد فيها إبليس ويعاد بأنه مستقر واستقرار أو موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش إلى حين انقضاء آجالكم
وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة
ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب
وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني آدم قد أنزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون جعل ما في الأرض
منزلا من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج والريش لباس الزينة استعير من
ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح
كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى لباس الورع والخشية
من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب
من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وإما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير
ولا يخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة
من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير
وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر ونحوها
مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
على عباده يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر
بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة
وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون
لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا
لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما إنه يراكم تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم و
يغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده
من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن
زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم
عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف
وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان
أن يكون عطفا على اسم إن وأن يكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس وإذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون
الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم
بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا
يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله بعث محمدا إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون
ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء

لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار
لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل أمر ربي
بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا
هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم
مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم وقل أقيموا
وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود
وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء
يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة فريقا
هدى وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون
وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة إنهم إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين أولياء أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله تعالى لا أثر له في ضلالهم وأنهم
هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا و
اشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم أي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم
أو طفتم وكانوا يطوفون بالبيت عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع
ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا
ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته
للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم
الطب شيء والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي
قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب
في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني
ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل
هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من
الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار
تحريم هذه الأشياء وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت
هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله
ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد
خبر قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والإثم

عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان
تقولوا عليه ويتقولوا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فاجل معلوم عندك
كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل
لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة
لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت
الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم
بالتاء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون
الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن
تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق
والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ
بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم
والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان يفصل لانها موصولة بمعنى
اين الآلهة التي تدعون ضلوا عنا غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعتراف منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه
وانهم يجحدونه في العاقبة قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت
امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم
عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم
علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين
قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب فام في موضع الحال اي كائنين في جملة امم
وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع
والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا
مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم
علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون
في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم

عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في
صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين
وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ضعفا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء
والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل
وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها الحبل
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل
مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك
اضيق من خرق الابرة وقالوا الدليل الماهر الخريت للاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال
حسان جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون
ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال
زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرأ عبد الله في سم
المخيط والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن
ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم
ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في
صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون لا نكلف نفسا
الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع
التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس من
كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان
والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه
وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان
لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا
كما يرى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة
تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة او بمعنى انها والضمير ضمير الشان والحديث ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه
قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
ان في انه قد يحتمل ان يكون مخففة من الثقيلة وان يكون مفسرة كالتي سبقتا وكذلك ان لعنة الله على
الظالمين وانما قالوا ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكاية لطفا لمن سمعها

وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أنّ لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إنّ لعنة الله بكسر أن على إرادة القول أو على إجراء أذّن مجرى قال **فإن قلت** هلّا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا **قلت** حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور له باب وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولاً في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلاً من زمر السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم **وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم **وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** يقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحداً لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً وقوله وإذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفاً يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم وقرئ أُدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة **فإن قلت** كيف لاءم هذان القولان قوله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **قلت** تأويله أدخلوا الجنة أو دخلوا الجنة مقولاً لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **فإن قلت** ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون **قلت** لا محل له لأنه استئناف كأن سائلاً سأل عن أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** أفيضوا علينا فيه دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبناً وماءً بارداً وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم

من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني أن تطعما الكرى **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به **وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** فصلناه على علم عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيماً قيماً غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضّلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** إلا تأويله إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين وصح أنهم جاؤوا بالحق أو نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحاق أو نرد بالنصب عطفاً على فيشفعوا أو تكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** يغشي الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعاً والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليلُ النهارَ بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثاً حسن الملاءمة لقراءة حميد بأمره بتصريفه وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمى ذلك أمراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال ألا له الخلق والأمر أي هو الذي خلق الأشياء وهو الذي صرفها على حسب إرادته **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** تضرعاً وخفية نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفاً وطمعاً والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللاً وتملقاً وقرئ وخِفية وعن الحسن إن الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقد أثنى على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفياً وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً إنه لا يحب المعتدين أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول و
عمل قوله إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن
رحمت الله قريب من المحسنين أي رحمة الله قريب من المحسنين كقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم والترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه
بفعيل الذي بمعنى مفعول كأنه ذكر الخبر بفعيل قتيلا أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض
والصغير أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا
أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج
الموتى لعلكم تذكرون قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه
قال نشرها نشرا وإما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل و
قرأ مسروق نشرا بمعنى منشورا فعل بمعنى مفعول كالنفض والخبط ومنه قولهم ضم نشره ونشرا جمع نشير
ونشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشّره أي باشرات وبشرى بين يدي رحمته
أمام نعمته وهي الغيث الذي هو من أجل النعم وأحسنها أثرا أقلت حملت ورفعت واشتقاق الإقلال
من القلة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير
للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لأجل
بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك فأخرجنا به
كذلك مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين
إذ كل واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا
كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة والتي خبثت الأرض السبخة
التي لا تنبت ما ينتفع به بإذن ربه بتيسيره وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه
في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد
ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع
إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل وتقديره ونبات الذي خبث
وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا بإسكانها للتخفيف من الثقيلة كقوله نزه عن الريب
يعني أن هذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد
آدم وذريته منهم طيب وخبيث وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها
الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله و
هم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء أي يصرفها الله لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد أرسلنا جواب قسم محذوف
فإن قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا قلت إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة

لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان
نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على
المحل كأنه قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار
من أحد إلا زيدا وغير زيد فإن قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله
واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال
مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم
وأعلم من الله ما لا تعلمون الملأ الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب
عن طريق الصواب والحق والرؤية رؤية القلب فإن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت
الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك
ألك تمر فقلت ما لي تمرة فإن قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله
مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ
أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول
رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول فإن قلت كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت
جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان معناه كما قال أنا الذي سمتني أمي حيدره رسالات ربي
ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر و
النذائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف
وهي خمسون صحيفة وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها
خالصة للمنصوح له مقصود بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض
من نصيحة الله ورسوله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه
على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون
ما علمه نوح بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي إلي بها أوعجبتم أن جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك
وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا
لأنزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم
ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام و
يافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك
أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون أخاهم واحدا منهم من قولك
يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود
بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال
يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
وكذلك قال الملأ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من
قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك
إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أراد أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء
عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء و
ترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز
وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم
إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ
جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون خلفاء من بعد
قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق
من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في
استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب
وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم
قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام
شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت
فيه أوجه أن يكون لهود مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بحراء قبل المبعث
فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة
فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب
يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما
تعدنا استعجال منهم للعذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم
وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه
برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين قد وقع عليكم أي قد حق عليكم ووجب
أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان

أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة
فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي
إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما تعبدون من
دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم
وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود و
الهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم و
مشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق والعمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد
إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال
قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه
فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا إن قومكم
يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد
والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا
لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال الحمراء
السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة نفي
الإيمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد
ومن نجا مع هود كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم كمرثد بن سعد ليؤذن أن الهلاك
خص المكذبين ونجى الله المؤمنين وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون
الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة و
إلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح و
قيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى
قد جاءتكم بينة آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب
على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة
عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا

وانما خصت بالاضافة الى اسم الله تعالى تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من
آياته كما تقول آية الله . وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش
فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا
فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج
معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت
فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله و
عظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما
ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي
فتهرب منها مواشيهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم
مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان
يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة
من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا . تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض
ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها
بشيء من الاذى اكراما لآية الله . ويروى ان رسول الله صلعم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي
اصابهم وقال رسول الله صلعم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح قال اتدري
من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله
يعني ... وبوأكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها
من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع
الفتحة كقوله ينباع من ذفرى . فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب
قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة
قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء **قال الملأ الذين**

استكبروا

استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون للذين استضعفوا للذين استضعفهم
رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا
قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك
ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على
المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق
العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله
امرا معلوما مكشوفا لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه
وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم
به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما **فعقروا الناقة وعتوا**
عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن
امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح من قوله فذروها
تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم
بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد من العذاب
وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها
في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم
ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله
صلعم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في
حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه ويروى ان صالحا كان بعثه
الى قوم فخالف امره وروي ان النبي مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة
ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فتولى عنهم
الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من
ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو
يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا
ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت

وكان قد نصحهم فلم يسمعوا منه نصحى التي بنعته في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن
لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال
لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من
قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى
زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة
مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم مسرفون انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار
والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا
حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من
جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم
مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو
انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد
الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه من انكار الفاحشة
وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظه ونصحه وقولهم انهم
اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة
لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله الا امراته كانت
من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين واهله ومن يختص به من ذويه او
من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت والمؤتفكات للمؤتفكة خمس مدائن وقيل
كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له
الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال
مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري ان يكون غير مطور ومعنى مطرتهم اصابتهم
بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر
علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا

في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان
بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع
العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه
والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا عليه الصلاة و
السلام فيه ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات
لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل
المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما
يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال
بخسته حقه اذا انتقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم
كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين و
روي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها
بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل
والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس
والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم
مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل
الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون
عن سبيل الله وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه عن
سبيل الله وتبغونها عوجا فان قلت صراط الحق واحد ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود و
احكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في
آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موقع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق
والمراصد ويقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل
كانوا يقطعون الطرق وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها

الناس بانه سبيل معوجة غير مستقيم لتصدوهم عن سلوكها او لتخلطوا بغيا او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون
لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر
وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله
في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم
اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح
وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا
اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين
الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار
وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين
لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير
الفاتحين اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود
في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون
لنا ان نعود فيها والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر
قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد
كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى
ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم
نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء ربنا والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه
الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا فتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم
والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف
تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على
الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله
حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة او لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام
والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي
لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين قومنا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين
قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير
الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار

مقيد

مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على
الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله
الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين
له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله
لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم
للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى
كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس
والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته
اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا
شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين
اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم
الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم
وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال
العجاج ع واغلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال كيف يشتد
حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد
اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى
عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون
الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم
وتعززهم عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم
بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا
ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى وقال الحطيئة شعر بمستاسد القريان عاف نباته وقال شعر ولكنا يعض السيف منا
باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني واطرتهم النعمة واشروا فقالوا
هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله

لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ
وافظعه وهو اخذهم فجأة من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون اللام في القرى اشارة الى القرى
التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا
آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم
بالخير من كل وجهه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان
يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما ييسر امر
الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه
بالتلقين افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم
بأسنا ضحى وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى
التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كما تقول ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال
اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والواو والفاء في
اوامن وافامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت
الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى
الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا
فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ
او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فان قلت فلم
رجع فعطف بالفاء قوله افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب
الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس
ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون قرئ اولم يهد ونهد بالنون والياء وان لو نشاء مرفوع بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه
قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى اولم نبين لهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم
قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت

هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه
المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا
التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة
لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى ونقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا
قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت
ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل
او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل
اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات
ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان
وجدنا اكثرهم لفاسقين وما وجدنا لاكثرهم الضمير للناس على الاطلاق اي وجدنا اكثر الناس
من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا
اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين
وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول
ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم
موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من بعدهم الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد
ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب
الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه
وهو موضع الايمان وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك
فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية
فأت بها ان كنت من الصادقين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق
علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة أبي
وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله شعر
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع
والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له

أن يغضبن حقيق بمعنى حريص كما ضمن هَمّ معنى ذكر في بيت الكتاب إذا تغنّى الحمام الورق هيّجني ولو تعزيت عنها أم عمار
والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما
وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق
أي واجب علي قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به فأرسل معي بني إسرائيل فخلّهم
حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي
انقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام فإن قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله إن كنت جئت بآية قلت معناه
إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فألقى
عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه
ثعبان وروي أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه
الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً و
دخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى
فعاد عصاً فإن قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان
بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما روي أنه
أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضاً
نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة قال الملأ من قوم فرعون إن
هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم إن هذا الساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس
بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصا حية والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في
سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله
ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم
الرأي فيكلم من يليه من الخاصة ثم يبلغونه العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه و
أخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار أي بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو خير
منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار
عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم
كأنه قيل فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخّرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك
فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجاه وأرجأه وجاء السحرة
فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين فإن قلت
هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا
إن لنا لأجراً أي جعلاً على الغلبة وقرئ إن لنا لأجراً على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا

لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلاً وإن له لغنماً يقصدون الكثرة فإن قلت
وإنكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه
قال إيجاباً لقولهم إن لنا لأجراً نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب
وحده وإن لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل
إليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من
يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحراً لا يطيقه سحرة أهل
الأرض إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفاً وقيل سبعين ألفاً
وقيل بضعة وثلاثين ألفاً واختلفت الروايات فمن مقلّ ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل
نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحر قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن
نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل
أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين
فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف
الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة
بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً سحروا أعين الناس أروها بالحيل
والشعوذة وخيلوا إليها خلاف الحقيقة كقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى روي أنهم ألقوا حبالاً
غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضاً واسترهبوهم وأرهبوهم
إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم و
جعلوا فيها ما توهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف
ما يأفكون ما يأفكون ما موصولة أو مصدرية بمعنى يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه
أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى رجعت
عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا
سحراً لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قاس وقيع وانقلبوا
صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون وألقي السحرة وخروا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم
ألقوا عن قتادة كانوا أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله قال فرعون آمنتم به
قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون
لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين آمنتم به على الإخبار أي فعلتم هذا
الفعل الشنيع توبيخاً لهم وتقريعاً وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد إن هذا

لمكر مكرتموه في المدينة ان صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى الصحراء
وتواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون
تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر أتؤمن بي ان غلبتك قال
لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاؤمنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد
مجمل ثم فصّله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا
وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون **قالوا انا الى ربنا منقلبون** انا الى ربنا منقلبون
فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او
ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله
فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه **وما تنقم منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** وما تعيب منا الا الايمان
آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه
قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى تفيض علينا وتغمرنا
كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحيا والخجل
وصب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا
كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون**
ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك
آلهته فكأنه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة شعر ألم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ و
يذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى أتذره ويذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستأنفا او حالا على معنى
اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كأنه قيل
اصدق فاكن وقرأ انس ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلاهتك اي عبادتك
وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا
ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام
الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا
محنّاهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر
لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم
ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل
من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها **قلت**

هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض
لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها
من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله لا محالة والعاقبة للمتقين
بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبي وابن
مسعود عطفا على الارض **قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون** اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد
موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن و
يمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك
فرعون واستخلافهم بعده في الارض فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة و
كفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان
فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة
كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم
ومواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة لعلهم يذكرون
فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا
وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او
جوع او حمى لما ادعى الربوبية **فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون** فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه
اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة
من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا
كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه من عندك **فان قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا و
تعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما
السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء
طائرهم عندهم اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة
والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم
عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله
النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير
ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**
مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت
فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس
من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن

لك بمؤمنين فإن قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية
تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في
معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة
في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني
أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت
فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فإن قلت كيف سموها آية
ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء
والتلهي فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما
مجرمين الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة
شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت
بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل
بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام
وعن أبي قلابة الطوفان الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا
لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع
ما لم يعهد بمثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم وأكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف
البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام
خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي
ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحنان في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد
قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب
أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها
إلا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فأخذت في أبشارهم وأشعارهم
وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها
آنيتهم وأطعمتهم فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا شرابا إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل إذا أراد أن
يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي
تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا إلى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ
عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا إلى فرعون فقال
إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان
من ماء واحد فيخرج للقبطي دم وللإسرائيلي ماء حتى إن المرأة القبطية تقول لجاريتها الإسرائيلية اجعلي الماء في
فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فإذا مضغها
صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي

أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص
النفوس والثمرات قال يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرئ والقمل
بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات
لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض
بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم ولما وقع
عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء إما أن يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك
من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك وإما أن
يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى أجل هم بالغوه إلى حد
من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله إذا هم
ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم
فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم واليم البحر
الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين به يقصدونه بأنهم
كذبوا بآياتنا أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما
صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو إسرائيل
كان يستضعفهم فرعون وقومه والأرض أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف
شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد أن
نمن على الذين استضعفوا إلى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني إسرائيل
مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر
ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن
عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر
وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا
يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي أنشأ جنات معروشات
أو وما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي
أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفا منه وهذا آخر ما
اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما
أحدثوه بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر
وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم أن حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول

كمن الأمن عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وآله مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة
قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون روي أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء
بعدما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يواظبون على عبادتها
ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل قوم من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين أمر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه
وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا إلها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها وما كافة
للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي عليه السلام أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه
فقال قلتم اجعل لنا إلها ولما تجف أقدامكم إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى
فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع إن هؤلاء يعني أن عبدة تلك التماثيل متبر ما هم
فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون أي ما عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا إلى الله كما قال وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وفي إيقاع هؤلاء اسما لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأوثان بأنهم
هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا
قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين أغير الله أبغيكم إلها أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا
وهو فضلكم ما فعل وخصكم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به
غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله وإذ أنجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها فإن قلت ما محل يسومونكم قلت
هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون وذلكم إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب
والبلاء النعمة أو المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات
ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين روي أن موسى
عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون و
ما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين
أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله
إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام
من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة
في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت
وضربه له وأربعين ليلة نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهارون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على
النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل

ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر
إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له
وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا
في اللوح وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه أربعين يوما وأربعين
ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر إليك فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك قلت معنى أرني نفسك
اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن
تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة
هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك
وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك
ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة
إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت
الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم
ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا
وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا
وتمادوا في لجاجهم فقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك
فإن قلت فهلا قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله تعالى إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام
رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس
فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته
عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب
به أو ما يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم
دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل و
الشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا
تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان
لأن المنفي مناف لصفاته فإن قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله
قلت اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل

الذي يجب على مثله من طلب الرؤية لاجرم كيف فعل به وكيف جعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريتك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكا مستوية ومنه قولهم ناقة دكا متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكا اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكا وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك عما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس

فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصار القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله نبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة

وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدلا منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فأبى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف

بسببه ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي لقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ من بعده من بعد فراقه إياهم إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم ﴿ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا أنهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ الأسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله فإن قلت أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فإن قلت أي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم

عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا وألقى الألواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف ابن أم قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها إن القوم استضعفوني يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ فلا تشمت بي الأعداء من الشماتة والمراد أن لا يحل بهما يشمتون به لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا أو لا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء قال رب اغفر لي ولأخي ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ غضب من ربهم وذلة الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها

قوله هدى ورحمة الآية فيه يجوز أن يكون المراد بالهدى إرشاد سبيل الحق وبالرحمة الثواب والجنة المرتبة على سلوك طريق الهدى ويكون عطفا تفسيريا للهدى كأن

﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها إلى الله واعتذروا

كلام ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن
عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت
اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفى غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر
الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ويقول لك ضربت وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا
لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا
إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من
اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من
الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب
عنهم الجهل والصبى فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه
ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال
رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت
الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما يرى من تبعة طلب
الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الى
بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهداية منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا
حسنة عافية وحياة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا
رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول
بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها او حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على
هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي
من وجب في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة

تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فسأكتب
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وآله الذين
هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ
يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ
عَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه
من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم
وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم
الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة
وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم و
صعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو
بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من
الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت
تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية
يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف
واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو
المنع والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه
كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته و
بما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى
ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله و
على كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان
يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره
من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين
اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلعم الى كافة الانس و
الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون
منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف
بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه

بالالهية لانه لا يقدر على الاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد انه اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل لعيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وآله وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحا وكم عليهم شيئا من تقدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وآله الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد

وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل واسباطا بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم اسباطا لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا من ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم على البناء للمفعول واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واسألهم وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي عليه السلام لا يُسبتون بضم الياء من اسبتوا

وعن الحسن لا يسبتون لا يبنون على البناء للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت
اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه
قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا
بكانت او بحاضرة واما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك
واكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم
كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان فى بيته
فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت امة منهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون
واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم
الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم اى مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم فى الشر وانما قالوا
ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب
فى النهى عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا فى ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب
اى وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين فلما نسوا يعنى اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين
هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما
قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى
حال المنهى وان النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله فى باب العبث الا ترى
انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم
فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان
ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم فى امرهم كما وصف الله
رسوله فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون
منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين
قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا
لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم
الذين اخذوا الحيتان روى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا
السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا
سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم
ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت

فلا يقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى
الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما
لم يره عذب اخذ فى السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا
وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون
قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب
وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج احد من المعتدين
فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها
من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول الم
ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها
اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم
عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس
باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال
كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب
همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه
فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم تاذن ربك
عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجرى
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب
على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان
بعث الله محمدا صلعم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله
بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم
منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف
منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف
معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون
فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التورية بقيت

في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون
عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير
والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه
من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفعل
مسند الى الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة
والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة
ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه
كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله
شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية و
الدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ورّثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء
وادّارسوا بمعنى تدارسوا وافلا يعقلون بالتاء والياء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت
هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقوّل عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان
ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على
الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم
ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسّكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين والذين
يمسّكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم
لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون وقوله انا لا نضيع اعتراض وقرئ يمسّكون بالتشديد
ويعضده قراءة ابيّ والذين مسّكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف
افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا
بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما
فيه لعلكم تتقون واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا
نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا
انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم
مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل
منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا
على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق
جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم
على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه

وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم
فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة و
الانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
افتهلكنا بما فعل المبطلون من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم
من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا
من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم
وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال
لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في
كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة
على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم
فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة
التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا
بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اخلافهم
المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على
انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت هي عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم
عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا افتهلكنا
بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك
نفصل الآيات ولعلهم يرجعون وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين واتل عليهم واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها
من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه
خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا
اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى
فعل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث

أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ولو شئنا لرفعناه
لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى
ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة
والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض
فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على
ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج وطرد
او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم
يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى
الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب
في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه
وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله
لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا
في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرؤوا نعت رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة وذكر القرآن المعجز
وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته
من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون ساء مثلا القوم اي مثل القوم وساء اصحاب مثل القوم لما حذف المضاف
انتصب اصحاب مثل على التمييز لان تقديره ساء الاصل وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا
يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله
وظلمهم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون
حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم
لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى
عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم
لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على

توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام قد اتخذوا
لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله مع
علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار اولئك
كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه
والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها
فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك
الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها
فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم
يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد
قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف
الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون
في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية و
نحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من
العزيز وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا اخبر ان
كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي
صلى الله عليه وآله انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وعن النبي عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين
آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة
بعد درجة قال الاعشى شعر فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك
القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب
طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم
في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان
هو الا نذير مبين واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي
متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان

ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وآله من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي
صلى الله عليه وآله علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون
بات يهوت الى الصباح أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض فيما تدل لان من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم
الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه
عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم و
لعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان
يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فبأي
حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف
ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك
عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات و
الارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يسألونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا
منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت
القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من
الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي
فعل من اويت اليه لان البعض آوٍ الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان
وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته و
استقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت
في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا
من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل
الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو
وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره
الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى
ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها و
اهوالها ولان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلعم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة

عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء
البقل استئصاله واحفى في السؤال اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها
السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل متعلق بيسألونك اي يسألونك
عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك
عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة
عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال
عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت
لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء
الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه
العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون قل لا املك هو اظهار
للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا
دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي
على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها و
لم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير
ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير
جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي
الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن
اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا
لنكونن من الشاكرين من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم
من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان
الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده و
يحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة ومنها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين
ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي
كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن
من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه علي حين حملته
فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت
به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وغيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه
وافتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق
بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا ولدا صالحا وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا

لان الذكورة من الصلاح والجودة والضير فى آتينا وليكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى
جعلا له شركاء اى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما
اى آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريان من الشرك
ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان
عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله وهم آل قصى الا ترى الى قوله فى قصة ام معبد: فيا لقصى ما زوى الله عنكم * به من فخار
ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد
الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد
الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه
وقرئ شركا اى ذوى شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا فى الولد أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اجريت الاصنام مجرى اولى العلم فى قوله وهم يخلقون
بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شىء كما يخلق الله وهم يخلقون
لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شىء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم
ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعوا عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين
يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا
منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم فى انه لا فلاح معهم
فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا
الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم
فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون الذين
تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
استهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل
بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال ألهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم
وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم
والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فانى لا ابالى

بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان
نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون ان وليى الله اى ناصرى عليكم الله الذى نزل الكتاب الذى اوحى الى الكتاب به
واعزنى برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ينظرون اليك يشبهون الناظر
اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشىء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين العفو ضد الجهد اى خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلا
قهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام
يسروا ولا تعسروا قال خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل
من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان يأخذهم بها طوعا او كرها والعرف المعروف والجميل من
الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما
نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادرى حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضى الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية
اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه
والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده و
روى انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد
بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابى بكر ان لى شيطانا يعترينى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون طيف من الشيطان لمة
منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال: انى الم بك الخيال يطيف. او هو تخفيف طيف فيعل من طاف
يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من
وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان و
المام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم
واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم فى الغى اى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا
يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله: قوم اذا الخيل جالوا فى كواثبها. فى ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان
يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان
اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير فى اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اجتبى الشىء بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه

اي خذ كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي فلست بمفتعل للآيات ولست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم وسلامه ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلعم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلعم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه

اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بالمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين

حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني
عنه وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم صلوات الله عليه واله في قوله
والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة
علو منزلة ومغفرة وتجاوز لسياتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل
التعظيم وهذا معنى الثواب **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون**
يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون كما اخرجك
ربك فيه وجهان احدهما ان يقع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب
والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول وبثت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او
المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق
اي اخراجا متلبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال
اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من
السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث
بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم
احدى الطائفتين اما العير واما النفير فاستشار النبي صلى الله عليه واله اصحابه وقال ما تقولون ان
القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من
لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو
جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه واله ابو بكر وعمر
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه واله فقال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من

من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان
النبي صلى الله عليه واله يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد
بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا
انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه واله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه
واله لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان
فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه واله تلقي النفير لايثارهم عليه
تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه واله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم
يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه
ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان **واذ**
يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ منصوب باضمار اذكر
انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها
ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة
ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة
وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الاخر فاعل من
دبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله تعالى يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين و
نصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين فشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة
وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته
على التوحيد **فان قلت** بم يتعلق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما
فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه **فان قلت** اليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين
متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على
غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان
يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **اذ تستغيثون**

فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما
النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم فإن قلت بم يتعلق إذ تستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم و
قيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب
انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هؤلاء هذه العصابة لا
تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك أني ممدكم وأصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة
من القول فإن قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على
الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب عليه السلام في صورة الرجال
عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب
ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة
فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت
ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه
بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد
كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم
صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله ردف لكم بمعنى ردفكم
وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده ولا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى
متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض
أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين أيديهم وهم
على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد
هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله
مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الأصل أو على إتباع الدال وبالضم على إتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة
آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة أخرى والمردفين
بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت
إلام يرجع الضمير في وما جعله قلت إلى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم فإن قلت ففيمن قرأ
بالكسر قلت إلى قوله إني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل
عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الإمداد

بالملائكة

بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من
الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من
نصره الله إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين
عذاب النار إذ يغشيكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند والضمير لله تعالى وأمنة مفعول له فإن
قلت أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون
انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم ومنه صفة لها أي أمنة
حاصلة لكم من الله فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز أن يكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينيمكم إيمانا منه
أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم
أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو
على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة
حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر و
لقد ألم به من قال يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة
ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف
والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور رجز الشيطان
وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل
لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم
فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق
ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا
وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله
صلى الله عليه وآله وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز
أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال إذ يوحي يجوز أن يكون ثالثا
من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول
كقوله إني ممدكم والمعنى أني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم
فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة
ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال
وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول

الى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكشفن ويمشي بين الصفين ويقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم
تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها جزا وتطييرا للروس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال
واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الا
يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او على غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم
النوعين ومما يجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال
قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب
العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من
الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا
في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق و
ذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل واحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل
ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه
وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش
الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر
والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم
او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم
يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله
ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب
من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها
وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير
المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من
اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء
متفعل منه متحوز فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل
يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم

بها فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء
النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية
التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله
حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان
اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير شعر
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم
باحوالهم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله
موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة
وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان
تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة قالوا اللهم انصر
اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا
اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا
عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وقرئ وان الله
بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع
المؤمنين كان ذلك وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون ولا تولوا وقرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله
عليه وآله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء
واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احد الطاعتين اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله
وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم
ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة رسول الله في
بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر
الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم
ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ولو علم الله في هؤلاء الصم
البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم

لما نفعهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا
وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون
نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج
هم المنافقون وعن الحسن هم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون اذا دعاكم وحد الضمير ايضا
كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وآله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر
للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وآله مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم
تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص
به رسول الله صلى الله عليه وآله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع
صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة
وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلب
واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه
العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره
فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قصد الى حذف الهمزة والقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين
اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر
او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فان كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت
نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب
ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول
فيه هذا القول لان فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود
لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي عليه السلام وعمار وطلحة والزبير وهو
يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن

السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وآله يوما اذ اقبل
علي عليه السلام فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله
بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف
جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا
تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا
منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان
يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون اذ انتم نصبه
على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل
الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين
فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس
واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم
في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في
ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل
خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف به ومنه قوله وتخونوا اماناتكم
والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها
وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد
لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وعن الحسن وروي ان النبي صلعم حاصر يهود بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا
من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد
خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد
تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي يحلني
فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من
مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان
وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب
قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرئ

مجاهد وتخونوا اماناتكم على التوحيد ﴿واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم﴾ حبل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده ﴿يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اني ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فامر عليا عليه السلام فنام في مضجعه وقال اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا عليه السلام فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرئ ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالاوثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم﴾ لو نشاء لقلنا مثل هذا وقاحة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم اذ كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان

يتماسم واحد فتعلقوا باستراق المشية ويع ما علم وظهر من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وآله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم وانما يجمع هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم لقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباله ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة وعبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه

ثم بذلك لكثرة مكاية واصله الصفة نحو الرضا والغوا وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية
التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب
على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام **قلت** هو نحو قوله وما كنت اخشى ان
يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضع المكا
والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاته يخلطون
عليه فذوقوا العذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة **ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون
والذين كفروا الى جهنم يحشرون** قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر
وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر
وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق
الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة انفاقها
ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين
سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون** ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار
من الفريق الطيبين من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى
يتراكموا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل
ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى
بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك
اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين** قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم
هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا
عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان
يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين
تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن
الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه
السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق

ويبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في
حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى **وقاتلوهم حتى لا
تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا
ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط و
يكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان
الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ بما تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد
في سبيل الله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء و
ان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** ان ما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب
ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت
للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر
واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى للايجاب من النص
على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم
انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي
فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي
للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاءه بعضهم دون
بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه
قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وآله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق
الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل
وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله
تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه

قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا والمعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم** اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في القنية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والاخرى بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاءت القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم **قلت** الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيه الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر تعالى من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه

واعلا

واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وآله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالاظهار والتضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه **إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور** اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله تعالى اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور** واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور **فان قلت** الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم **قلت** قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا **فان قلت** باي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة**

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البدائع والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان ويجوز ان يكون مجزوما لدخوله في حكم النهي ويدل على الجزم قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتاء والجزم وقراءة من قرا ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله **شعر**

اتنظران قليلا ريث غفلتهم ... ام تعدوان فان الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور نهاهم عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد بخلافهم رسول الله صلى الله عليه وآله من فشلهم وذهاب ريحهم **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم **واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب** واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية قال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ منه في يوم عرفة لما يرى من تنزل

الرحمة الا ما رئي يوم بدر **فان قلت** هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا **قلت** لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هولاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي **ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق** ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ تتوفى بالتاء والياء والملائكة رفعهما بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يضبر ثم يعطى الرجل القوي البطش سيرا عمل من حديد لهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا **ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد** بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم** الكاف في محل الرفع اي دأب هولاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال **فان قلت** فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية الى المسخوطة **قلت** كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين** كدأب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من فرق القبط وقريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي **ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون**

الذين كفروا فهم لا يؤمنون اى اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان ولعلهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النبذ وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على سوى في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح على انه تعليل وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفاعل الذين كفروا وقيل فيه اضمار ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز

ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر شعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون به وقرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم يعني اهل مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحد وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا يجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وآله

ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرى حرص بالصاد غير معجمة حكاها الاخفش من الحرص وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثماية راكب قيل ثم ثقل عليهم وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء فلما كثروا بعد نزل التخفيف وقرى ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرى الفعل المسند الى الماية بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والماية الالف وكذلك بين مقاومة الماية المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم وقرى للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداوهم ماية اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما

اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السما لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرى يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الاخرة للتقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم ولم يقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرى من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ

ما قدروا على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقيل المخرج وشبهه مما اخذ منكم على ايمانكم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالكسر والفتح اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون اية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية التسمية كما في سائر السور قلت سال عن ذلك ابن عباس عثمان فقال ان رسول الله صلى الله عليه واله اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه واله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه واله قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما يقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه واله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه واله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا عليه السلام راكبا العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه واله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل

فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا عليه السلام فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اشيء نزل في من السماء فقال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك علي عليه السلام فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم وأذان

من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين

وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على

المنوي في بريء اي بريء هو وعلى محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه فان قلت مما استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وآله فانشد

لاهم اني ناشد محمدا · حلف ابينا وابيه الاتلدا · ان قريشا اخلفوك الموعدا · ونقضوا ذمامك المؤكدا · هم بيتونا بالحطيم هجدا · وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم

فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم

انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس خلوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر

وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون

احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي عليه السلام فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله

يتعلق ان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما
حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام في معنى الانكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد
عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد
فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين
عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا
امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني
ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم
بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد
وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال شعر وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة
انشد لحسان شعر لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ
ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبر الرحمن من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت
الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا او تحالفوا رفعوا به اصواتهم و
شهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت اليلها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد و
ميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا
في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة
ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم
ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا
يعملون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم
المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على
حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهو اعتراض كانه قيل ومن
تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم لعلهم ينتهون وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع

ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا و
اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا
عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر و
ذوو الرئاسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز
قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع
يمين وقرئ لا ايمان اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت
كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم
على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم
يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن
غرضكم في مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من
غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي
بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس
بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج
الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الا تقاتلون
دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها
في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وآله جاءهم اولا
بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم
فما يمنعكم من ان تقابلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم
بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب
حقيق بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه
كقوله ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم
ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة
من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحة نبوته ويتوب الله
على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس

منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخل التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى
والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى
انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم
يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ولما معناها التوقع
وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين
وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم
والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي
العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام
واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد
كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد
واذا لم يصلحوا ان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته
وهو آكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك
بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اسر المهاجرون
والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله
وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال او لكم محاسن
قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت
اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة
اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون
بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة
هؤلاء وان تكون معتدا بها والعمارة يتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح
وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد
من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وآله يأتي في آخر الزمان ناس من امتي

ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث
الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله ان بيوتي في ارضي المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره
وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وآله اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان
وعن انس من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فان
قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول
لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك
احدهما من صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت
هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران
احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام و
يرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الا
هتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا
الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون
انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء
ورفض الاغترار بالله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم
خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة
والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى
انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما
بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد
واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا عليه السلام قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون
برسول الله صلى الله عليه وآله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج البيت واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله
من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ يبشرهم
بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي
في المهاجرين خاصة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر
على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم

وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وآله لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد وعن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال:
وكم من موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعها من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين عليه السلام على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا

ورب الكعبة قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم تخرج من ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم

ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين وقع الهرب وأنزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون وإن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي عليه السلام حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة

ان خفتم عيلة بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف قال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وعيلة مصدر كالعافية او حال عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ويحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله تعالى يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى يده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا تسقط بخراج الارض اختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله صالح على عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط من الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون** عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وآله سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون** اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة له قال الله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق هذا الوثن عنك فالقيته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الفضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم **يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون** مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره **يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال

يوكل بها فهو سبب للاكل ومنه قوله يأكل كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا
يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير
من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن
الانفاق في سبيل الله ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود و
النصارى تغليظا ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة و
عن النبي صلى الله عليه وآله ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان
ظاهرا وعن عمر ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت واحفر له تحت فراش امرأتك قال اليس
بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته
فهو الذي ذكر الله وان كان على ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله
صلى الله عليه وآله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له فاي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
صالحة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان
يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب
عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون
فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء
مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي عليه السلام اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز
كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ
لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل
ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما
فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد **قلت**
معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت**
فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت
النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم يذكر القصة قلت
رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت**
لانهم لم يطلبوا بالاموال حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم
وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل الطيبات يتضلعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم
وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم

كانوا

كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناها يكوون
على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به
نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ
لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين

إنّ عِدّةَ الشّهورِ عندَ اللهِ اثنا عشرَ شهرًا في كتابِ اللهِ يومَ خلقَ السّمواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدّينُ القيّمُ فلا تظلموا فيهنّ أنفسَكم وقاتلوا المشركينَ كافّةً كما يقاتلونكم كافّةً واعلموا

في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة و
ذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى
ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في
ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا
حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت
وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم
حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور
كافة حال من الفاعل والمفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها

إنّما النّسيءُ زيادةٌ في الكفرِ يُضَلُّ به الّذينَ كفروا يُحلّونَه عامًا ويُحرّمونَه عامًا ليواطئوا عدّةَ ما حرّمَ اللهُ فيُحلّوا ما حرّمَ اللهُ زُيّنَ لهم سوءُ أعمالِهم واللهُ لا يهدي القومَ الكافرينَ

النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر
آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه
ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر
وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي
هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال
تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا
احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث ذلك في كنانة لانهم
كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل
في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد
كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله تعالى

وقرأ الزهري النسي بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك
مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسء بوزن النهي وهما تخفيفا النسيء و
النسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير
تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا
اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل
وهو الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل اثاقلتم تثا
قلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف
الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون
اذا قيل لكم كما تعمل في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس
تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض في جنب الآخرة الا تنفروا
يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير
الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة
وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص الا
تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله
جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا
اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه
اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسند
اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه
ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر روي ان جبريل
صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون
واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه
ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وآله ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي
سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا
دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل وفيها
تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون خفافا وثقالا خفافا
في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام
مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج و
عن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا
على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله
يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل
صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة لو كان عرضا قريبا و
سفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون العرض ما عرض لك من منافع الدنيا فقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا
الشقة المسافة الشاطة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر الشين والعين ومنه قوله يقولون لا يبعد
يد فونهم ولا يجد الا ما توارى الصفائح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا لخرجنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما
يكون بعد من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة
الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم
اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما
يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة
بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو
استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وآله ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده بالاضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في قلوبهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وآله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وآله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وآله قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين

يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله على الثنية ليلة العقبة ليفتكوا به وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا منه وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو ما كتب الله لنا ما خصنا بانه لنا من النصرة عليكم او الشهادة هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين

من الدوائر أما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود أو
بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
فلا بد من أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه **قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم
قوما فاسقين** أنفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو كارهين
فإن قلت كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم **قلت** هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئي
بنا أو أحسني لا ملومة أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أم أحسنت
فإن قلت متى يجوز نحو هذا **قلت** إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له
فإن قلت لم فعل ذلك **قلت** لنكتة فيه وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي
وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة
وفي معناه قول القائل **شعر** أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود
وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين
حال الاستغفار وتركه **فإن قلت** ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وآله
تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا ضائعا لا ثواب له **قلت** يحتمل
الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الإلزام
إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم
لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم
وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله هذا
مالي أعينك به فاتركني إنكم تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو **وما منعهم أن تقبل منهم
نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ولا ينفقون
إلا وهم كارهون** أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن يقبل بالتاء والياء على البناء
للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى
بالنون والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا
يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول
الله صلى الله عليه وآله كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية وأن الكسل من صفات المنافقين
فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه **فإن قلت** الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله
طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون **قلت** المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من
رسول الله صلى الله عليه وآله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة
واختيار **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله

قال الزجاج معنى الآية الشرط والجزاء اي ان انفقتم طائعين او كارهين فلن يتقبل منكم

إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق
منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه
وفي تربية أولادهم **فإن قلت** إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون **قلت**
المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه إلى أن يموتوا و
هم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة **ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون
ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون** لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل
وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية ملجأ مكانا يلجؤون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو
جزيرة أو مغارات وغيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته
أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا
أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا
يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب متدخلا وقرئ لوالوا إليه لالتجأوا إليه وهم يجمحون يسرعون إسراعا لا
يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون و
يشتدون واحد **ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها
إذا هم يسخطون** يلمزك يعيبك في قسم الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي
الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك إن
لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما
ذهب قال عليه السلام احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل و
البناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول الله
صلى الله عليه وآله استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه وإذا للمفاجأة أي
وإن لم يعطوا منها فاجأوا السخط **ولو أنهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله
من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون** جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى
ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه
وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله
في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم
حكيم** إنما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها
كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف
إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة
والتابعين أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين
فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي وعند الشافعي لا بد من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها

تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم يعني انه اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه فبلغه ذلك فاشفقت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فنأتيه ونحلف له فيصدقنا بما نقول فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه فآمن له لوط انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة

لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ** المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ** كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت فيهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ ان نعف عن طائفة نعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**

نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون بعضهم من بعض تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول المسلم كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون الكاف محله رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو وخضتم كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك المقدمة حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم

حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم أجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله أكبر وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المتقين المهديين المرضيين عنده ذلك إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان أي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير أقام رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر

قوله ويطيعون الله إجمال بعد التفصيل قوله ويؤتون الزكوة في
مقابلة قوله ويقبضون

من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل
على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد
عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وآله وذلك عند مرجعه من
تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام
راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وآله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان
اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل
ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بديته اثني عشر الفا
فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ
لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم
مُّعْرِضُونَ** روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه
وآله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وآله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال
لهما رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه
وآله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن
ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ
يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ
اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان
سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك
عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد
ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد الم تعلموا بالتاء عن علي عليه السلام سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق
والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها
**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا
من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله

حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية
آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من
تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم
الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم
الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم **اسْتَغْفِرْ
لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه
وآله وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي
فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه
قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون
جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب عليه السلام **شعر** لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي
النواصي **فان قلت** كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته
والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف
عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين **قلت** لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال
اظهار الغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ع ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
صلى الله عليه وسلم الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي
الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله من
المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم
ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه
على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين
وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على
الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان ودواعي الايقان
قل نار جهنم استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم **شعر** مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ** معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون
غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم **فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ**

إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم
بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على
التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك
للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره
وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر
اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن
قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر
رجلاً قيل فيهم ما قيل ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض
رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر
لي لا لتؤنبني وسأل أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله
عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم الشيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله
فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل فإن قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه
قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله لما أخذ أسيراً ببدر
لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طوالاً فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا نأذن لك
لا لمحمد فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولجابته إلى مسألته إياه
فقد كان عليه السلام لا يرد سائلاً وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام ولإكرام ابنه الرجل الصالح فقد
روي أنه قال أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلماً بأن تكفينه في قميصه
لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفاً لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت
إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا
السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك ترحمه
واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك
دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتماً عليه فإن قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت
لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما
أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخادع فإن قلت لأحد وإنما قيل مات وماتوا
بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة [illegible] ولا تعجبك أموالهم ولا
أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وقد أعيد
قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه
ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء
الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه

وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب
على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن آمنوا هي أن المفسرة أولو الطول ذوو الفضل
والسعة من طال عليه طولاً مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم
وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من
الشقاء والهلاك لكن الرسول أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً
كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً فإن استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين
لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم المعذرون من عذر في الأمر
إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء
في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت
بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف
وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالاً وإن بنا جهداً فأذن
لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا
فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم
في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله و
رسوله هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم
الإيمان وقرأ أبي كذّبوا الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا
لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون
الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن
وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين ما على المعذورين الناصحين
ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا
أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل
على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم
فهم لا يعلمون قلت لا أجد حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاءوكم حصرت صدورهم
أي إذا ما أتوك قائلاً لا أجد تولوا ولقد عذر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة

والذين عذروا الله الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم وقيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وآله ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء

القربة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك فقال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وآله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة

قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاماً مبتدأ أو صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ومردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وعن ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناساً وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزلت خذ من أموالهم عملاً صالحاً خروجاً إلى الجهاد وآخر سيئاً تخلفاً عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والإثم فإن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهماً بمعنى شاة بدرهم فإن قلت كيف قيل عسى الله أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت إذا ذكر اعترافهم بالذنب وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم لقبة الموت والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً وقرئ إن صلواتك على التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قرئ ألم يعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان أحدهما أن يراد

المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيراً كان أو شراً على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فإن قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم قرئ مرجون ومرجأون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم إما أن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحداً لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنوده ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وآله بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين ضراراً مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة وكفراً وتقوية للنفاق وتفريقاً بين المؤمنين لأنهم كانوا يجتمعون في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله وإعداداً لأجله وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل كل مسجد بني مباهاة ورياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد

بني على ضرار ورياء وسمعة فانه امله بنيتي الى المسجد الذي بني من اول يوم وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله
من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة
وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين لمسجد اسس على التقوى يريد مسجد قباء اسسه
رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى
رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت
القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على
البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع
الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وآله رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر
من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب
بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم
يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب
بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار
به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول
واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح وبالكسر جمع اس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس
بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس بنيانه
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات
والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى فانهار
به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم
الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية
جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء
وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف
من خالف ونظيره شاك وصاب في شائك وصائب والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك
وصوب ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت

فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث
كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد
قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار
فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم
فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ريبة شكا
في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال ضرارا وكفرا
فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وآله ازدادوا للغائظ من ذلك لعظمه عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم و
نفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما
ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء و
تقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله
عليه وآله اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة
ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا
تفريطهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيله بالشرى وتاجرهم فاعلم الثمن وعن عمر فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا
هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك
فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وآله اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام
من هذا الكلام قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله
تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى
العكس وعدا مصدر مؤكد اخبر ان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة
والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من
الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن وابلغ منه
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين
المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان

يكون حتى صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا وخبره محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا
وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون هم الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون
الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه
في مظانه ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم قيل قال صلى الله عليه وآله لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل
كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اى ابويه احدث
به عهدا فقيل امك آمنة بنت وهب فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا
آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد
استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما
تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم قرا طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما
يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابرهيم اياه وهو قوله لاستغفرن
لك وتدل عليه قراءة الحسن وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير
جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار
للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وآله
لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال
ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي عليه السلام رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس
قد استغفر ابرهيم لابيه فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين
له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته و
حلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني ما امر الله
باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين
هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه
واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع
الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي
عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض

محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق
في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه
بهم رءوف رحيم تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك
وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين
والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم
بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله
عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة
والعشية واليوم قال شعر غداة طفت علماء بكر بن وائل ، عشية قارعنا جذام وحميرا ، اذا جاء
يوما وارثي يبتغي الغنى ، والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم
الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء
حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة و
الخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء
وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله
ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا
من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم الثلاثة كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب
عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر
الصادق خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل
للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم
انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان
لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان
الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وآله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان
خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في
سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن
المكائد حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس

ما خلفني الا حب الحيوة لدي والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن
كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على
ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وآله ماشيا فقال رسول الله صلعم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال
الناس هو ذلك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ
بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح و
الريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه
الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وآله واستغفر له
ومنهم من بقي ولم يلحق برسول الله منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي
كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما
مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر
يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام
الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن
ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة
كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** مع الصادقين وقرئ من الصادقين
وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة
من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن
ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا
مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا
هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة **ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين** ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان
يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها
وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا
يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها
على ما سمح بنفسه عليه وهذا النهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك

اشارة

اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته فانه في تلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم
شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم
شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله و
ذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطئ الايقاع والابادة لا الوطؤ بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وآله
آخر وطئة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطئه
والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في
كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي
وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطئ ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وآله لابني عامر وقد قدما بعد
تقضي الحرب وامد ابو بكر المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما
فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء
**ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون** ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة
ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو
في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي
غيرك الا كتب لهم اثبت لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم
يتعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**
اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد
الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فهلا نفر اذ لم يمكن
نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة
ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم و
مراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة
جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله
عليه وآله كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن
آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد
ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد

السيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام وقاتلهم قريظة والنضير وفدك وخيبر ثم قتل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سيل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة وهو واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرا عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا لانها اريد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون وقرئ افلا يرون بالياء والتاء يفتنون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولاهم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يريكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم من اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله و فاطمة عليها السلام وعايشة وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمايه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله

رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي بن كعب اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل علي القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى شعر وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاوجه ان يكون تامة وان اوحينا بدل من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمايهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا اي هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرا لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره اخر

والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش. فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن. ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه.

اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون

اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه. وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله. انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم. وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه وهو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه. وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ. ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب. وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق. بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون.

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون

الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها. وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في حاق عاق. والضياء اقوى من النور. وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل. والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي. ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا. وقرئ نفصل بالنون.

ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون

خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر.

ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون

لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف. ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة. واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا. ان الذين

آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم

يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها. ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم. ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار. فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور. قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه.

دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد. ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية. وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين. ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم. وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل. وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد.

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون

اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا. وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم. فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم.

واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون

لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما. فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوا او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها. ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود

ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس من مكفى على طريقة الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله تعالى بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فايدة في امهالهم بعدان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه واله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه واله اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لنا ان نقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا بوحي الله وامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت القرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال القرآن بقرآن ففيه انه من عنده وانه قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع واختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا

من قبله أفلا تعقلون قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار عما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ من ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا أدراكم به ولا اعلمكم على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان يقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد والاخرى ان الالف اذا اشتبهما الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم ينفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما لله وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السماوات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وليتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير

لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اى ارادوا آية
من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على احد من
الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات
وجعلوا نزولها كلا نزول فكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم
وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى فقل انما الغيب لله اى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به
يعنى ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا لنزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا
قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وآله و
يكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها وهى للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية
الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع
مكرا قلت بل دلت على ذلك كلمة المفاجأة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا
اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تع دبر عقابكم وهو موقعه
بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى
على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابى هريرة ان الله
ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذى يسيركم فى البر
والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج
من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون فى
الفلك غاية للتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك قلت لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون
الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من
مجئ الريح العاصفة وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها
فان قلت فدعوا بم يتعلق قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت
ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار
والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء فى الفلكى بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما فى الخارجى
والاحمرى ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذى لا تجرى الفلك الا فيه والضمير فى جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد
فى فعل اخى فعل وفى قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكى يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اى
تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم اى اهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى
الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره لئن انجيتنا على ارادة القول او لان
دعوا من جملة القول فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم

متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون فى الارض يفسدون فيها ويعبثون
مترامين فى ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا
يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ببنى قريظة قرئ متاع بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت
اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدأ الذى هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم
والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة
ومعناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لا تمكر ولا تعن
ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم
واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين شعر يا صاحب البغى ان البغى مصرعة
فاربع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلث
من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تع انما بغيكم على انفسكم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها و
ازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم
تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة
تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض
بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح
جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها
من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال
كاغيلت اى صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون
لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها
اى فجعلنا زرعها اى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم
يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس
قول الاعشى شعر طويل الثواء طويل التغنى والامس مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا والله يدعوا
الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل
السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما
سلاما ويهدى ويوفق من يشاء وهو الذى علم ان اللطف يجدى عليه لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد
كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا
ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهى
التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة

عن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من
الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا
يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تع وجاءت بحديث
مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان و
كسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما يتقدم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها
قترة وترهقهم ذلة والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من
الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلائم قلت
لا يخ اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه
وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم
باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرى يرهقهم بالياء ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخط الله
وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حالا من الليل ومن قرا
قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم
قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخ اما ان يكون
اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة
واما ان يكون معنى الفعل في من الليل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم و
شركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم
عطف عليه وقرى وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم
ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في
الموقف وبين شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا و
قرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون
الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا الله اندادا فاطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها و
بين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها
الله تع فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك تبلو كل نفس
ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون هنالك في
ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر

وتذوق

وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يتعرف الرجل الشي
باختباره وتتعرفه لتكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اى نختبرها
باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية
والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر وقرى تتلو اى تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة او
الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من شر او خير مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم
كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم احدا وقرئ الحق
بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل
الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون
من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا
تتقون قل من يرزقكم من السماء والارض اى يرزقكم منهما لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم
نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من
الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى
شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون
افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم الله ربكم الحق فما
ذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى
الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى
الشقاء كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون كذلك مثل ذلك الحق حقت
كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك
على الذين فسقوا اى تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة
اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير
كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم
من يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤ الخلق
ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع
كان مكابرا رادا للظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون
امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وآله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فامره
بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم قل هل
من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال

هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله أمّن لا يهدّي وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء و
كسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين و
قد كسرت الياء للإتباع ما بعدها وقرئ إلا أن يُهدى من هدّاه وهدّاه للمبالغة ومنه
قولهم تهدّى ومعناه أن الله وحده هو الذي يهدي الحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من
للنظر في الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله فمن لا أحق
يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدّي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله
وقيل معناه أم من لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه
فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق
شيئاً إن الله عليم بما يفعلون وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظناً لأنه قول غير مستند إلى برهان
عندهم إن الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئاً وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام إنها آلهة و
إنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع إن الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء
وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه و
تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق
الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق
مصدقاً لما بين يديه وقرئ ولكن تصديقُ الذي بين يديه وتفصيلُ الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى
وما كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين
ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فإن قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين
قلت هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب
العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين
متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم يقولون افتراه قل فأتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين أم يقولون افتراه بل أتقولون اختلقه
على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل إن كان الأمر على ما
تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أي
شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله
من استطعتم من خلقه للاستعانة على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر
على ذلك أحد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه إن كنتم صادقين أنه افتراه بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بل كذبوا
بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه و
يقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على
التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيانه

الاستقامة لكونها في فكر وعقده وأشباهه قبيحاً قبل أن يحيي إدراكها عامية سمعه من غير فكر في صحته أو فساده
لا يشوبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فإن قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله
قلت معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً
وعناداً فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر
عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً كذلك أي مثل ذلك
التكذيب كذب الذين من قبلهم من غير أن ينظروا في معجزات الأنبياء وقبل أن يتدبروها من غير إنصاف من أنفسهم ولكن تقليداً
الآباء وعناداً وقيل معنى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه
من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل
أن يخبروا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
بالمفسدين ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك
فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك أعلم بالمفسدين
بالمعاندين أو المصرين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء
مما تعملون وإن كذبوك وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم
فقد أعذرت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون
إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي
العمي ولو كانوا لا يبصرون ومنهم من يستمعون إليك ومعناه ومنهم ناس يستمعون إليك
إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون
أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو
انضم إلى صممهم عدم العقول لهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي
الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر وتحسب أنك تقدر على هداية العمي
ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويظن
وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي
الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم
إلا الله تعالى بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع و
البصر راجحي العقل إلا هو وحده إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون
إن الله لا يظلم الناس شيئاً أي لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب
ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيداً للمكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة
من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف
ما كان سبباً فيه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين إلا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم

في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا و
ذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون
كيف موقعهما قلت أما الأولى فحال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق
بالظرف وإما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا
قد خسر على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم
وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه
معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما نرينك
بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة فإن قلت الله شهيد
على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال
ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثَمَّ بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أعمالهم
يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ولكل أمة رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق
فإذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول
وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به
فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا
الوعد إن كنتم صادقين متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له قل لا أملك لنفسي
ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
لا أملك لنفسي ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود
من الزمان إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين إذا جاء آجالهم قل أرأيتم
إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد
كنتم به تستعجلون بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم
عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وكذلك نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحو بياتا وهم نائمون
ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون
منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب
أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب
الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ

فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم
وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الفاء والواو في قوله أفأمن أهل
القرى أوأمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء
حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ويستنبئونك
ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو
أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو
الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب و
هو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما
رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السماوات والأرض
ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ظلمت صفة
لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم
بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا
عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسروها أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين
أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه
وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره
وليس هناك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك
كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره
وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب
جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة
ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط
كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا

بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وهي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام
ورحمته ما وعد عليه قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله
أذن لكم أم على الله تفترون أرأيتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارأيتم في
معنى اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال و
هذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
آلله أذن لكم متعلق بارأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون
ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى
بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام
وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن
لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم
القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون يوم القيمة منصوب بالظن
وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالا
والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اي ظن ظنوا
يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن وكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا
اليه وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا
عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا
في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين وما تكون في شأن ما نافية
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله والشأن الامر واصله الهمزة بمعنى القصد من شانت شانه
اذا قصدت قصده والضمير في منه للبيان لان تلاوة القرآن شأن من شان رسول الله صلى الله عليه
بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قال وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار
قبل الذكر تفخيم له او لله تعالى ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر
وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع
والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من
مثقال ذرة او على لفظ مثقال فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا
يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة
سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان
ان يتقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل

بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية ألا إن أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل من اولياء الله فقال
هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل
هم المتحابون في الله وعن عمر رضي سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر
من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به
المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وآله هي الرؤيا الصالحة يراها
المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر
الحسن وعن ابي ذر رضي الله قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
تلك عاجل بشرى المؤمنين وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون
منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل
القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك قولهم
إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تهديدهم و
تكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استئناف
بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا
لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا
من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يريدون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن
ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية
ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من

اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يخصوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون** سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم **قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده **واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون** كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل من قولك تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع اي فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة

ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف اسناد الاجماع الى الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فان قلت** ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة **قلت** اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي **فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين** فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم ليس عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير **فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** فكذبوه فداموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن مثله وتسلية له **ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين** من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به **ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين** من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها واعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى**

أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك جبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويطبع ويكون لكما بالياء فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ثبت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له

سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونهم وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فليرفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثني اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث وغير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحرجا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وما افصل الرقاشي انك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

يدعو وهرون يؤمّن ويجوز ان يكون الدعاء منهما جميعاً يدعوان والمعاونة دعا كما استجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا
تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون اى لا تتبعا الجهلة طريق
بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تستعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك
ان تكون من الجاهلين وروي ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان بالتشديد وتخفيف
التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقال الحسن وجوّزنا من اجاز المكان
وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي في بيت الاعشى واذا تجوّزها حبال قبيلة لانه لكان حقه
ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكيّ في الباب فيتق فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته و
قرئ الحسن وعدوّا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت
كرّر المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم
يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل و
كنت من المفسدين الآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل
قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قال بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال
آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسّه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما
يضم اليه من قولهم خشية ان يدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احديهما ان
الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحبّ بقاءه على الكفر فهو كافر
لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في
ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد
الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك
ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ننجيك بالتخفيف والتشديد
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما
يلي البحر وعن الحسن انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي
في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من
غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب شعر اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلّص سلس القياد وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه بدنه
كله واما جمع ابدانا وبريد بدنه وعلى انه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم
بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا او
قيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدّقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على
ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس

عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء
الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما
اجترأ عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته و
يجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا
يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان
ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا
التورية وكتبوا العلم بدين الحق ولزوم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه
وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وآله واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو
ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو بما يوافقه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وآله فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك
منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق و
بين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيّل لك الشيطان خيالا
منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدّم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ويبالغ في ذلك
فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع
الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة
بصحة ما انزل اليك وتحققها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك والغرض وصف
الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وصف رسول الله بالشك فيه
ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل
فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من
انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريق التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله
لا اشك فيه ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل
خوطب به رسول الله صلى الله عليه وآله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله و
انزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل
ان للنفي اي فما كنت في شك فسأل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة

احياء الموتى وقرئ غسيل الانبياء يقرؤون الكتاب ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم كلمة الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدور ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف عنها في وقت الاختيار وقبله الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقد خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وما كان لنفس بعينه من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر

والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا يخلو من ان يكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون العبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعده لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان يكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر لانه غيرهما من الافعال واقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا و حنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني

قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير، وأنه لا رادّ لما يريد منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر، ليدلّ بما ذكر على ما ترك، على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله: يصيب به من يشاء من عباده. والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة. قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل. قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر، ولا على الله حجة، فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه، ومن آثر الضلال فما ضرّ إلا نفسه. واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرّ. وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل، وفيه حثّ على إيثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك. وما أنا عليكم بوكيل: بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنما أنا بشير ونذير. واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. واصبر على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة. وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وآله الأنصار فقال: إنكم ستجدون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني. يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت، فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة. قال أنس: فلم نصبر. وروي أن أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار، ثم دخل عليه بعد فقال له: ما لك لم تتلقنا؟ قال: لم تكن عندنا دواب، قال: فأين النواضح؟ قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة. قال معاوية: فماذا قال؟ قال: فاصبروا حتى تلقوني. قال: فاصبر إذن. فقال عبد الرحمن بن حسان:

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير الظالمين نثا كلامي
بأنا صابرون فمنظروكم إلى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون.

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. أحكمت آياته: نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف. ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً، أي جعلت حكيمة، كقوله: آيات الكتاب الحكيم. وقيل: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة: أحكمت من الباطل. ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد، من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص. أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية. أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة. أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد، أي بيّن ولخّص. وقرئ: أحكمت آياته ثم فصلت، أي أحكمتها أنا ثم فصلتها. وعن عكرمة والضحاك: ثم فصلت، أي فرقت بين الحق والباطل. فإن قلت: ما معنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل. وفلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل. وكتاب: خبر مبتدأ محذوف، وأحكمت: صفة له، وقوله: من لدن حكيم خبير صفة ثانية. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت، أي من عنده إحكامها وتفصيلها. وفيه طباق حسن، لأن المعنى: أحكمها حكيم وفصلها، أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور. ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير. أن لا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا. أو تكون أن مفسرة، لأن في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله. وأن استغفروا: أي أمركم بالتوحيد والاستغفار. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وآله، إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة. ويدل عليه قوله: إنني لكم منه نذير وبشير، كأنه قال: ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير، كقوله: فضرب الرقاب. والتحضيض

في منه لله تعالى، أي إنني لكم نذير وبشير من جهته، كقوله: رسول من الله، أو هي صلة لنذير، أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم. وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير. فإن قلت: ما معنى ثم في قوله: ثم توبوا إليه؟ قلت: معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا والاستغفار توبة، ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها، كقوله: ثم استقاموا. يمتعكم: يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة. إلى أجل مسمى: إلى أن يتوفاكم، كقوله: فلنحيينه حياة طيبة. ويؤت كل ذي فضل فضله: ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله، لا يبخس منه، أو فضله في الثواب، والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات. وإن تولوا: وإن تتولوا. عذاب يوم كبير: هو يوم القيامة، وصف بالكبير كما وصف بالعظيم والثقيل. وبيّن عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء، فكان قادراً على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه شيء. وقرئ: فإن تولوا من ولّى. ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور. يثنون صدورهم: يزوّرون عن الحق وينحرفون عنه، لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه. ليستخفوا منه: يعني ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم. ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى: أن اضرب بعصاك البحر فانفلق، معناه: فضرب فانفلق. ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم: ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً، كراهة لاستماع كلام الله، كقول نوح عليه السلام: جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم. ثم قال: يعلم ما يسرون وما يعلنون، يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء، والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم، ونفاقهم غير نافق عنده. روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله المحبة، وله منطق حلو وحسن سياق للحديث، فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وآله مجالسته ومحادثته، وهو يضمر خلاف ما يظهر. وقيل: نزلت في المنافقين. وقرئ: يثنوني صدورهم، واثنونى افعوعل من الثني، كاحلولى من الحلاوة، وهو بناء مبالغة. وقرئ بالتاء والياء. وعن ابن عباس: لتثنوني. وقرئ: تثنون، تفعوعل من الثن، وهو ما هش وضعف من الكلأ، يريد مطاوعة صدورهم للثني، كما ينثني الهش من النبات. أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم. وقرئ: تثنئن، من اثنأن افعالّ منه، ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت. وقرئ: تثنوي بوزن ترعوي. وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين. فإن قلت: كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل؟ قلت: هو تفضل، إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجح التفضل واجباً كنذور العباد. والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة. كل: كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح، يعني ذكرها مكتوب فيه مبين. وكان عرشه على الماء: أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء. وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض. وقيل: وكان الماء على متن الريح، والله أعلم بذلك، وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته.

وكان تلك الاجرام كانت احوج اليه والى ليبلوكم متعلق بخلق اى خلقهن لحكمة بالغة وهى ان يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى
عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان قلت
كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن
وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا و
اعمال المؤمنين هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح قلت
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح
ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا فى حيازة فضلهم وعن النبى
صلى الله عليه وآله ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله ولئن قلت انكم مبعوثون
ويجوز ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشترى لحما وانك تشترى بمعنى علك اى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن
قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا
الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ
ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن
ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب عذاب الآخرة وقيل
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول
استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر
ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل
فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما
وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله
فى اخباره ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك
لهم مغفرة واجر كبير الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك
النعمة انه ليئوس شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير
صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نسّاء له ذهب السيئات
عنى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر
الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على
كل شئ وكيل كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما
جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون
به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون

منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم
به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا انزل
عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير
اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحى اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او
اقترحوا والله على كل شئ وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل
امرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم
واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان
رسول الله صلى الله عليه وآله كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستمرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى
بعض القراءات وقول السمهرى العكلى شعر بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها
ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين ام منقطعة والضمير فى افتريه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة
واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل
خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات
صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على
دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى وان الامر كما قلتم فاتوا
انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما قدرت عليه
من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه
مثله فى حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان
لا اله الا هو فهل انتم مسلمون فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا
بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين
كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب
للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى
المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله
اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند
ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون
للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه
فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد
ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم

اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوفّ اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفاعل هو الله تعالى وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية اي وباطلا اما وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون افمن كان على بينة معناه أمن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامّهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وآله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ في مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في

الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم كانوا كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بين اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا جرم قد مر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وفيه بذلس الثاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون شبّه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجدّ جدّه فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملئ بالامر لانهم ملئوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالئون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملئون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في واحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل

كقوله أما بنو تميم فما احاسبكم احلاما فاتتى بادى الراى بالهمز يعنى اتبعوك اول الراى او ظاهر الراى وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شىء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين فى طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ارايتم اخبرونى ان كنت على بينة على برهان من ربى وشاهد منه يشهد بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة فى نفسها هى الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثانى وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرى فعميت بمعنى اخفيت وفى قراءة ابى فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابى قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعنى انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه فى الدين ويجوز فى ضميرى المفعولين ان يكونا متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثانى منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم ويحكى عن ابى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون والضمير فى قوله لا اسالكم عليه مالا راجع الى قوله انى لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله وقرى وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الراى من غير نظر وتفكر وما على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او انهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون من ينصرنى من الله من يمنعنى من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين اعلم الغيب

معطوف

معطوف على عندى خزائن الله اى لا اقول عندى خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندى خزائن الله فادعى فضلا عليكم فى الغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعى علم الغيب حتى تنسبونى الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم ولا اقول انى ملك حتى تقولوا لى ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازرت به عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قد جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين انما ياتيكم به الله اى ليس الاتيان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعنى ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحى وهذا الدال فى حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط فى قولك ان احسنت الى احسنت اليك ان امكننى فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمى ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوى فلطف به سمى ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التى لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برى مما تجرمون فعلى اجرامى وقرى اجرامى بلفظ الجمع كقوله والله يعلم اسرارهم ونحوه واجرام ... وفسره الاولون باثامى والمعنى ان صح وثبت انى افتريته فعلى عقوبة اجرامى اى افترائى وكان حقى حينئذ ان تعرضوا عنى وتتالبوا على وانا برى يعنى ولم يثبت ذلك وانا برى منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحى الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لن يومن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذى لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون باعيننا فى موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ فى صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجو الطائر ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تدعنى فى شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في البرية في ابعد موضع من الماء و
في وقت عز الماء فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منكم
يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في
الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم في استجهالكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه
فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر
وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها
ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو
ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء و
عن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا
رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم
ينفض التراب من راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم من يأتيه في محل النصب بتعلمون
اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة **حتى اذا جاء امرنا وفار التنور**
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما
آمن معه الا قليل حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى
بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه فان قلت فالجملة التي دخل عليها حتى ما هي قلت اما ان يجعل حتى واجابها وقال استئنافا على تقدير سؤال
السائل ويجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني
احمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه
القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه
وامراته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء **وقال اركبوا فيها**
بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد
ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها

اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت
المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكونا مكانين للاجراء والارساء وانتصابهما بما في
بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة
من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال
بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام
عليكما والمراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من
جري ورسي اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل
مجروري المحل صفتين لله **فان قلت** ما معنى قولك جملة مقتضبة **قلت** معناه ان نوحا
عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاءوا ورناءهم سكك علينا فلا يكون كلاما
براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل
اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم
لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم **وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح**
ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين **فان قلت** بم اتصل قوله
وهي تجري بهم **قلت** بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها وهي تجري بهم
اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها
وارتفاعها **فان قلت** الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما
بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج **قلت**
كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني
من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي عليه السلام ابنها والضمير لامراته
وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه
ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني
من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه
من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى الله وجهان احدهما ان
يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة
عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه
والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه من ابيه وعن
مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء و
الالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة **قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء**
قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اى الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم عقوا رحيبا في قولك ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه وسوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول **وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين** نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك واقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك وقيل اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجئ اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى واقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى **ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين** نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله **فان قلت** فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابنى من اهلى اى بعض اهلى لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتنى ان تنجى اهلى فما بال ولدى وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدى الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل

قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هى اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اى ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك **فان قلت** فهلا قيل انه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى التى يستبقى معها لفظ المنفى وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اى عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألنى بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعنى فلا تلتمس منى ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه **فان قلت** لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤاله ما لم يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين **فان قلت** قد وعده ان ينجى اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا **قلت** ان الله تعالى قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه **قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين** ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لى بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لى ما فرط منى من ذلك وترحمنى بالتوبة على اكن من الخاسرين اعمالا **قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم** وقرئ اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اى على امم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله امم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظى دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت**

تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه فان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدر كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجيب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا

وهم عاد اعلام الكفر والشك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام ممن نعاصرهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم يجدوه معه على عشر ما كانوا عليه في ايام جاهليته من المواددة وما ذلك الا من الالحاد الى الآن نبض عرق من الزندقة ابى ان يطلع راسه فقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين جوزوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان شهادة الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدة معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال الربوبية عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على الحق والعدل لا يكاد يظلم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف ربي كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ

عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضواً عضواً وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق لهم

وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود

وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرار حرف التنبيه على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعداً دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخرى لا تبعدوا ابداً وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسماً وتجعل فيهم امراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عاداً عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم

والى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب

هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل شعر

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب

فينا فيما بيننا مرجواً كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً في الامور ومسترشداً في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي

قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير

قيل ان كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون

ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب

آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالاً منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيراً وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم

فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب

تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد في به فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق

فلما جاء امرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود

ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناه من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمود او لثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة

ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ

رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاماً سلمنا عليك سلاماً سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلماً قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد شعر

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقاً ويدل عليه بعجل سمين

فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكره ولكن منكر ومستنكر وانكر قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروهاً وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط

وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا او جيئوا لقومٍ لا لقوم لوط وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرف بتعريفٍ لله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود او بفعل مقدر مثل ولد والوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله شعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعبٍ الا ببين غرابها قالت يا ويلتي أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد الالف في يا ويلتا مبدلة عن ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن بالياء على الاصل وشيخا نصب على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من المبتدأ قيل ولدت هي بنت تسعين وابرهيم ابن مائة وعشرين سنة ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا أتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة واذ قلت ابي جواب لما قلت هو محذوف تقديره اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا على حكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في شأنهم وعن ابن عباس قالوا ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كانوا اربعة آلاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم

اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب كانت مساءته لما وضيق ذرعه لانه حسبهم انسا فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى تشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى بهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي فداءً بني اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك لان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوا على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد يعنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وجواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي بكم قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى

لو قويت عليكم بنفسي او آوي الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في
شدته ومنعته وكذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا [illegible]
[illegible] وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم
فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد قالوا يا لوط انا رسل
ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب اي رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال فطمسنا
اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة
موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل الا امرأتك
بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ
الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه
قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان
الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم
وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر
بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا
عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
ببعيد جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك وكل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من
اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب بهم من السجل
[illegible] منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضها في اثر بعض متتابعة مسومة معلمة للعذاب
وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم
من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سأل جبريل فقال
ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في مسايرهم بعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها
اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم
بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان
جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاط به العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام

وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه
منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي
كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول
مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء
القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد والبخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما
باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او
كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان
يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه
عما هو حرام عليكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقد الايمان لانغماس صاحبها
في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح
به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضاف البقية
الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول
طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما انا
عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين
انذرت قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت
الحليم الرشيد كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلاتك تأمرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وان يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا
الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان
مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان تأمرك به آمر هذيان ووسوسة الشيطان وهي صلاتك
التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال
والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان
لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرأ ابن ابي عبلة وان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما
كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف
الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم
بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون
ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ورزقني منه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصد ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قوله الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله او صفة قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او بمكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوها وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا

مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير يسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يابى ذلك الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قلل قومه حين جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لاحترامهم لهم واعتدادهم بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت الكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ على مكانتكم لا يخلو المكانة من ان يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او يكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتداتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الصيحة العذاب اللازم لهم لانه لا يبرح كالالباب يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي

جارية على الاصل اعتبارا للمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد﴾ بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد وشتان بينه وبين الالهية ... فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي محض وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط ﴿يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ تقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم النار ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والمورود الذي ورده شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ﴿واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ﴿ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها القرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب﴾ وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران ﴿وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد﴾ وكذلك محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ كذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل مذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ﴿ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك

اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الثواب والعقاب ويوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوما شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر ينتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا به فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر ﴿وما نؤخره الا لاجل معدود﴾ الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء ﴿يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ وقرئ يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه ﴿فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ قراءة العامة

بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ شعر
بعيد مدى التطريب اول صوته ◦ زفير ويتلوه شهيق محشرج ◦ ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما
ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم و
يظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع
كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله
الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب
النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع
من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة
لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة
مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد
انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا
يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على
تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث
فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق
ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله
عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون **فلا تك في
مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** لما
قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك
بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وآله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من
غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسيلحقهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما
وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها
وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب
الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
**ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك
منه مريب** فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي
بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا **وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه**

بما تعملون خبير وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف
واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود
وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا ابي وان كل لما
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان بن ارقم و
ان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة
كلهم اجمعون **فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير** فاستقم كما امرت
فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر
في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر و
امن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فيجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا
قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي
شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق عليه السلام فاستقم
كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء
ثم لا تنصرون** قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم
حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا
تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا امالة والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم
وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين
وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف
بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين
عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد
اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه
للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم
يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما
يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما
خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو
دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام و
قال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور
عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من دعا للظالم بالبقاء فقد احبّ ان يعصى الله في ارضه ولقد سُئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يُسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ومالكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسّكم النار اى فتمسّكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه ومالكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناه الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** طرفى النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قرّبه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشىّ وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوّله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه ولطرفى النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بُسْرة وبُسْر والزلُف بضمتين نحو بُسُر في بُسْر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان يعطف على الصلوة اى اقم الصلوة طرفى النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكنّ لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمّها وقبّلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربى فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصلّ ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كرّ الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة التذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزيّة وتنبيه على مكان الصبر ومحلّه كانه قال وعليك بما هو اهمّ مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين** فلولا كان من القرون فهلّا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناه هلّا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمّى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسّر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال

بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقيّنا رسول الله صلى الله عليه وآله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضّضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات اى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا همتهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون** كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفى وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمّون الى شركهم فسادا آخر **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعنى لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اى ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكّنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الله الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك

اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى كل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون** وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون **وانتظروا انا منتظرون** وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم **ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون** ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف **انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون** انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته **نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد

بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقتص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه **اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين** اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه من سبب اخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير معوض منها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك الياء

وأحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا
يلتقي الساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى
الناس **فإن قلت** ما أسماء تلك الكواكب **قلت** روي عن جابر أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل جبريل عليه
السلام فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفيلق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس
القمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا
طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه
فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة أن الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون
فإن قلت لم أخر الشمس والقمر **قلت** أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن يكون الواو
بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر **فإن قلت** ما معنى تكرار رأيت **قلت** ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف
على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر كوكباً كيف رأيتها سائلاً
عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين **فإن قلت** فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين **قلت** لأنه لما
وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس
الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة **قال يا بني لا تقصص رؤياك
على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين** عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا
على أن يوسف عليه السلام يبلغه الله مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه
فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي
التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رُوياك بقلب الهمزة واواً وسمع الكسائي رُيّاك ورِيّاك بالإدغام وضم الراء و
كسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر
فيكيدوا منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك **فإن قلت** هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني **قلت** ضمن
معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا
لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء وقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله **وكذلك يجتبيك ربك و
يعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم
وإسحاق إن ربك عليم حكيم** وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك لأمور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل

في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته
لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والأحاديث الرؤى لأن الرؤيا إما حديث نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها
عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب
الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات
حكمها وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى إلى قوله فبأي حديث
بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم
بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط
من صلبه وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل
لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه وقيل كان يعقوب مؤثراً له
بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان
يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله
لك بعد دهر طويل وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن
له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما وأراد بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهما في
حكم الأب في الأصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة آباء وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك
إن ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته إلا على من يستحقها **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**
في يوسف وإخوته أي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل
عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة
من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله على النبي صلى الله عليه
وسلم خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون
من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **إذ قالوا ليوسف وأخوه
أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين** ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة
أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعاً إخوته لأن أمهما كانت
واحدة وقيل أحب في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد
من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما
اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا
بالكثرة والمنفعة عليهما إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً
وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي
رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري
عمته أي يتعهد عمته **اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين**

اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل
شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين أو اطرحوه أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها
وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم
يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو بالتغريب ويرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا
أو اطرحوا قوما صالحين تائبين إلى الله عما جنيتم عليه أو تصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم
أموركم بعده بخلو وجه أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق
قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين
قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم ألقوه في غيابت الجب وهي
غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل: وإن أنا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل
أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيّابات بالتشديد وقرأ الجحدري في غيبة والجب البئر
لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير يلتقطه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ
تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله: كما شرقت صدر القناة من الدم. ومنه ذهبت
بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي قالوا يا أبانا مالك
لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون مالك لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير
إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد
منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والشفقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه و
عادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه أرسله معنا غدا نرتع و
نلعب وإنا له لحافظون نرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع
من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاءين نتابه يرتع بكسر العين ويلعب
بالرفع على الابتداء فإن قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته
قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام
الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سبب المضارعة اعتذر إليهم بشيئين أحدهما
أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف
فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالياء على الأصل وقرئ
وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا
لخاسرون القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب
القسم مجزي عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خاف من خطفة الذئب أخاهم

من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم لخاسرون أي هالكون ضعفا
وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى
عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم
نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذن وخسرناها فإن قلت قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا
عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به فلما
ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع
الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من
الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث
منهم بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد
الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر
فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى الصخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن
أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أن
إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار جرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه
فدفعه إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه
فألبسه إياه وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن
كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي إليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول
إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف
لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك
أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه
ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه
في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا إليه
على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس
له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على
تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا رواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال
عشوا من البكاء ويروى أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال قد جاء
إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي

انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغيرهما في المعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا

وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

بدم كذب اي ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصل الكدب هو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه روي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه قيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كذب كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا مقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل ما في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه

وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون

وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح

بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين

وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها فقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون

الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا او زوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل كانوا ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى يكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك ولم مثواك لمن ينزل به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي رأت موسى فقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر

وجعلناه ملكا يتصرف بين امره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى او على امر يوسف يتولاه ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراده الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل الاشد ثمانى عشرة وعشرون وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشىء الذى لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وهيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهىء كجاء يجىء اذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل واما فى الاصوات فللبيان كأنه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربى سيدى ومالكى يريد قطفير احسن مثواى حين قال لك اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخلفه فى اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسىء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال

هممت ولم افعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اى ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا انى خفت الله معناه لولا انى خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبى الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به ام خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ بقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه فى حكم الشرط

وللشرط صدر الكلام وهو مع ما فى حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت لم جعلت جواب لولا متعلقا بهم بها وحده ولم تجعله متعلقا بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعانى فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله تعالى قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى فكان اعادة الهاء عليه فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيى ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيى من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولى القوة والعزم ناظرا فى دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدى به الصالحون الى آخر الدهر فى العفة وطيب الازار والتثبت فى مواقف العثار فاخزى الله اولئك فى ايرادهم ما يؤدى الى ان يكون انزال الله السورة التى هى احسن القصص فى القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من انبياء الله فى القعود بين شعب الزانية وفى حل تكته للوقوع عليها وفى ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم فى مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا يتنبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقى بادنى ما لقى به مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اى الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم وقرئ السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة

ونحو ذلك قوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم** واستبقا وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة وقيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما طلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسوط **قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** لما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه تقول ان احسنت

الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك **فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم** فلما رأى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقريبات منهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم **يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين** يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف بمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة **وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين** وقال النسوة وهن جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعلها تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يريد قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة شعر
وقد حال هم دون ذلك داخل ... دخول الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي ومضاعف على التمييز في ضلال في خطأ وبعد عن طريق الصواب **فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم** بمكرهن باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر بهن وبين وضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمهن انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا وآتت السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ يتكئ عليه قال جميل شعر
فظللنا بنعمة واتكأنا ... وشربنا الحلال من قلله
وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح

ونحو متّاع بمعنى متّع وقرئ مُتْكًا وهو الأترج وأنشد شعر فأهدت متكةً لبني أبيها تخبّ بها العثمثمة الوقاح وكانت
أهدت أترجّة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقّت بنصفين وحملا كالعِدلين على جمل
وقيل الزماورد وعن وهب أترجًّا وموزًا وبطيخًا وقيل العَتَد لأنه ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه
وقد الأترج متكًا ... أكبرنه أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف
على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج
بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف إذا سار
في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل
كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة
إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حال الصغر إلى حال الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله
شعر خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن جرحنها كما تقول كنت أقطع
اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال حاشا
أبي ثوبان إن به لضنًّا عن الملحاة والشتم وهو حرف من حروف الجر فوضع موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة
الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه
قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشًا لله بالتنوين و
قراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الأخيرة وقرأ الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين
على أن الفتحة أتبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله فإن قلت
فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلبًا ألفه إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله
من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرًا نفين عنه البشرية لغرابة جماله وتباعد حسنه لما عليه
محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله تعالى ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها
أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز
في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشيطان ولا أجمع للخير من الملك ... من تفضيل
الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما
على ليس هي اللغة القديمة الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ
بشرٌ بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرًى أي ما هو بعبد مملوك لئيم إن هذا إلا ملك كريم تقول هذا بشرى
أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر
لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونًا من الصاغرين قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعًا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن
به وربًا بحاله واستبعادًا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد
الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
في الافتتان الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة

منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا
مزيد عليه وبرهان لا شيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فإن قلت الضمير في آمره
راجع إلى الموصول أم إلى يوسف قلت بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير ويجوز أن يجعل
ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف
والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفًا على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في الخفيفة قال رب السجن أحب
إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين وقرئ السجن بالفتح على المصدر
وقال يدعونني على إسناد الدعوة إليهن جميعًا لأنهن تنصحن له وزيّنّ مطاوعتها وقلن له إياك وإلقاء نفسك في السجن
والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية فإن قلت نزول السجن مشقة
على النفس شديدة وما دعونه إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة قلت كانت أحب إليه وآثر عنده نظرًا
في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرًا في مشتهى النفس ومكروهها وإلا
تصرف عني كيدهن فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر
لا أن يطلب الإجبار على التعفف والإلجاء إليه أصب إليهن أمل إليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس
تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصبّ إليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه
هو السميع العليم وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف
السميع لدعوات الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين بدا
لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز وأهله
من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعًا لها وجميلًا ذلولًا زمامه في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار
به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين إلى زمان كأنها اقترحت
أن يسجن زمانًا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر أنه سمع رجلًا يقرأ عتى حين فقال
من أقرأك قال ابن مسعود فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيًا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا
تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا وقال الآخر إني أراني
أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها
تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبًا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
رقي إليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن ساعة أدخل يوسف إني أراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرًا يعني
عنبًا تسمية للعنب بما يؤول إليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبًا من المحسنين من الذين
يحسنون عبارة الرؤيا لأنهما رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لأنهما
سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت
لك يد في تأويل الرؤيا روي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا ضاق أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة

كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك
ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت
وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه
بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاث
عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم
الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني
ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحاق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا
يشكرون لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب
وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة
على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا
ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي اي اوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله
اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة
وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم
والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه
السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو مكذب بالجزاء وذكر
آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما
في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله
فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد
نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار

يا صاحبي السجن يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق
فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول
رجلا صدق وسميتهما صاحبيه لانهما صحباه ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أان يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما
هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء
سميتموها يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان
من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت
الذي دلت عليه البراهين يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير
من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيُسقى ربَّه
اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول وروي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما
القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم
تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين
فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله فظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما
كانا استفتياه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق
الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله
يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسي الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسي يوسف ذكر الله حين
وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف
يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن
قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة
الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان
ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه
فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد

في عون أخيه المسلم ومن فرّج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية
والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لانّ الملك كان كافرًا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق
والحرق ونحو ذلك من المضارّ قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها
والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربّه ولا يعتضد الا به خصوصًا اذا كان المعتضد به كافرًا لئلا
يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له ربّ يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انّه كان يبكي اذا قرأها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف
السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبّها وسبعًا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام **فان قلت**
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميّز وهو بقرات دون المميّز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانًا **قلت** اذا اوقعتها صفة
لبقرات فقد قصدت الى ان تميّز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز
السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميّز بالجنس بالسمن **فان قلت** هلا قيل سبع عجاف على الاضافة **قلت**
التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده **فان قلت** فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب **قلت**
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول
عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ **فان قلت** ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انّه لم يقل وبقرات سبع
عجاف لوقوع العلم بانّ المراد البقرات **قلت** ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقوله سبع
عجاف عمّا تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعًا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان
على فعال حمله على سمان لانّه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض **فان قلت** هل في الآية دليل على انّ
السنبلات اليابسة كانت سبعًا كالخضر **قلت** الكلام مبنيّ على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف
والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعًا اخر **فان قلت** هل يجوز ان يعطف قوله
واخر يابسات على سنبلات خضر فيقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميّزًا للسبع المذكور ولفظ الآخر يقتضي ان
يكون غير السبع بيانه انّك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجرّ فيصحّ لانّك ميّزت السبعة برجال موصوفين بالقيام
والقعود على انّ بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ
كانّه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
واما ان تدخل لانّ العامل اذا تقدّم عليه معموله لم يكن في قوّته على العمل فيه مثله اذا تأخّر عنه فعضد بها كما يعضد
بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوّة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان
لهذا الامر اذا كان مستقلًّا به متمكّنًا منه وتعبرون خبرًا آخر او حالًا وان يضمّن تعبرون معنى فعل يتعدّى باللام
كانّه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت
النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اوّلت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا

بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبّر وقد عثرت على بيت انشده
المبرّد في كتاب الكامل لبعض الاعراب شعر رأيت رؤيا ثم عبّرتها وكنت للاحلام عبّارا **قَالُوا أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ** اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث
نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك
والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام **فان قلت** ما هو الا حلم واحد فلم قالوا
اضغاث احلام فجمعوا **قلت** هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخزّ لمن لا يركب الا فرسًا واحدًا وما له الا
عمامة فردة تزيّدًا في الوصف فهؤلاء ايضًا تزيّدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز
ان يكون قد قصّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام
المنامات الباطلة خاصّة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فانّ التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما
ان يعترفوا بقصور علمهم وانّهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير **وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ
أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ** قرئ وادّكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذّكر بالذال اي تذكّر الذي نجا
من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امّة بعد مدّة طويلة وذلك انّه حين استفتى الملك
في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكّر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه
ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد إمّة اي بعد نعمة والإمّة النعمة قال عدي **شعر**
ثم بعد الفلاح والملك والإمّة وارتهم هناك القبور اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمَه اي بعد نسيان
يقال أمِه يأمَه أمَهًا اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمّن عنده علمه وفي
قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن
في المدينة **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يا يوسف
ايها الصدّيق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانّه ذاق احواله وتعرّف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث
جاء كما اوّل ولذلك كلّمه كلام محترز فقال لعلّي ارجع الى الناس لعلّهم يعلمون لانّه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه
ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلّهم يعلمون يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلّصوك من محنتك
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ تزرعون خبر في
معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور
به فيجعل كانّه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبًا بسكون الهمزة وتحريكها
وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على تدأبون دأبًا واما على ايقاع المصدر حالًا بمعنى
ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوّس **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ**
يأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهنّ مسندًا اليهنّ تحصنون تحرزون وتخبّئون **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت
ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالتاء والياء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرئ يُعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبنيّ للفاعل بمعنى ينجون

كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة
وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار و
اوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم
بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن
قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم يوصف
بالانتهاء فلم قلت انه علم من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم انما تأنى وتثبت في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه
سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب
ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمارين به وهو في معتكفه
وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر
له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين
اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت
العذر انه كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما
يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص
الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن
ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن
ان ربي بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما
قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن
نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن
قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص
الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال شعر
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل
لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان نذق في فروة من ثبت نزاهته
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ذلك من كلام يوسف اي ذلك
التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول
على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو

الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه
ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها
في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة
ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية
ولا ازكيها لا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن
القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل
عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم
ربي في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا وقيل معناه ذلك ليعلم
اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب
عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين
قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته
مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه
ونحوه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام
فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره وذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال
اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف
ذلك لتماديهم على بهت الله ورسوله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب
قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال
اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل وكان الملك يتكلم
بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بكلها فتعجب منه فقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنبلات وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك
لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع
لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم اجعلني على خزائن الارض

ولّني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية
اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن
مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء
وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره
وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر
وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله
ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر والفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض
عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث
يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض مصر روي انها كانت اربعين
فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء وقرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع
منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه
بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال اما السرير فاشد به ملكك واما
الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك
فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل
بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام
بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه فقال للملك كيف
رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر
عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين
برحمتنا بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك
ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب
على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق فتلا هذه الاية
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته
اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عنهم وقلة تاملهم فيه واهتمامهم بشانهم ولبعد
حاله التي بلغها من السلطان والملك عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى
لو تخيلوا انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر
له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه

تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف
طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة
بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة
السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روي انهم لما راهم وكلموه بالعبرانية
قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم
جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم هنا قالوا عشرة فقال اين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به من الهالك قال من يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة
شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل
لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون سنراود
عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا
به او انا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم
يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون لفتيته وقرئ لفتيانه وهو جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة
وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا
الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم
وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم
ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها
فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون منع منا الكيل
يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فانا استاعه
بسببه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
هل امنكم يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله
خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا
وقرئ حافظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه
ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير وقرئ ردت الينا بالكسر
على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء نقلها في قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد

ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على ان معنى بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا فقالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل لن ارسله معكم منافي لحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتوني موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عنده اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك

قربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرقة في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل لاصابة العين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس لما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر

فاركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى
قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فُعل كسُقف وسُقُف فُعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله
اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لمّا كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل
أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذّن مؤذّن قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
تُفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم
وقرئ صواع وصاع وصُوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وأنا به زعيم يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير
كفيل أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جُعلا لمن حصّله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الأرض وما كنا سارقين تالله قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما
ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين فما جزاؤه الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته إن كنتم
كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق
سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق
زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أو فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه
مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع
الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من
الثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيما المظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه
جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء
أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فبدأ بأوعيتهم قيل قال لهم من وكّل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم
إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا
والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وُعاء أخيه بضم الواو وهي
لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة فإن قلت لم ذكّر ضمير الصواع مرات ثم أنّثه قلت قالوا رجع بالتأنيث
على السقاية أو أنّث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به
من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علّمناه إياه وأوحينا
به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق
أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه نرفع
درجات من نشاء كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه
أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى فإن قلت ما أذن الله فيه يجب

أن يكون حسنا فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله
فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى
مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله إن كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم
وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على أنه لو صرّح لهم بالتكذيب كما صرّح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في
قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح و
منافع دينية كقوله لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم هي أختي
لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه
الحيلة التي لقّنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح
لما ذكرنا قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال
أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون أخ له أراد به يوسف روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس
إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال
لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع
هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ
في صباه صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من
ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبراهيم منطقة
يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد
وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على
يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت
إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فأسرها إضمار على شريطة التفسير وتفسيره
أنتم شر مكانا وإنما أنّث لأن قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة
كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا لأن قوله
قال أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود وأبيّ فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام
أنتم شر مكانا منزلة في السرق لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم والله أعلم
بما تصفون يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة وليس الأمر كما تصفون قالوا يا أيها العزيز إن له أبا
شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين استعطفوه بذكر أبيه
شيخ كبير السن أو القدر فخذ أحدنا مكانه فخذ بدله على وجه
الاسترهان أو الاستعباد إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك
قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون معاذ الله هو
كلام موجّه ظاهره أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره
كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين

واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه كنت ظالماً وعاملاً على
خلاف الوحى ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذاً من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف
من والذى جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا **فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم**
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح
الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء
للمبالغة نحو ما مرّ فى استعصم والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما
قيل وإذ هم نجوى تنزيلاً للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجى كما قيل هم صديق لانه بزنة
المصادر وجمع انجية قال انى اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس
خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوى نجوى او فوجا نجيا اى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم
تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان
تناجيهم فى تدبير امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم
من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم فى السن وهو روبيل وقيل شمعون وقيل كبيرهم
فى العقل وهو يهوذا ما فرطتم فى يوسف فيه وجوه ان يكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصرتم فى شأنه
ولم تحفظوا عهد ابيكم وان يكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه
قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان يكون موصولة بمعنى ومن قبل
هذا ما فرطتموه اى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الانصراف اليه او يحكم الله لى بالخروج منها او بالانتصاف
ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل و
الحق **ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا**
وما كنا للغيب حافظين قرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته
وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه
سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما
شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب حافظين أسرق بالصحة ام دس الصاع فى رحله
ولم يشعر **واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون** القرية التى كنا
فيها هى مصر اى ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء **قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل**
معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اردتموه
والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم **عسى الله ان يأتينى بهم**
جميعا انه هو العليم الحكيم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالى فى الحزن

والاسف الحكيم الذى لم يبتل بذلك الا لحكمة ومصلحة **وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه**
من الحزن فهو كظيم وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة
الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتى الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح و
يبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا من سبأ بنبأ
وعن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا
ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى **فان قلت** كيف تأسف على يوسف دون اخيه
ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا **قلت** هو دليل على تمادى اسفه على يوسف وانه
لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسنى اوفى المصيبات بعده ف
لكن نكاء القرح بالقرح اوجع ولان الرزء فى يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتبت عليها الرزايا فى ولده فكان الاسف عليه
اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى
بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض
فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه
الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على
يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط **فان قلت**
كيف جاز لنبى الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ **قلت** الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من
الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله على
ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع
المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبى صلى الله
عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم
عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد
او غيره فقيل له فى ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده
ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم مخرج
النفس يقال اخذ بكظامه **قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من**
الهالكين تفتؤا اراد لا تفتؤا فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون
ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور
اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعى ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا
على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض
بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل
جنب وغرب **قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون** البث اصعب الهم
الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اى ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو انى
لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربى داعيا له وملتجئا اليه فخلونى وشكايتى وهذا معنى توليه عنهم

اي فوّض امري الى الله والشكاية وقيل دخل على يعقوب جارٌ له فقال يا يعقوب قد تهشّمت وفنيت وما بلغت من
السن ما بلغ ابوك فقال هشّمني وافناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق
قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه
اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احبّ خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله
ما لا تعلمون اي اعلم من رحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وقيل انه رأى ملك الموت
في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حيّ فاطلبه وقرا الحسن وحَزَني بفتحتين وحُزني بضمتين
قتادة **يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون** فتعرّفوا من يوسف واخيه فتعرّفوا منهما وتطلّبوا اخبارهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات
وهما تفعّل من الاحساس وهو المعرفة فلما احسّ عيسى منهم الكفر ومن الجسّ وهو الطلب ومنه قال الشاعر الانسان الجاسّ والحاسّ
من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن من رُوح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد **فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز مسّنا واهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدّق علينا ان
الله يجزي المتصدقين** الضرّ الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدّق علينا وتفضّل
علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زد على حقنا فسمّوا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات
محظورة على الانبياء وقيل كانت تحلّ لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدّق
علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدّق عليهم ومن ثم رقّ لهم وملكته الرحمة
عليهم لم يتمالك ان عرّفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية
التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدّق عليّ ان الله لا يتصدّق انما يتصدّق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضّل عليّ او ارحمني **قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون**
قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلّمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب
فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتتوبوا
الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجرّ الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصّحا لهم
في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على نفسه في ذلك المقام الذي ينفث فيه المكروب وينفث المصدور و
يتشفّى المغيظ الحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها و
ارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سمّاهم
جاهلين وقيل معناه انتم صبيان في حدّ السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسّنا
واهلنا الضرّ وتضرّعوا اليه ارفضّت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادّوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن
اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكّل بنا البلاء اما جدّي فشدّت يداه و
رجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجّاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل

دخل في نوبة الخير **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب** الذين آمنوا
بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بيّنة تسكن
القلوب وتثبت اليقين فيها **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** الذين آمنوا مبتدا وطوبى لهم
خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك
وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلّ على محلّيها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك
والواو في طوبى منقلبة من ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ مكوزة الاعرابي طيبى لهم بكسر الطاء ليسلم الياء كما قيل
بيض ومعيشة **كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب** كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال يعني ارسال الرسل قبله
ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسّر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة
قد تقدّمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم النبيين لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون وحالهم انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة
فمنه فكفروا بنعمه في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدّق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم **ولو ان قرانا سيّرت
به الجبال او قطّعت به الارض او كلّم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا** ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتريد الجواب والمعنى ولو
ان قرانا سيّرت به الجبال عن مقارّها وزعزعت عن مضاجعها او قطّعت به الارض حتى تتصدّع وتتزايل قطعا او
كلّم به الموتى فتسمع فتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا
القران على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله وهذا يعضده ما فسّرتم قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال و
تقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبّهوا عليه كقوله ولو اننا نزّلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان
ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّر بقرانك الجبال عن مكة حتى تتّسع لنا فنتخذ فيها البساتين
والقطائع كما سخّرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخّر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم
نرجع في يومنا فقد شقّ علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخّرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا
منهم قصيّ بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء هو متعلق بما قبله
والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيّرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد
وقيل قطّعت به الارض شقّقت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا فيه معنيان احدهما بل لله القدرة
على كل شيء وهو القادر على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله
ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس اعلم
قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمّنه اياه لان الايس عن الشيء عالم بانه لا يكون

كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي شعر

اقول لهم بالشعب اذ يأسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم

ويدل عليه ان عليا عليه السلام وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في انفسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني فالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاء كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلث وقرأ ابن ابي اسحق وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة

اشق وما لهم من الله من واق لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي عليه السلام امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران و ثلثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلعم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به وقل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كأنه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه ان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه من شدة الشكيمة بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما تقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبه كل قول وفعل

ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب اولم يروا انا نأتي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر فلا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب كفى بالله شهيدا بما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم تقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس كافة قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم حجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب ايضا حجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة

والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه
وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها
مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم
امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه
واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد
وعمد وعمد على التثقيل والتخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا
يضل الا من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق
واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان
ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام
الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل
المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان
افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه
فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض
عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم
تنبيها عليهم واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي
انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة
اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه وان كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين
الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان
كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون
وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا
للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت
كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم
اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة و
قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد

واذ تاذن

واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظير تاذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل
ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى
واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن
شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة
الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما
ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد
بكثرة انعمه وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس
بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم
انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا اقوى او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها
في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي
جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع
والايات في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بادغام النون
مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر قالت رسلهم
افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين افي الله شك ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي
قال شعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته
جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه
الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم و
بين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه الله وبين مقداره
يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل

لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله اراد ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد لنخرجنكم او لتعودن في ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا يكادون يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اباه عاد لا يكلم ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن و لاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم

وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يسقوا فذكر الله تعالى ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف ويجوز ان تكون الجملة خبرا للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ويكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق والصواب الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز وما ذلك على الله بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال

خطابهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص﴾ ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر به تعالى لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عليه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم وهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في قوله من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت هذا من قول الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم ولنجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد ﴿وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم﴾ لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا

دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم من سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا فيّ قالت له ما انت بالمرضيّ وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴿وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخلهم انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ ومن يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان تنتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت في

في الارض ضارب بعروقها فيها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان
في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل قائم ابوه لان
المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار و
التوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين
والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه ان اقولها وانا اصغر القوم
ويروى فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا
انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء
تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم
يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على
كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل و
الكشوث ونحو ذلك ومعنى اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الحق ابلج والباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما
تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم
القيامة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشاء القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به
في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم
بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما
اقتصروا على تقليد كبرائهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان
مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية
بينهم وبين شأنهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
وبئس القرار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا وكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر

وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل
النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله فكفروا نعمة الله بدل ما
لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل
لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة
العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت
الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان
الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم
في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم
امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد
الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف لان جواب قل
يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا
الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية
بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع
به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه
ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات
ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا
خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة الا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالفتح الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الانسان لظلوم كفار الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات
ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره
بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه
نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز
ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان

القال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدّوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار
في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم و
اجاب فيه دعوة خليله ابرهيم عليه السلام آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل
هذا البلد امنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة
كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات
جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا
وأدمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد
احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت
حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال دار بالبيت رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ انهن
اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بالحنان تجعلني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي
هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم
واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه
ومن عصاني فيما دون الشرك رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل
ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد
فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها
او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل ارتفاق ومرتفق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك
وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين
اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من
الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب
مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول
بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان
يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه
وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من أفد تهوي اليهم تسرع

اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله يهوي نحو الخباء هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوي اليه و
اهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احبه ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم
ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي
يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم
ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ النداء
المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا
من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا
ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى
ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع
توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى
بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى
تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله تعالى تصديقا لابرهيم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم
يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما وقوله
على الكبر بمعنى مع كقوله شعر اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث يؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير
وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد
روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة
وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث ان الحال وقت الياس من الولادة والظفر بالحاجة
على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي
لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت
الله يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده
وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة
الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا
ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان تكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب

فاجتنابي وابنيهم لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي
اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي ولوالدي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني
اباه وقرأ الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع
ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وهما كافران قلت هو
من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح
من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم
قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب
قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما
بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلوة وأراه مناسكه وتاب عليه
وعن ابن عباس انه كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا
تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه
لا يحسبه غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم
معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز
ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا
فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من
هول ما ترى مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل
الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع
اليهم ان تطرف عيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا
لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام
مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء ومعنى ان افئدتهم هواء صفر من الخير خالية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال يوم
يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد
وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون

يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه
وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا
شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا ينتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا
لكم الامثال يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون
الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل
سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال وقد مكروا مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون
مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا
الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية
ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقطع عن اماكنها وقرأ علي رضي الله عنه وعمر وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
ان الله عزيز ذو انتقام مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا
قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان
الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليعلم انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم
شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه
الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك
بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا
يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد شعر وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها

ابوابًا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابي مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاند فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة **وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد** مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم **سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار** القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او وعد به في الآخرة بينه وبين ما نشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة ثم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى **ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب** اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولو الالباب** هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد كل من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الجامع للكمال والغرابة في البيان **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون** ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانه لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين **وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون** ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم **وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون** قرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثير في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر **لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين** لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل: لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها **ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين** قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وآله لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم

انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذى بعث به جبريل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت ففى قوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فى شيع الاولين فى فرقهم واحدها شيعة وهى الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعناه ارسلنا فيهم رسلا فحذف لدلالة ارسلنا عليه وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين يقال سلكت الخيط فى الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر فى قلوب المجرمين على معنى انه نلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اى غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر اى حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اى لو اريناهم الملائكة يصعدون الى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكير الابصار ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين من استرق فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون موزون بميزان الحكمة ومقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر فى ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين معايش بالياء بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراجها بين بين وقرئ معائش على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم مخطئين فان الله هو الرازق يرزقهم واياهم ويدخل فيهم الانعام والدواب وكل ما بذلك المثابة مما الله

رازقه وقد سبق الى تغليب العقلاء اى انتم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون عطفا مجرورا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شىء يتنفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بقدر معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير عقيم والثانى ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته فى قوله وان من شىء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار لعجزهم ونحن الوارثون اى الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل الباقى وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم الى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستأخرين وروى ان امرأة حسناء كانت فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يتأخر ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم هو يحشرهم اى هو القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل شىء على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شىء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب لمفرغ اى افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان الذى يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال اى خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس عن الحسن وعمرو بن عبيد والجان بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التى خلق الله منها الجان واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحى واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد وقيل استثناء منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين

حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن لا يكون مع الساجدين بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك
إليه قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اللام في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه
لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين
قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم رجيم شيطان من الذين
يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة
والإبعاد منها والضمير في منها راجع إلى الجنة أو إلى السماء أو إلى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حد اللعنة إما لأنه أبعد غاية
يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والأرض في التأبيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعنة
في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون
ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم
الذي فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف قال رب بما أغويتني
لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم
بإغوائك إياي لأزينن لهم ومعنى إغوائه إياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك إلى غيه وما
الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله
تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا أنه أقسم الآن
أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون
المعنى بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس
إليهم ما يكون سبب هلاكهم في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه وأراد أني أقدر
على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر أو أراد لأجعلن مكان
التزيين عندهم الأرض ولأوقعن تزييني فيها أي لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها
على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل
فيهم ولا يقبلون منه هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم
لغوايته وقرئ علي من علو الشرف والفضل وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم لموعدهم الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس إن جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ
جز بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف
عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين
المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها
الصلوات وغيرها ادخلوها على إرادة القول وقرئ ادخلوها بسلام سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة
ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين الغل

الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم
وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت جالسا
عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي عليه السلام مرحبا بك يا ابن أخي أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله
فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه
الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادّ
والتحابّ وإخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون
في جميع أحوالهم متقابلين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف
إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه نبئ عبادي
تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا
ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب
الأليم سلاما أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا
بغير وقت وبغير إذن قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه
وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله ونبشرك بفتح النون والتخفيف إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل أراد أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من القانطين يعني أبشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر
فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور
في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز أن لا يكون
صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة
وقوله بشرناك بالحق يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق
وهو قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون
وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشرونني وتبشرونّ بإدغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط
يقنط قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون أراد ومن يقنط من
رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك
قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم
مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين فإن قلت قوله تعالى إلا آل لوط
استثناء منقطع أو متصل قلت لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف
لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم
كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فإن قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك
أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا
ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمي في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما
مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء

ونجوا هؤلاء وفلان يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق
على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون
وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت
فقوله الا امرأته مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء قلت استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من
الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته
كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا
درهما واما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى
يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا
انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله
اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما
لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر
هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل
لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون منكرون اي تنكركم نفسي
وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله بهم فيمترون فيه ويكذبونك
واتيناك بالحق وانا لصادقون بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك
بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ فاسر باهلك بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى
صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل
وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث
الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره
وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة
احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب
وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على
مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال شعر تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى
وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك
الضمير في تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر
بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال
اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون

عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها
المثل في الجور مستبشرين بالملائكة قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه
او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون ولا تخزوني ولا تذلوني باذلال
ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان
تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان صلى الله عليه يقوم بالنهي عن المنكر والحجز
بينهم وبين المتعرض لهم فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه
ان يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم
بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله
كأنه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم
التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات
يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه
وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله
وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة مشرقين الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في
الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات
للمتوسمين من سجيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة
بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة
الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها لبسبيل مقيم ان
في ذلك لآية للمؤمنين وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون
تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم
وانهما لبامام مبين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا
عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم
ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون
لابن الزبير واصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وآله راحلته
فاسرع حتى خلفها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى
بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه
فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا

بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل مما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا
بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية
وان الله ينتقم فيها لك من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما
بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان
يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا وان ربك هو الخلاق العليم ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد
علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم سبعا سبع
آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم
يفصل بينهما بآية البسملة وقيل سورة يوسف وقيل هي الحواميم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي
التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او
مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك و
لما فيها من الثناء كانها تثني على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان واما للتبعيض اذا اردت بالسبع
الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ
المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت
اذا عنى بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى
الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء والتثنية والعظم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما
متعنا به انواعا واصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى
التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك
الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا
افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
في سبيل الله فقال لهم الله تعالى لقد اوتيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله
نازل بكم كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا
القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه
الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويقول

ان يراد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى
اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين
اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة
الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة
ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام
بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى
دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة
من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون لنسألنهم عبارة عن الوعيد
وقيل يسألهم سؤال التقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح
بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل وما في بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به
من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من
المبني للمفعول انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير في
المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص
بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب
فعمي واشار الى انف حارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل
ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله
هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ودم على عبادة ربك
حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلعم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة

وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعيد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة بمعنى تتنزل بالروح من امره بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا الناس بان الامر كذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولى لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثانى فاذا هو خصيم لربه منكر لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابى بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هى نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت بارواحها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر

اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها واما اذا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة مما لا منها اى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يراد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر ببال احد وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برىء منه ولو شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب والشجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات في الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقرئ ننبت بالنون والياء فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر

والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون قرئ كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحده ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ومثاله ان الله سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها المواخر جمع ماخرة وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات وبالنجم هم يهتدون وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى فقد جعلوا

غير الله مثل الله وغير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عباداتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون إلهكم إله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير الاولين قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل

شئ كان هذا ضلالة وعذابا وعد على الضلالة فيهما فلان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قوله فخرجت
من البلد مخافة الشر تعبير عما خال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من
اضل وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله
بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون القواعد اساطين
البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات
كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان
فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون
من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على انه يعمهم بالسقف بعضهم ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين
شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يخزيهم
بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة شركاءى على الاضافة الى نفسه
حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومعناهم وقرئ
تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء من
امتهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويقولون ذلك شماتة بهم و
حكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فالقوا
السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين وقرئ يتوفاهم بالياء والثانى وقرئ الذين توفتهم بادغام التاء فى التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين
جاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر قائلين ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان
فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وقيل
للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم
دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله
المتقين خيرا اى انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هؤلاء
لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا
بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وآله فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان
خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل
قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن
خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم

ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى امر ربك كذلك فعل الذين من
قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة
ظالمى انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولى الله
الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة تأتيهم الملائكة وقرئ بالياء والثانى يعنى ان يأتيهم لقبض الارواح او امر ربك او العذاب
المستأصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على
الرسل الا البلاغ المبين هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته
بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسل وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى انهم
اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا
مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم
فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق فان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك
وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له
وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين ولقد امده ابطال قدر الشر ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو
الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرف من اهل اللطف
ومنهم من حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرف مصمما على الكفر لا يأتى منه خير فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان
تحرص على هديهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى
الله عليه وآله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن يخذل لانه
عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اى لا يقدر احد ولا احد على هدايته
وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا
يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة ابى فان الله لا هادى لمن يضل ولمن اضل وهى معاضدة لمن قرأ
لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعى
ان تحرص بفتح الراء وهى لغة واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان
تحكيا وتدونا توركهم ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم وعدا
مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة

ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادنا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادتنا غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله عليه السلام وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف ظنك به وقد خافه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة اكبر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون الذين صبروا اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب لكل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اي نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب والذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما تعبدوا به في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتفكروا فيه فيتنبهوا ويتأملوا افأمن الذين مكروا السيئات

ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسبابهم او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته اذا تنقصته قال ابو كبير الهذلي تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وقرئ ولم تروا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الداخرين من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص

فاذا رأيت الدالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه من ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم ولهُ ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون الدين الطاعة واصبا لازما لتصرم الطرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ابدا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وما اتصل بكم من نعمة فهو من الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا امرا واردا في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا فكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدّ الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها

من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه به اما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قولهم لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم اليوم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم

من بين فرث ودم اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اى فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذى منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اى كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفى كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير فى منه اذا جعلت الظرف مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذى هو العصير كما رجع فى قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال شعر وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحى وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى والثانى ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو على الجبائى قدس الله روحه غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج فى المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون الايحاء الى النحل الهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها فى صنعتها ولطفها فى تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولى العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذى هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها ومما يعرشون من سقوف البيوت

وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت الاماكن التى تتعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس فان قلت ما معنى من فى قوله ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون من كل الثمرات احاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى الهمك وافهمك فى عمل العسل او فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبسين فيها فقد بلغنى انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها لها ووطاها وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه وآله ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع التاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون اى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى المطعم والملبس كما يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى ان الموالى والمماليك انا رازقهم جميعا فهم فى رزقى سواء فلا يحسبن الموالى انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقى اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء والله جعل لكم من انفسكم ازواجا

وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون
من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة
ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيه فقيل
الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون
في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا
هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا
انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم
يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا
شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم
الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل
يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به
شيئا كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون
تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من
السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة
بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من
ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد
قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم اموات
الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه
ولا يتاتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه
حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار
الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال مثلكم في اشراككم
بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق
منه كيف يشاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من
الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعله غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران
على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه
ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل
يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على
شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم

الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله
ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع
رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل
ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي
اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اوجه اي توجه وفي قراءة ابن مسعود اينما يوجه على
البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء
قدير ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات
والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو
عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله و
يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم
بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه
ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة
قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون
وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة
الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم و
الافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع
غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء
ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو
والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر
والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب
والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم
في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه
اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون والله جعل لكم مما خلق ظلالا
وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم
كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن

به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وسرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن والسرابيل عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفايضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتؤمنون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين فان تولوا لم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر هو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون يعرفون نعم الله التي عددها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا وبعضهم اسند الاعمى النعم بعض هذا الكلام انها من الله وانه اجراها على يد فلان ويجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا معنى ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم او يوم نبعث نقعوا فيما نقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون بغتهم وتثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الآية واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ان ارادوا بالشركاء آلهتهم يعني شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو يعني نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عقابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا

عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف يكون القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع الصحابة والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح الرجل ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كل تفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل وكفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم كانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من

من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار
وعلى ما يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء
لما أثبت لهم عملا يسألون عنه **ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما**
صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير
لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما
كانوا يعملون ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها
فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن
الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب
عظيم في الآخرة كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين
وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم
الله عن ذلك الصحيح ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا إن ما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من
أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا على أذى
المشركين ومشاق الإسلام **فإن قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد
أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم**
بأحسن ما كانوا يعملون **فإن قلت** من متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح
على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا
حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فلا مقال فيه وإن
كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال
في أمره وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن
القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله**
من الشيطان الرجيم لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله إيذانا
بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله
كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقوله إذا أكلت فسم الله **فإن قلت** لم عبر عن إرادة الفعل
بلفظ الفعل **قلت** لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة
ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن
اللوح المحفوظ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ليس له سلطان
أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته **إنما**
سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير

يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا**
إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا و
هدى وبشرى للمسلمين تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح
وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم أما تعبدات ويجوز أن يكون يتعبد عباده كل وقت
بما أراد وأما مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى
عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما
أنت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم من العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون
إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان
ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوان
والمشقة **فإن قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره
من السنة والإجماع والقياس **قلت** فيه أن القرآن ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة
المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير
المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها وفي ينزل وينزّل وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب اقتضاء الحوادث
والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في
خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود
وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها
بالحق في موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ
حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلب على أن الله
تعالى حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا
لهم وإرشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف **ولقد نعلم أنهم**
يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين أرادوا
بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن
التوراة والإنجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما
فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة يقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال
حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه
ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه
لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم وقرئ
يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون بتعريف اللسان **فإن قلت** الجملة التي هي قوله لسان
الذي يلحدون إليه أعجمي ما محلها **قلت** لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله أعلم حيث
يجعل رسالاته بعد قوله وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله **إن الذين لا يؤمنون**

إن الذين لا يؤمنون **بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم** ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من اهل اللطف والثواب **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون رد لقولهم انما انت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وأولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اى هم الذين الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذى هو أولئك او من الخبر الذى هو الكاذبون او ينتصب على الذم ويجوز ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للدين والاسلام وقد روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين** ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعقاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون** أولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ثم ان ربك لهم دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار واضرابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر ثم

قرئ فتنوا على البناء للفاعل اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى واشياعه من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون** يوم تأتى منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفى الحديث نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير شعر غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثانى ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله شعر ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافى الرداء اذا تبسم ضاحكا **ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** وهم ظالمون فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ ولباس الخوف والجوع **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم** لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فى قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التى كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعنى تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه **ولا تقولوا لما تصف**

ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام أو مقول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فإن قلت ما معنى وصف ألسنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ما قصصنا عليك يعني في سورة الأنعام ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين كان أمة فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال إني جاعلك للناس إماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال إن معاذا كان أمة قانتا لله فقلت له غلطت إنما هو إبراهيم عليه السلام فقال الأمة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر أنه قال حين قيل له استخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهي ذلك المعنى أي كان إماما في الدين لأن الأئمة معلم الخير والقانت القائم بما أمره الله والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم شاكرا لأنعمه روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم إلى ملة الإسلام وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل الأموال والأولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم لمن الصالحين من أهل الجنة ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة

إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أوحينا إليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته فإن قلت فما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين قلت معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين تارة ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله إنا أنزلنا السبت ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون سمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وإن عقبتم فعقبوا أي وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو الضمير في لهو للصبر وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع إلى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله

وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك
الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين او على المؤمنين وما
فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم و
الضيق تخفيف الضيّق اي في امر ضيّق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول **ان الله**
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي
الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال
لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم
عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية **سورة**

بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر
متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل
على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على
الظرف **فان قلت** الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل
مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه
قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن
الليل فتهجد به نافلة يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل هو المسجد
الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد
بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان
نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي
النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك
قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث
الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا
وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر اليه فاستنعتوه المسجد
فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن
عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر هذه والله العير
قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء
في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه

لقي الانبياء صلوات الله عليهم وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة
وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة انها قالت والله ما فقد
جسد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا
رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد
بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية و
الاشجار والاثمار وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه
على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه**
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا الا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء على
النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي
تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فتحها ولد
الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال
الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي
كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج
عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا
آثره به **فان قلت** قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله **قلت** كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا
ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله
آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به
فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد **وقضينا الى بني اسرائيل في**
الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا
لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا
عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهما السلام
فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا
مفعولا عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر و
عن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا **فان قلت** كيف
جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه **قلت** معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله

تعالى أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار **فإن قلت** ما معنى وعد أولاهما **قلت** معناه وعد عقاب أولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل **ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا** ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل هي قتل داود جالوت أكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا** أي الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم وعن علي عليه السلام ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها فإذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم فحذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي عليه السلام لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب إذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم **عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما** للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف **فإن قلت** كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة **قلت** كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما كافر مشرك وإنما أحدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك **فإن قلت** علام عطف وأن الذين لا يؤمنون **قلت** على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا** أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت له من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو

لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبحر والبر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم وقرئت بالنون والتاء التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم **يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا** قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وعن الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يكون علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته **فإن قلت** لم قيل فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع

لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما
في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام
منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن
تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم
احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه
ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله ولا يظلمون شيا فلا يخاف ظلما ولا هضما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى
فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته
لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد
جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه
بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شي فكانت الفه
واقعة في الطرف معرضة للامالة وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وآله لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان
تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب
ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه فقال اسعرتم قلب
نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا اجعل
آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين
عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني
ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم
ينزل عليه واذا لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم
وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة
هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو
عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا
في النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف

واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو
قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب
الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد
الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على
ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان
الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة
لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي
جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا
لا يلبثون خلافك الا قليلا وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم
من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون خلافك لا يبقون بعد اخراجك الا زمنا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال
فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه
وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود
وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر
ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت
رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع
اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ
لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها
الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي
اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال شعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط
الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا
سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد اي سن الله ذلك سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وآله اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت
الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية
جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء
وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم
في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان
الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة
ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب
ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحو التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد **نافلة لك** عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم **عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا** نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله هو المقام الذي اشفع لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** وقرئ مدخل ومخرج بالفتح والفتح بمعنى المصدر اي ادخلني القبر مدخلا صدقا ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر والنبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان **سلطانا نصيرا** حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل مكة عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عليه السلم اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى تعبد هذه الاصنام حولك دونك فاوحى الله الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى اوكارها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد وحكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه

اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا** وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا** واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بتقديم اللام على العين كراء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض **قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة **ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا** الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية فيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا** لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين

المتين والقيام بشكرها وعامة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره وتثبيته عليه في بقاء المحفوظ و
عن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين
لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا
للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت
من زعم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على
خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم
فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة
على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا ولقد صرفنا رددنا وكررنا من
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا
ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا لما اعجزهم القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون
باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ تفجر
بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا
كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كسفا جمع كسفة كسدرة
وسدر وبتحريكها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت
منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف
او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي
هل كنت الا بشرا رسولا من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في
السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك
عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليه حتى
تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون
بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات

وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الا التعنت قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول
وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى
الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان
يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي
الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى
السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم و
ارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعول عليه الاول ومن
يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ومن يهده الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي فانه
لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر
على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في
الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في
الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون
كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها وسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك
في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله
خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان
المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم
ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع
وضوح الدليل الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان
قتورا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون
فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان
انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني

وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا
والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل
مكة الذين اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل
يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لكنتم من اهل البخل عندك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل
بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه الله على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج
يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن
صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى عليه السلام ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي
سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له
سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي
لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا
وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ
جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على
الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء
الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا و
قرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة و
هي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع صحة علمي
اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد ان
يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده لبني
اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا
جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه و
بالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير
او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما

ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا
نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرا مشددا وقال لم ينزل في يومين ولا في ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب
الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين
قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وآله وانزال
القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب و
رطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا
وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة
بايمان العلماء على الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط
على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء
ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه
جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا عن ابن عباس
رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى
الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى
واو للتخيير يعني ادعوا الله وادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في اياما عوض
من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير
في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما
ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف
المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى
ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر
كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ

الوشنان نامر ابا بكر ان يرفع قليلاً وعمر ان يخفض قليلاً وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ولي من الذل ناصر ومانع له منه لاعتزازه به اوله وال اعداء من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا افصح غلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية وماية اوقية

سورة الكهف مكية وهي ماية واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً ماكثين فيه ابداً لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجاً ولم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيماً قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيماً على سائر الكتب مصدقاً لها شاهداً بصحتها وقيل قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيماً انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذاباً قريباً فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باساً شديداً والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باساً وباسة من لدنه صادراً من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتشديد فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرار الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجراً حسناً استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدث

قوله فاعلم ان هذا السؤال والجواب اشارة الى ما ذهب اليه الزجاج في تفسيره وما اورد ابو علي في الاغفال قال الزجاج الامد الغاية

به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشوراً من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولداً وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفاً مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالاً والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملاً وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله انا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيداً جرزاً يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت شعر وليس بها الا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف هجد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجباً من آياتنا وصفاً بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشداً من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشداً حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشداً كله كقولك رأيت منك اسداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجاباً من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عدداً ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد وان كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امداً اي تضمن معنى الاستفهام تعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضاً لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كأنه قيل ليعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امداً لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به

ولأن أمداً لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسدّ عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه
بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو
قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم
المدة غرضاً في الضرب على آذانهم قلت الله تعالى لم يزل عالماً بذلك وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا
إيماناً واعتباراً ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو
من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر
على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي
الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والأرض شططاً قولاً
ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشط في السوم وفي غيره هؤلاء قومنا اتخذوا من
دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف
بيان واتخذوا خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو
تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى
يصح ويثبت فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم
على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله يجوز أن يكون
استثناء متصلاً على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعاً وقيل هو كلام معترض
إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله مرفقاً قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أي ينتفع إنما أن يتولوا
ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن أخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبياً
وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً تزاور أصله تتزاور
فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها وقرئ بهما وقرئ تزور وتزوارّ بوزن تحمر وتحمارّ وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره
إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم
من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالاً وعن أيمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم
في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض
لإصابة الشمس لولا أن الله تعالى يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار
ذلك من آيات الله أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك السمت
تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهم في مقناة أبداً ومعنى
من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم
بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين
الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلانه

وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل واحد والأيقاظ جمع
يقظ كأنكاد في نكد وقيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة
وقيل تقلبة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوباً وانتصابه بفعل يقتضيه
يدل عليه وتحسبهم أي وترى أو تشاهد تقلبهم وعن جعفر الصادق عليه السلام وكالبهم أي وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي وإضافته إذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد
إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد شعر بأرض فضاء لا يسد وصيدها
علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ ولملّئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعباً بالتخفيف والتثقيل
وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملأه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم
أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس
رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً فقال معاوية لا أنتهي
حتى أعلم علمهم فبعث ناساً فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحاً فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت
عليهم بضم الواو وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض
يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إظهاراً
للقدرة على الإنامة والبعث جميعاً ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضاً ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم
قدرة الله ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكم لبثوا به قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن
وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ قالوا ربكم أعلم بما
لبثتم إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن
مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم
فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك فإن قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر حديث المدة قلت
كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة
ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفاً
من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء وبالواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف
في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة
طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين
على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سألها عن محرم يشد
عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله
ويفهم منه ذلك وكانت تتابع بين أهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر
إليهم ويحمد الله بذلك فإذا انقضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن أيها
أي أهلها فحذف الأهل كما في قوله واسأل القرية أزكى طعاماً أحل وأطيب أو أكثر وأرخص وليتلطف وليتكلف اللطف

والتنقه فيما يأتي من أمر المبايعة لا حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي
من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمي ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم
في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا الضمير في أنهم راجع إلى الأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت
عادتهم ويعيدوكم أو يدخلوكم في ملتهم بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود في معنى الصيرورة الكثير في كلامهم يقولون
ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم في دينهم وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد
الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم
قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من
الحكمة أطلعنا عليهم ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله حق وهو البعث لأن حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها
كحال من يموت ثم يبعث وإذ يتنازعون متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة
البعث فكان بعضهم يقولون تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن
الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا
أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وآله
بالحظيرة قال الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف
ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون
الطريق إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام
وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم على القتل فأبوا إلا
الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ما
تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف و
كانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته
في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين
لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من
بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه
القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الإنس والجن ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه و
أمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا
ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى
حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين
تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم
ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا سيقولون الضمير لمن خاض

في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب
إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم
كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من أولئك القليل وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب
وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا
ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام وعن علي عليه السلام هم سبعة نفر
أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس
واسم كلبهم قطمير فإن قلت لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت فيه وجهان أن يدخل الآخرين في حكم
السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم
أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير وما هو عنها بالحديث
المرجم أي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في التاء وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة
وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فإن قلت فما هذه الواو
الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى
وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت
مستقر وهي الواو التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن
كما غيرهم والدليل عليه أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل
وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة
وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة
أي سيقولون أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل
أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا
تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت ولا تسأل أحدا منهم
عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة
والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا
إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولا تقولن
لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء
متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن يعترض مشيئة الله دون فعله
وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن
يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئة الله وهو في موضع الحال أي إلا ملتبسا بمشيئة الله

قايلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله. وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا** ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلاث مائة سنة تسعا تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السماوات والأرض من ولي من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا** كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كأن

ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة والغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به **فإن قلت** أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم **قلت** الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ عينيك من أعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله إني أرقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا** أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم **فإن قلت** إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ **قلت** من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الأولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس

وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين
والملوك على اسرتهم ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل و
جعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له
ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا﴾ واضرب لهم مثلا رجلين اى ومثّل حال الكافرين والمؤمنين
بحال رجلين وكانا اخوين فى بنى اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى
سورة الصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا
بالف فقال المؤمن اللهم ان اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه
دارا بالف فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم انى
جعلت الفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين
بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل
رسول الله صلعم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا
طافوا به وحففته بهم اى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته
وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو
اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجارى فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف
ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف
وفى قراءة عبد الله كل الجنتين آتى اكله ثم ردّ الضمير على كل وكان له ثمر اى انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب
والفضة وغيرهما اى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من
كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعنى انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون
الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسائله فما احار كلمة ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا﴾ يعنى قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه
ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها
يعنى انه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا
منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم
اخبار عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة
واطراحه النظر فى عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه ﴿وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا﴾
ولئن رددت الى ربى اقسم منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة
خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه

واستيلاه

واستيلاه وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لى عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا وقرئ
خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اى منقلب تلك خير من منقلب
هذه لانها فانية وتلك باقية ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾ خلقك من تراب اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب فى خلقه
فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه
لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا ﴿لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا﴾ لكنا هو الله اصله
لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل شعر
وترمينني بالطرف اى انت مذنب * وتقليننى لكن اياك لا اقلى اى لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان
الله ربى والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الالف انا فى الوصل والوقف جميعا
وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من الهمزة وغيره لا يثبتها الا فى الوقف وعن ابى عمرو انه وقف بالهاء
لكنه وقرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح انا وقرأ ابى بن كعب لكن انا على الاصل وفى قراءة عبد الله
لكن انا لا اله الا هو ربى فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله
لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ﴿ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك
ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع
له طلبا﴾ ما شاء الله يجوز ان يكون موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر
ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اى شئ شاء الله كان ونظيرها فى حذف الجواب
لو فى قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر
ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة و
ان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها بمعونته وتاييده اذ
لا يقوى احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب
فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع
جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله
واعز نفرا والمعنى ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى
لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصاعقة صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق
عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر ﴿واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق
فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا﴾ واحيط به عبارة عن اهلاكه و
اصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله الا ان
يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية

عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى
الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن
كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم وقيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها يا ليتني تذكر
موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وقرئ ولم يكن بالياء وحمل ينصرونه على المعنى
دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون
على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا الولاية
بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله
وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان
والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك
بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله
ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن
وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع
والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة
فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه
الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا
وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض
ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحد هشيمة وقرئ
تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء
مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا
الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل
هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله خير ثوابا
أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة ويوم
نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا قرئ تسير من سيرت وتسير من
سيرت ونسير من سيرنا أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثورا وقرئ وترى الأرض على البناء
للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال
غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا

كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا
مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو
عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل جئتمونا عراة
لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت
للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك
موعدا وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من
المعاصي إلا أحصاها أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز
أن يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن
عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا
قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها إلا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف
عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم
كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو
بئس للظالمين بدلا كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا
قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لأنه
لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس
كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمده من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع الشبهة
في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا أو صار فاسقا
كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه
وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته ما أشهدتهم
خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم
يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية
بقوله ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله
ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم عضدا أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما
لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله
والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي عليه السلام متخذا المضلين بالتنوين على الأصل
وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا

بقضيبين جمع غاصب كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا** يقول بالنون واليا واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك وارفقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفرا البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير خل عن شيئه من مصرف **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا** اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين **وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا** ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا **وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا** ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة فيكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا** بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه **وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا** فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول يعني انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا **وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا** الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا لجا ووال اليه اذا لجا اليه

وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة ومكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر **واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا** لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن النون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم **فان قلت** لا ابرح ان كان لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر **قلت** هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل

نثرة لابلة على ساحل عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروى انهما اكلا منها و
قيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه
مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر **فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا** فلما جاوزا اي فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع
ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب
والجوع حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء
الصخرة **فان قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين
ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها
في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت
قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة
امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام **قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا** ارايت بمعنى اخبرني
فان قلت ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى
الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه
اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله
سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى
من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك **قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي
كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما
الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب **قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا** رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني **فان قلت**
اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم
اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين **قلت** لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه
ان ياخذه عمن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب
موسى وان موسى هو موسى بن ميشى فقال كذب عدو الله **قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا** نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في
ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار و
خبرا تمييز اي لم تحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر **قال ستجدني ان شاء الله**

صابرا ولا اعصي لك امرا ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي هذا
عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليهما السلام
عن حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح
عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه بري من ان ياتي ما ينفيه حقيقة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم **قال
فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا** قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعي
انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا** فانطلقا على ساحل البحر يطلبان
السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع
جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اذا امرا **قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا** بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته
او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم
انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلام
هذه اختي وعنى سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا
غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء و
ترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين **فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا** فقتله قيل كان فتل
عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين **فان قلت** لم قيل حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله
من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت **فان قلت** فلم خولف بينهما **قلت** لان خرق السفينة لم يعقب
الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده
لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان
نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان
ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين والمنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد
وهذا لا سبيل الى تداركه **فان قلت** ما معنى زيادة لك **قلت** زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم
بقلة الصبر عند الكرة الثانية **قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا** بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني

على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تُصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدُني بتخفيف النون ولَدْني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضُد عضْد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا** اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما وقرئ يُضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيّفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وآله كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي **شعر** في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكى الى بعير وتجمح ان يك ظني صادقا وهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء **قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا** **فان قلت** هذا اشارة الى ماذا **قلت** قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه الصلاة والسلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به **اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل**

سفينة غصبا لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبر فاعلم الله به الخضر وهو جلندى **فان قلت** قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه **قلت** النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة **واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا** وقرا الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى علمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما** وقرئ يبدّلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا** قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسن واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد عليهما السلام كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي عليهما السلام انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله **ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا** ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة من ورائه وقيل كان نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا

ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت
له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحبه الله فأحبه وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال
ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر
فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله
عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقا وغربا وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل
انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم والفارس وروي الروم والترك وعنه كان صفحتا
رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته
كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين **إنا مكنا
له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما** من كل شيء أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده
في ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب
فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا
وقرئ فأتبع سببا وقرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر رضي الله
عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر
أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن
عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية
لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين
كذلك نجده في التورية وروي في ثأط موافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فأنشد قول تبع فرأى مغيب الشمس
عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية
فجاز أن يكون العين جامعة للوصفين جميعا **قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ
فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا
نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع
سببا** كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد
في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في
الدارين وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين الأسر والقتل و
سماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فعلة أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى
التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أي فله الفعل الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور
وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل
المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين
حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا

وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كأن
آثار مجر الرامسات على قوم من الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب
فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي
صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة
فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر
اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض **كذلك وقد
أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا** كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره أو لقد أحطنا
بما لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك
الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل
بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم
كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم **حتى إذا بلغ بين
السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا** بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما وقرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد
بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين
على أنه مفعول به كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من
الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكا
يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون
في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا** يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان
بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل والديلم مفسدون في الأرض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا
أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفتهم
لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار
مفرطو القصر وقرئ خرجا خراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح و
الضم **قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما** ما مكني فيه ربي خير
ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات الله
عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل و
بالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع **آتوني زبر
الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا** قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء

وجعل الاثافي من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما
ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ان رجلا اخبره به
فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبل لانهما
يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة قال آتوني
افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا والقطر النحاس المذاب لانه يقطر
وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني
فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ
بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه و
املاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء و
كان وعد ربي حقا هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقتدار والتمكين
من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان يأتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر
فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وعرضناها لهم
وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كأنما اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا
اعتدنا جهنم للكافرين نزلا عبادي من دوني هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقرأ علي عليه السلام افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل
في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما
يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي عليه السلام
كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي عليه السلام ان ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء
وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نقيم لهم وزنا

فتزدريهم ولا يكون عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات
من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم
الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم
بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا وجهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول
يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واماني
وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد
الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى
لو كتبت كلمات الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر
مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن
ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء
وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فمن كان يرجو
لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه
والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت
في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما
شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى
به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن
قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه
قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى الكعبة حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله
هو الموفق والمستعان وعليه التكلان

آ

آ

سورة مريم وهي ثمان او تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء قرأه حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه واخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وقرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما ركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل اليه بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي ويتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اخترعه منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يرثني ويرث بالجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة

وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصّرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة وعلي الكسائي بكسر العين وكذا صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد عسيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا اي خذ التوراة بجد استظهارا بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك ومعمر

العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه **وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا** حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك هاهنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة والطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا** من الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن **واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا** اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكرها ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبر لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبرئيل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرئ روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اردت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين **قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا** اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقوله تعالى **قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا** جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر **قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا** ولنجعله

للتعليل معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين ٥ **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا** عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها **فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** اجاءها منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في صحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف للجنس اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارسلها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها والجاءها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي اسم ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا من الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف

اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس بخلافه عيبا تُعاب به وتُعنّف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نَسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوَتر والوِتر والجَسر والجِسر ويجوز ان يكون مسمّى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نِسْأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش مِنسيا بالكسر على الاتباع كالمِغيرة والمِنخر فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا من تحتها هو جبريل عم قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وآله عن السري فقال هو الجدول قال لبيد شعر فتوسطا عرض السري فصدّعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تَسّاقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتَساقط بطرح الثانية ويَسّاقط بالياء وادغام التاء وتُساقط وتَسقط ويُسقط وتُسقط ويَسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جِنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي طيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقِري بالكسر لغة نجد فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ترئنّ بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوّغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا الفري البديع وهو من فري الجلد هرون

كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وآله انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة بينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا ابو عمرو بن ابي نجاء التيمي ما كان اباك امرا سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا صلوات الله عليهما وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر وهو ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وآله نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قرئ وبِرّا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله تعالى وان يكون بمعنى

البات والصدق وبعضه قول الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون
والمرية الشك ويتمارون ويتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرأ
علي ابن ابي طالب تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان
يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كذب النصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء
الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا ينتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال الغير المستقيم ان يكون ذاته كذات
من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان
الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع
اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح
ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاشارة وابن عبيد بالكسر على
الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم الاحزاب اليهود والنصارى من الخلق وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق
نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين
الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف
او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان يشهد عليهم الملئكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم
بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر
يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ
جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء
ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه
وآله انه سئل عنه فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة
متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحق وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين
غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون لا يبقى لغيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه
ويفنى الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا
ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة
ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي
كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق
لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان

او صديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه
وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله هو ذاكره
مورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقد
يقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء ولعلها انطق بين التاءات فطه ايضا حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا
العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف
رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه تعالى حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اوحى
الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه
اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة قدسي وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب
منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب
نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين
والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك لان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا
ان يكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم
فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات
خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى
بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة
من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب انى واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان
الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك
الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك
بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في
الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى
ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه
سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان
العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس
ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله
اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح
الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا وما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان يكون موصولة وموصوفة

والمفعول انه لا يسمع ولا يبصر منزل منزلة غير المتعدي للوليين باستماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون
في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من
قولهم اغن عني وجهك واجمل ... في تجدد العلم عنده ولما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات **قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن
لم تنته لارجمنك واهجرني مليا** اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه
ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله
صلى الله عليه وآله عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم
منه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا
زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان
ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني مليا قلت على معطوف عليه محذوف
يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع **قال سلام عليك ساستغفر
لك ربي انه كان بي حفيا** سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال
هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز له ان يستغفر
للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار
والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما
استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما
القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية
العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
او مستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر
لابي الا عن قوله لاستغفرن لك ويشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر
والالطاف حفي به وتحفى به **واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا** اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله
عليه وآله الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه
الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في
كلمة عسى وما فيه من هضم النفس **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا** ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا من رحمتنا هي النبوة من الحسن وعن الكلبي
المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنياوي اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد

باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم
وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته
فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اثنى عليه واعلى ذكره **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا**
المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله
الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله تعالى وان لم يكن معه كتاب كيوشع **وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا** الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور
او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع
صريف القلم الذي كتبت به التورية **ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا** من رحمتنا من اجل رحمتنا له و
ترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون
عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته
كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ذكر اسمعيل
عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه
والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين **وكان
يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا** كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم
قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم و
اهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة و
عشيرته لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب
والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك **واذكر في الكتاب ادريس انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا** قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو
غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز
ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي
شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم و
الحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء
الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة
الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وآله الشعر الذي آخره شعر بلغنا السماء مجدنا وسناءنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة **اولئك
الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل**

ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في النبيين للبيان مثلها في قوله في آخر سورة الفتح وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من
ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من
ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته ومن هدينا
يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك وكان اذا تتلى كلاما مستأنفا وان جعلته
صفة لكان خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل والبكي جمع باك
كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين
البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك
قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة
بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك
ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك
وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا خلفه اذا اعقبه ثم قيل
في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر
عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم
ومجاهد اضاعوها بالتأخير ويؤيد الاول قوله الا من تاب وآمن فانه يعني الكفار وعن علي في قوله واتبعوا الشهوات
من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات
بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال ش فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة الآثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها وروى الاخفش يلقون الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا
وقرئ تدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر
لا يضرهم اذا تابوا وآمنوا ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لما كانت الجنة مشتملة على جنات
عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة
كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العلم لذلك او
هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة و
لما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة
او وهم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به وقيل مأتيا مفعول بمعنى فاعل والجنان
الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها

لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على
وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو
والجهل والخوض فيما لا يعنينا الا سلاما اي لكن تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم او لغوا الا ذلك فهو من
وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة و
اهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الاكرام
من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي
عادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء
وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نورثه وقرئ نورث
استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت
اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى
وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وما نتنزل حكاية قول جبرئيل عليه الصلوة و
السلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وآله روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين
حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك
عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل قال له النبي ابطأت حتى ساء ظني
واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله هذه الآية
وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي
ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج
واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله
على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته
وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجري الا بامره ومشيته
رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من
امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال
التي نحن فيها وقيل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا
وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف
نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه
وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان عدم النزول الا لامتناع الامر به واما

احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا تاركا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وآله حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النبي مثله فالبقي

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد بالعبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها

ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا

يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق شعر فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه

أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا

الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا تفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقايس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا

في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وآله تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب

ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا

المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا وايهم اشد النصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا

وان منكم الا واردها كان على ربك

كان

حتما مقضيا وان منكم التفات الى الانسان تعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير
التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن
ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى دواية عن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك
فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي
خامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها و
واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط
ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد و
ان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وآله
الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار
خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا
على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
قرئ ننجي وننجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي
الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود
وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء من ثم اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بينات مرتلات
او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون
حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك
ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع و
الندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل
ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون و
يتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي شعر
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ورئيا منظر وهيئة
فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو
النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف الهمزة

والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى
احسن من هؤلاء قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له
في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال
له يوم القيامة او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في هذه الآية وجهان احدهما ان يكون متصلة بالآية التي هي رابعتها
والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي
والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا
وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان
لاحق بهم لعلم الله بان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم
الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان
قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون
فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس
الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر
تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين
هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس
لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات
خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه
اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم
الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه
قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده افرأيت الذي
كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا لما كانت مشاهدة الاشياء
ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة
معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع
الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر
مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول او قد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى
الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين

الرحمن اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد
في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة عمل
له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن نزلت في الوليد
بن المغيرة والمشهور انها نزلت في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون
لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا و
فضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا
كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين
التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما
سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله ع اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست
بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان و
استاخر فجرد هنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب
به الكفار المستهزؤن او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن
ابي طالب ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله تعالى نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب
به غضبه ونرثه ما يقول وياتينا فردا ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه
والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول ولي فوق ما تقول ويحتمل
انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه
جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة وياتينا
فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول
انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله وياتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى
قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به وياتينا على فقره ومسكنته
فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا
على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد
ذلك واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا
ينقذونهم من العذاب كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة
وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب
ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية
فهي كلا التي هي الردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم
وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها
قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل

والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد
العون يقال من اضدادكم يعني اي من اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه
فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء
واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها
وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان
كانوا يعبدونها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم
عدا الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وآله بعد
الآيات التي ذكر فيها عتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم
في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم
في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح
انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج
نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت
الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى
جهنم وردا نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز
ان يكون منصوبا بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه
وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي عليه السلام ما يحشرون والله على ارجلهم
ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف
كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
شعر ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق
المجرمون لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا
ادا الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان
يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل وعلى
الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ
العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم
ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة
انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين

لهم عند الله عهدا يعني موعودا لهم الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع
الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا
من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني
اثقلني وعظم علي ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا
شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعولا له اي لانها تهد فان قلت
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما
ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي و
وقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد
من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها
لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه
وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة
تسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا
من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء
الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن
وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم
وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما
عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له
ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وآله من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا ابن نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب
مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو
من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من في السموات والارض الا
آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا من موصوفة لانها
وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن
على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة
وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم
لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه
بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي
اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه

ما يدعيه

ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم
وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم
برآء منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى
سيحدث لهم في القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا
منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما
لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان
يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن
عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احب الله عبدا يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة
في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به
المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك و
هو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد
اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه
اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح
اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة مريم اعطي عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس
عشر حسنات بعدد من دعى لله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن
الحسن طه بفتح الطاء وسكون الهاء وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وآله كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ
الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر
والهاء للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طه
في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا
فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق
التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق
ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن
ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تأسفك

عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام والصلوة صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن على العرش استوى قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهو خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط

يده قط بالنوال او لم يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى الحسنى تانيث الاحسن وصف بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن وهل اتاك حديث موسى قفى على تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك وكانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان منتفيا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما تقتبس فيه من شعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه

كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست وأسمعه بجميع أعضائي. وروي أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة. وروي كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت. وعن ابن إسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم. قيل أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها. وروي أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي. طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى. اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك بالنون. لما يوحى للذي يوحى أو للوحي تعلق اللام باستمع أو باخترتك. لذكري لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكرها ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أو لأن الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله للذكرى أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهاره كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس شعر فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها يحتمل المعنيين لتجزى متعلق بآتية. فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى أي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة. فإن قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة

الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر السبب ليدل على المسبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه وكان ذكر السبب دليلا على المسبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله. وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه تعالى في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد. قرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري أراد وأكثر ما تبدل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق بسكون الياء. أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة. وأهش بها أخبط الورق أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة تخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان يتكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم وذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد تعالى أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام. قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى. السعي المشي بسرعة وخفة حركة. فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدها

انما كانت وقت انقلابها حية صفراء دقيقة ثم يتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في عظم الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى** لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها **واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى** قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك **اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان ييسر عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب **فان قلت** لي في قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة

فينعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني **واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا** الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا لقولهم عشير وجليس ونديم وقعيد وخليل وصديق فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولا وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد واشركه في الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به ازري خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى** السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف

والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون
الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشية الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم
الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته و
قيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت
فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ
على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به فالتقط من الساحل الا ان
يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة ومني لا يخلو اما ان يتعلق
بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة
اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك
روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ولتصنع على عيني لتربى و
يحسن اليك وانا راعيك ورقيبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني
انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه
او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع
بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع ويجوز ان يكون بدلا
من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد
طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها
روي ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة
فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه
وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا
من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان
ينشب فيه اظفاره حين هاجر الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور
وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال
سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله تعالى عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه
في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير مدين على ثمان مراحل من مصر ومن رغبا لبثت
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين اي بقي في مدين روي ان الملك
استنبئك فيه وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار
من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تقصرا
لا تزالا على ذكري حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين
ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات و

وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر ... هرون وهو ...
سالكي موسى وقيل ... وقيل ... ذلك فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين مثل قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز
العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل
كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما و
باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه و
جدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى
ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فرط
سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة و
يبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من
شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين
حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول
بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا من شراسته و
عتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى
معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجب حفظي ونصرتي لكما
فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء كانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان
الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو فاتياه فقولا انا رسولا ربك
فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد
اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال
الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية
من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها
التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال
قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات بها ان كنت من
الصادقين او لو جئتك بشيء مبين والسلام سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة
النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل
في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه
لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد
يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون

اليه ويرتفقون به او اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة
واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة زوجين والرجل والمرأة فلم يزاوج منهما شيئا غير جنسه
وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه و
انعامه ثم هدى اي عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه
لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه
بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني
به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال
ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه
وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون سؤاله دخلا في
احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف
عددهم كيف احاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا
يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى
يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء
ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح
وهذا من مظانه ومجانه مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد
للصبي وسلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها
بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من
الافتنان بان مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على ارادته
ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك
لانها مزدوجة مقترن بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة
للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع
والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته تعالى ان ارزاق العباد
انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا وارعوا انعامكم
ان في ذلك لآيات لاولي النهى اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى واخرجنا اصناف
النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى فقوله كلوا الاية كناية عن اباحة الانتفاع بها اطلاقا اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عم
منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة

معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم
الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا و
مهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها
اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى اريناه
بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذبه لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان
تحدي بهذا التعريف الاضافي وحده والتعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطى الا تعريف العهد
والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع آيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر
والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره
من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق ولا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا و
ابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد
خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله
لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا
لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا نخلفه الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا لا بد
من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان
ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان
توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا
جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم
الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق
لفظا لانهم لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان
علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت
فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على
قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان
يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم
الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون
ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالجزم على جواب الامر وبالرفع على الوصف للموعد وقرئ سوى وسُوى بالكسر والضم

منونا وغير منون ومعناه منصفا يستاوي بدله عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية
لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ ولا تحشر الناس بالتاء والياء يريد ولا تحشر يا
فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او
خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة
من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في
جميع اهل الوبر والمدر **فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افترى** لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز
والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق ع الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك في
تسوية اعرابه **فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى** عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان
كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا
اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس
عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على
قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وقرا
ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران
هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب
وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب
به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى و
هم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم
يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه **فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من
استعلى** فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا
يتخلف عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين
الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون
فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من
المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب **قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى** اما مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او
الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة
من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب
حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق
على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين

قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى يقال في اذا هذه اذا المفاجاة و
التحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون
ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا
موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ
عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي
وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها
ونخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزئبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك **فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
انك انت الاعلى** ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك
لطبع الجبلة البشرية انه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك
انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتاكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل **والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى** وقوله ما في يمينك ولم يقل
عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يدك
فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام
الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها
باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا ها هنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما
موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر
بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت**
لم وحد ساحر ولم يجمع **قلت** لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس **فان قلت** لم نكر اولا وعرف ثانيا **قلت**
انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج ع في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث
عمر لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي
واخروي حيث سيق واية سلك واياما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم
وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم
لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم
التي يصيرون اليها في الجنة **قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا
اشد عذابا وابقى** لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم
امرني كبيري وقال لي كبيري يريدون معلمهم واستاذهم في القران وكل تعني في الاتقن والاصلب

بالتقييف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا
يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو
لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً
فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذوع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل
أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله
كقوله تع يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه تفاحة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع
العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأنه لم يكن قط من التعذيب في شيء قالوا
لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم
تقضي هذه الحياة الدنيا وجهان أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من
القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى فرعون إلا أن يعارضوه إنه من يأت ربه مجرماً فإن
له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات
عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس
قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ولقد أوحينا إلى
موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فاضرب لهم طريقاً فاجعل لهم من
قولهم ضرب له في ماله سهماً وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبساً ويبساً ونحوهما العدم
والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبساً ويابساً ولا يخلو اليبس
من أن يكون مخففاً عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف الواحد تأكيداً كقوله ومعي جياعاً جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة دركاً بالسكون
والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف
ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة
عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا
وأن يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل
فرعون قومه وما هدى ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا
يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله تعالى أو ما غشاهم
أو فرعون لأنه الذي ورطهم وسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله

عليه وآله منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأول أي قلنا يا بني إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن
وقرئ أنجيتكم إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكّرهم النعمة في
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى عم من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وإنما عدى المواعدة
إليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض
عليهم من سائر نعمه وأرزاقه طغيانهم أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها
وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ
فيحل ومن يحلل بالضم من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى
حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك وأصله
أن يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطاً
لا نهوض بعده وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور
وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ونحوه قوله تع إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير
نفسه لأنها أعلى منها وأفضل وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى
وما أعجلك أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقاً إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضى الله وزال عنه أنه ما وقت أفعاله إلا
نظراً إلى دواعي الحكمة وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوّز أن يراد جميع قومه
وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم أولاء على أثري وعن أبي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن
عيسى بن عمر أثري بالضم وعنه أيضاً أولا بالقصر والأثر أفصح من الإثر وأما الأثر فمسموع في فرند السيف مدون
في الأصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الأثر غريب فإن قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وكان الذي
ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثري
كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني
السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما
أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من
سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت
إليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق
المرتب في حدود الكلام قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً
أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً فإن
قلت في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان
أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه إنا قد فتنا قومك قلت قد أخبر
الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامري غيبته فعزم على إضلالهم
غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجوداً وقرئ وأضلهم السامري أي وهو أشدهم ضلالاً

لا تنزيل مثل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم
في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الغضبان الشديد الغضب ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في موت
الفجاءة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى الاربعين
ذا القعدة وعشر ذي الحجة قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدهم الله ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن
من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد
مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له
خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا
موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا السامري وكيده اي حملنا احمالا
من حلي القبط استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا في حكم المستأمنين في دار
الحرب وليس للمستأمن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقد
في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا
وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا
صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله روح القدس بهذه الكرامة الخاصة
كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء
عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت لم خلق الله العجل من
الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق
ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري
على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه فعلى ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى
انها الناصبة للافعال ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني و
اطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم
اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون
عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي قال فما خطبك يا سامري لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي

وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او مالك لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح
اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله على نبينا وعليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب
في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا
من الآيات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية
وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر
وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي
برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك
والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال
بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب
فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت
لما لم تفطنوا له وقرا الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض و
اطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد
بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرا ابن مسعود
من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى
الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض
القبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله
لم يعرف انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق
ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش
من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن
فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة
وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفكه الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض
ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ
لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى شعر اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى و
اخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب
لك ظلت وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه
ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه والتحريق القراتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه
انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب
عليه السلام لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما

قراطلعه الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب الرب الكريم وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسع ووسعت وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله تعالى لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار لحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم وفيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب اي ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله سيئت وجوه الذين بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل واما يحشر المجرمين فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن وفي الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون يتسارون بينهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون

اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذا اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك انزلناه

قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على
كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا هذه الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة
مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على
الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في
فاليوم أشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و
قل رب زدني علما فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده
ووعيده والإدارة بين ثواب وعقاب على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته ولما ذكر القرآن
وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك
ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل
به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي إليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن
للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي
فزدني علما إلى علم فإن لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم ولقد
عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز
إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم
قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك
قبل وجودهم ومن قبل أن يتوعدهم فخالف إلى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد
كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فإن قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز
أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس
حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها وقرئ فنسي
أي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل
والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى إذ منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته
إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده
حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات فإن قلت إبليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم
فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية
أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان
وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام فإن قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على
حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء عليه كقولك خرجوا إلا فلانة
لامرأة بين الرجال أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك

ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها
ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد
إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر
الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب
برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ وإنك
بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع فإن قلت إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق و
الواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة عن
كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري و
الكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية
كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ و
الضحى ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فوسوس
إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فإن قلت كيف عدي وسوس
تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب و
وقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر
والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي شعر وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله شعر
أجرس لها يا ابن أبي كباش ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه أضاف
الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي و
ملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس إلا أن تكونا ملكين بالكسر فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ و
أنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر
وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي
يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما و
قيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس لا شبهة
في أن آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون
رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق و
بهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف
بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافلة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب
الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا
بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل
هذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها ألفا فيقول في بقي وفني بقى وفنى وهم بنو طيء تفسير خبيث
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه

اليه من جني الى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله تعالى واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا اجتبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبيت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم وحوا عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشاوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط

لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لهما بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه الامن من الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك

هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو منه في نفسه وادوم او ما رزقته من نعمة الاسلام والنبوة او لان
اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى
نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضه
الا برهن فقال رسول الله اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا
تمدن عينيك **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**
وأقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا
تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا
اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن
الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله
وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه
الآية **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى** اقترحوا على عادتهم في التعنت
آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان
ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها
افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها
في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله **قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من
أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى** كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا
وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا
فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم
تبصرون** هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الاصل
أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا
عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا
الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب
والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق **فان قلت** كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا
القول اكثر من خمسمائة عام **قلت** هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه

قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث
خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال صلى الله عليه وآله بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض
المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة
بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون و
هذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض
على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء
عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى
عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان
الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة
لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد
الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على
المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة
لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة
جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم **فان قلت** النجوى و
هي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا النجوى **قلت** معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث
لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم
الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا
النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث
ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر وكذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر **فان قلت**
لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه **قلت** كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم
امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي
سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله ويجوز ان يسروا
نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا **قل ربي يعلم القول
في السماء والارض وهو السميع العليم** **فان قلت** هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى **قلت**
القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول
يعلم السر كما ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه
خافية **فان قلت** فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض **قلت**
ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره
ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم

ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف
ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
وقرئ قال ربي حكاية لقول الله لهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون
اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل
لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان
قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون
من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول
ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون فيه انهم
اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم
الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله
عليه وآله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكادون
يتهمونهم فيه رد ذكر رسول الله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين لا يأكلون الطعام صفة لجسد
والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد
وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما
ذكرت فاذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او
يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم
الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى
قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في
ابقائه مصلحة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك
ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد
وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم
الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا
قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت
المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا
بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضورا بانها احدى القرى التي ارادها
الله بهذه الآية فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم
لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا

فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها
هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من القايل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة
او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم
في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار
النعمة وهي الترفة لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون
غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في
مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا
لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في
نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافد
عليكم والطامع ويستمطرون سحائب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى توبيخ فما زالت تلك دعويهم
حتى جعلناهم حصيدا خامدين تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعويهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى
قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول له تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا
وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم
كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا
له خبرين فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم
الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك
معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة
بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها
للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم
بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين
ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على
اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة
قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح
وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ
اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا
عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به
اهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل

مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه ﴿وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون
لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار
مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية
الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم
لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر ﴿ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون﴾ هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل
والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض هم ينشرون الموتى و
لعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون
ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله تعالى بانه خالق السموات والارض
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين
البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف
يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها
الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل شيء والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم و
التوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار
على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها
الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك
حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم
منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله تعالى ويجوز ان يراد آلهة من جنس
الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم
قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ
الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون﴾ وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان
لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم احد الا
امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير
الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان
لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد
بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها
تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ﴿لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون﴾ لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون

ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك
الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله
مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبيح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن
فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ﴿ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم
واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله بان يكون له شريك فقلتم هاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي
فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منعي
عليه ما ورد على قلبه وارد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء
وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو
الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من
معي ومن قبلي على الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد
وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو
اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك
ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل
هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل ﴿وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون﴾ يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة
لما سبقها من آي التوحيد ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد و
العبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات
ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم
فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله
فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ﴿يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم
عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا
الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب وازدياد التعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ﴿ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين﴾ وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل
الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع

امر الشرك وتعظيم شان التوحيد أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها وقيل فتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وآله ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما زاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم تذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظم شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعهما وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه

السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد بشرا في الدنيا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يبلغ رجليه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل تنبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان من عجل لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين

لا يكفون عن وجوههم النار يعلموا انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم **بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي تغلبهم على الكافر وقرأ الاعمش بل يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين **فان قلت** فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة **قلت** الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة والظاهر انها النار على ما يقتضيه سياق الآية وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون** سلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون** من الرحمن من بأسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت بهم ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب أفلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام **فان قلت** اي فائدة في قوله نأتي الارض **قلت** الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها **قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون** قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالياء والتاء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يسمع الصم من اسمع **فان قلت** الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون **قلت** اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين** ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين** وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة **شعر** ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيامة

اي لاجلهم **فان قلت** ما المراد بوضع الموازين **قلت** فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من ذا الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة **فان قلت** كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض **قلت** فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه **ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين** اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه **وهذا ذكر مبارك انزلناه أفانتم له منكرون ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له شأنا من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل **اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون** اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها **فان قلت** هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم **قلت** لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين** ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم **قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين** انتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع **قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين** لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح

والملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جدّ وحقّ أم لعب وهزل قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ الضمير في فطرهن للسموات والارض
او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه
وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوي بالبينات لأني
لست مثلكم فأقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم
وجدتم عليه آباءكم وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى
تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن
ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع
عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنّى عقد شيء تيسرا فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا
لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا
بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت
سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها
كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد
جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالضم والكسر وقرئ جُذُذا جمع جذيذ وجُذَذا جمع جذة وانما استبقى
الكبير لأنه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به
من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم
في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب
وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم
واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات فان قلت فاذا رجعوا
الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم
صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم
قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة
اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لأنهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة
بها قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت
هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع
واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل خبر مبتدأ محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال
لأن المراد الاسم لا المسمى قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا
مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه
في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون
عقوبتنا له قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ

روي ان الخبر بلغ نمروذ واشراف قومه فأمروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل
فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله على نبينا وعليه لم يكن الى ان
ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم
الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا
وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خربشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب
تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي والمخربش لأن اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما
استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها
اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم
هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل
كبيرهم فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم
فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه اي استقاموا حين رجعوا
الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل
والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم
مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط
اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ
نكّسوا بالتشديد ونَكَسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قرأ به رضوان بن عبد
المعبود قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد
انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم
هذا التأفف قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
اجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه
من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وآله حين عجزوا عن
المعارضة والذي اشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا
باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة
لتمرض فتقول ان عافاني الله لأجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من
وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى
ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال
فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطلّ

عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وارادوا ان يكيدوه فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة ولوطا آتيناه حكما وعلما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين من قبل من قبل هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين لا تزاد هما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم

عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثله للانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب عطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه باني مسني الضر وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء

وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن ابرهيم عليهما السلام وقد استنبأه الله وكثر اهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قيل ذو الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد والنون الحوت فاضيف اليه ببعثه الى قومه وطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم فظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرئ مغضبا وقرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حالته ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر بانه لا اله الا انت وبمعناه عن النبي صلى الله عليه وآله ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ننجي وننجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته جعله فعلا وقال نجي النجاء المؤمنين فاسكن الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت

خير الوارثين سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق والضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني فقال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ راسه والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا او ينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا

انتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة على الفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا يصح على الوجه الاول حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له وأية الثلث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذ هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا ويا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم وصدقه ما روي ان النبي عليه السلام دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وآله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت ما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافر الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلاة

تقام بمجرد داء وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي يستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم تدخلون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها واول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون عن الشعبي زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وآله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية

يمنع ان يكون خلفها السمع ويجوز ان يكون المعوان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة شعر آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركا كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما قال اشدد وطاتك على مضر وقرئ يصفون بالياء وكانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا اقترب للناس حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وآله فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة

فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالائمة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال شعر

تاريب معشوق الحلي بين قومه ... طريق نجاة عندهم مستوي نهج
ولو عرفوا في اللج ما خلفوا من ... بيان اعوجاج في طريقته عجما

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير الكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج عن الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء

اذا كانت مُلسًا كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك
فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من
حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم
من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود
الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط
به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ثم نخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر
عن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان
يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ
اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين
هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا و
يبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحده لان الغرض الدلالة على
الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم
يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع و
قرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته
ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه
حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نسايا
اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول
فلان فما تلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو في رواية العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه
دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت
تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه ذلك بان الله هو الحق
وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود
وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان
يفي بما وعد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير عن ابن عباس انه
ابو جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاولى في المقلدين وهذه في المقلدين والمراد
بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن
وتخمين لا باحد هذه الثلاثة ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل

للمجادلة وقرئ بفتح الياء وفيه وجهان فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان
ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه
ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما
اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل
الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين على حرف على طرف من
الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على
طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان
احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا
من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فا
لنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فان
قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا
الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد بجهله وضلاله انه سينتفع
به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كأنه
قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس
المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه
واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده
في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر و
ليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على
سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد
بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم

وخيفتهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا **وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد** اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد** الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم **الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء** سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت** فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة **قلت** لا انظمه في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم** الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما

تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها **يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد** يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها **كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حالي ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولؤ بالجر ولولي بقلبهما ياء عن ابن عباس **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة **ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم** يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المظلومين لا يراد به حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل والنهار ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك **واذ بوأنا**

لابرهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذكر
حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابرهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديمة
وأن هي المفسرة فإن قلت كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة
من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الأصنام والأوثان والأقذار
أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق وأذن ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم
بالحج وروي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه
أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله و
رجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كأنه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لأنه في
معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام
فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في
غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها
لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا
أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين
قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئا من ذلك
الحسن والروعة الأيام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر البهيمة
مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز الأمر بالأكل منها أمر إباحة
لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال
التواضع ومن ثم استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال
فيه إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس
الذي أصابه بؤس أي شدة والفقير الذي أضعفه الإعسار ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبيت العتيق قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة
التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف
الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق
القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله
وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فإن قلت قد تسلط
عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه أبرهة فعل به ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام
إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به

ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك
خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض
في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك
الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له أي فالتعظيم خير له
ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى
إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل
لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحريم عبدة الأوثان
البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته و
أحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم
الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك
زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور
كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان وسمى الأوثان رجسا
وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن
تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل
العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب من الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم
لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه
ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة
الزور الإشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا
شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيها
مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال
من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله
بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر
التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها تختطفه وقرئ الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله
فإنها من تقوى القلوب تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام
حسانا سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن
الهدي والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله

ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وآله
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان
يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب
لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم
محلها الى البيت العتيق الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت
فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله
بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع
محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة و
المراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك
بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى
البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين شرع الله لكل امة ان ينسكوا له
اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك
وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتين المتواضعين
الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الاصل والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف
فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وآله الحق
البقرة بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في
الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقرئ
والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب
والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما
لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف
انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس
دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند
النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن

وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من
حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافي نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب
وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها
وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته
قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر
المعترض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير
يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمدهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي ترون وعلموا ما يأخذونها
منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن
باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم و
بشر المحسنين اي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم و
الدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في
حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا
الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كررت تذكير النعمة بالتسخير ثم
قال لتكبروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام با
ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان
كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين
يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما
يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم
لقدير اذن ويقاتلون قرئ على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان مشركو
مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف
وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على
نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة
ايضا الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوي عزيز ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان

يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ودفع الله بعض الناس
ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة
في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين
مساجد او لغلب المشركون في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية
صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة
المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء
يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله
لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن
الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وآله وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع
للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء
كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب
مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير يقول لرسوله صلى الله
عليه وآله تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت
لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط
وفيه شيء آخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك
بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكاين من قرية
اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد كل مرتفع اظلك من سقف
بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط والخالي من خوى المنزل اذا
خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على
سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على
عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على
الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وعن الحسن معطلة من عطلة بمعنى
عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها
والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها
صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين
حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها

زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم
وخرب قصورهم افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع
من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا
كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون
ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز
ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى
بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور قلت
الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله
في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه
عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار
كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك
وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا
سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال
ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله تعالى لا يخلف الميعاد
وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره استقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا
عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول
الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة
من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء وكأين من
قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم
ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء
وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين
المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما
انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيي
وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى
سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها
او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال
انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم
وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا

من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بيّن على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكاً وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاناً والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله تعالى له أن يمتحن من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته أي يثبتها ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد الذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وإن الظالمين يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أنه الحق من ربك أي ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المجمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهادٍ الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الضمير في مرية منه للقرآن أو للرسول اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا

بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين فإن قلت التنوين في يومئذ عن أي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوّى بينهم في الموعد وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلاً منه وإحساناً والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا فأنزل الله هاتين الآيتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث إنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فإن قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله تعالى على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل وبسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فإن قلت ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقرئ تدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وأن ما يُدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير قرئ مخضرة أي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومعشبة فإن قلت هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فإن قلت فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام قلت لو نصب لأعطى عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه

فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب
وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شي خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر
لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرءوف رحيم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر
وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته وهو
الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة
ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك
في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وآله اي لا
تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم
جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك
فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك
وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول
الله صلى الله عليه وآله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من
المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك
من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة
فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها
ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد
معطفا وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان
لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا
وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان
الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير الله يحكم بينكم خطاب من الله
للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون
ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة
بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون ما لم
يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل
عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افانبئكم بشر من
ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى
الاكرام وقرئ يعرف والمنكر السطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا

قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان يكون
النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا
قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض
الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن
اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده ههنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل
مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل
ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش
واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار
على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله
واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق
الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب
كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو
جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورءوسها بالعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ما قدروا الله حق
قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا
يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس ان الله سميع بصير هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على
ضربين ملائكة وبشر يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ثم ذكر انه تعالى مدرك للمدركات
عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه
الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون لعلكم تفلحون الذكر شان ليس لهن من الطاعات
وفي هذه السورة دلالات على التحضيض ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير
الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم حث على سائر الخيرات وقيل لان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا
كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله
في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين و
بذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون

قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة
النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي عليه السلام انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده
فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت
اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما
جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والارش
ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وآله هي الامة المرحومة الموسومة بذلك
في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت
لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده
هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ
مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم
على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان الرسل قد
بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر
عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر
فيما مضى وبقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه
ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات
ما توقعوه ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكاها وقوع جواب قسم والفلاح الظفر
بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث وعلى الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة
بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق و
اما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن و
الآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ الخشوع في الصلوة
خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يصلي رافعا
بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن
ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشيء من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها
ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض

وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي عليه السلام انه ابصر رجلا يعبث
بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني
الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة
دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما
المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ اللغو ما لا يعنيك من
قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاؤه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم
بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما
قاعدتا بناء التكليف وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه
المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا
يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب و
للقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل
هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة
ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا اياها فاعلين وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في
السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء و
حمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد
على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون
في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون
الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك الله الا فعلت معنى ما طلبت
منك الا فعلك والمعنى كانه قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم فان قلت هلا
قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب
الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن
الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت
لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها
والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه
ويحتمل العموم كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات
الناس وعهودهم وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ وقرئ على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا

وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك
ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها و
ايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها
وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف
والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء
بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى
على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف
الثمر روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين السلالة
الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين
فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت
ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة
القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها
لانها مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما
فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه و
اودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف
الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة
ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح الماذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه و[illegible] لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي
ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول
صلعم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون
والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد
مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة
التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء
والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة

وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض
ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل
شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق
السموات والارض كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا
او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا
عنهم وعما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون
بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه
في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله
فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من
وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو
ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء و
يقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها
فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين خص
هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين
امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح
والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها
ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم
ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ
شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون
اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء
فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء
ومن فتح لم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي
موسى وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان
احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم
حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت
بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره
تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالادهان وقرا الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ
ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله

تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون قرئ تسقيكم بالتاء مفتوحة
اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما يتعلق بما لا يوكل
لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زايدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل
لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة شعر
سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون قرئ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى
التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم
وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في
شيء فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء
الله لانزل ملايكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به
حتى حين ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا
اشارة الى نوح او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي
هو انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا
يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذيبا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما
امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس واوزنهم
قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره
عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون في نصرته اهلاكهم فكانه قال
اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني
من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور
فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين باعيننا
بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله عين كالية ووحينا اي امرنا وتعليمنا كيف تصنع وتعلمك روي انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ
الطاير روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من
التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فقيل
في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال
له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي عليه السلام فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس

والقول

والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتايدة من كل زوجين
من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين
كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين
واثنين تاكيد وزيادة بيان وجي بعلى لان السابق ضار كما جي باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت
لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة
في استبقايهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة
للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان
ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين
وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل
فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله
قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى
اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان في
ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها
والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم
قرنا آخرين قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فارسلنا
فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان قلت حق ارسل ان يتعدى
بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك
في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا
قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة
ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما
تشربون فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين
كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو
على تقدير سوال سايل قال فما ذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله
ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف المضاف والمعنى من مشربكم او حذف منه

لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين
قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
انكم مخرجون ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن
الاول وتجعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون
بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا
متم هيهات هيهات لما توعدون قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ
الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق
واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فمن نونه نزله
منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد
كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين
هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان
الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه
الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما
بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو الا رجل افترى
على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا
وما نحن بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل صفة للزمان
كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم
فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان
عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله
غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس ع من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا
ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها
ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن
دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قوم صالح و
لوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم
بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ
تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقوا اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون
بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك و
جعلناهم احاديث يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله

وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد
ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا
وكانوا قوما عالين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام آيات
موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة خضراء ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعضها
لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الآيات انفسها
اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض ومتطاولين على
الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من
المهلكين والبشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان
والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية
فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم
يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون
وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
فان قلت لم قيل آية ولم يقل آيتين قلت هل كان يكون له وجه نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من
الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على
تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات
وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض
واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي
هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة
وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض
وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو
ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم هذا النداء والخطاب ليسا على
ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه
نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه
والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله
فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما امسك النفس وحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من
المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا

الاعلام عند ابوا عيسى ومريم الى الربوة تذكر على سبيل الحكاية اى اوينا هما وقلنا لهما هذا اى اعلمنا هما ان
الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وان هذه امتكم امة واحدة
وانا ربكم فاتقون قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة
معها فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قرئ زبرا جمع زبور اى كتبا مختلفة
يعنى جعلوا دينهم اديانا وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل اى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم
فرح بما لديه من الدين معتقد انه على الحق فذرهم فى غمرتهم حتى حين شبهها بالماء الذى يغمر القامة
فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال
كاننى ضارب فى غمرة لعب ونهى عليه السلام فى غرائهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا اى تسلى رسول الله صلى الله
عليه واله بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله تعالى ويجوز فى يسارع
ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم فى المعاصى و
استجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته
ويحزنان يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخيرات من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعنى بل هم اشباه
البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا فى ذلك انه استدراج ام مسارعة فى الخير قلت ان واسم
من خبرها الى اسمها اذ لم يستكن فيه ضميره تأمل قال هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الغيبة كقوله
ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون
يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا وفى قراءة رسول الله وعائشة يأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت
قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى
يصوم ويصلى ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون فى الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان
يراد يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثانى انهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال
فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة واتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع
بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار
للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات لها سابقون اى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون
اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى
قوله انت لها اجمد ليس لها البر ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون
يعنى ان هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه
من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون
منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احدا او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع
فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب

فيه مثل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم فى غمرة من
هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها
من هذا الذى عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف
به المؤمنون هم لها معتادون ولها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه
هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه واله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى
يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار
الصراخ باستغاثة قال جؤار ساعات النيام لربه اى فاجأوا الصراخ حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع
لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا اى من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتى تتلى عليكم
فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قال الضمير فى به للبيت العتيق والحرم كانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن
لهم مفخر الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى اياتى الا انه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا
وعتوا فانتم مستكبرين بسببه او يتعلق الباء بسامرا اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله
عليه واله او تهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون
من اهجر فى منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى و
الهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين القول
القرآن يقول افلم يدبروا ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات اباءهم
فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبرها ايا ترى
اناصيبه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فآمنوا
به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه
واله لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا
اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شىء فلا تشكوا فى ان تبعا كان مسلما
وروى ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود ع ام لم يعرفوا رسولهم فهم
له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله فى وسط هاشم وامانته وصدقه وشهامته
وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها ابو طالب فى نكاح خديجة بنت خويلد
كفى بها مناديا ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون الجنة الجنون
وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم
ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه

للحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قال واكثرهم فجعل اقلهم كما في الايكرهون للحق قلت كان فيهم من يترك الايمان براءة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعد قوله ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامرهم بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرجا وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك خير يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم

وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي منهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا اسماعهم وابصارهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية وقرئ الاول باللام لا غير والآخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ وجهت قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل انهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون لذهب كل اله بما خلق لانفرد

كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك
الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا
لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو
جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من
المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون عالم الغيب بالجر صفة لله
وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم
ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره أفي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو
بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت
يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه
واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وآله اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول
الحسن في قول ابي بكر الصديق وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنهم
بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع
وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم
له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن السيئة
نحن اعلم بما يصفون هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة
والمعنى الصفح عن سيئاتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا
الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة
بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه
من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز
الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي
ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه
اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار
منهم او على قوله وانهم لكاذبون خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله
شعر الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان

والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما
تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت
من المال وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة
لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه
ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث
وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة و
نفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا
بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يسّاءلون بادغام التاء في السين فان قلت قد تناقض
هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما
قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون
في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة
الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من
قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم
خالدون في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او
خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون تلفح
وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان
كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس اخرج من التنور
فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وعن النبي ع انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة
التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسؤا فيها
ولا تكلمون اخسؤا فيها ذلوا وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه
ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا
الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا
النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الف ربنا امتنا اثنتين فيجابون

ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخرتموهم واستعبدتموهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم عن تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزيتهم بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير للملك او لبعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الرخاء اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبها يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في

معنى حسابه انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على نحو زيدا ضربته ولا محل لانزلناها حينئذ لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها اوجبنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى او لانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول فاذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيفة والعفيف دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال

لزانية حكمهم حتى توجعه الى الناس ويوقى بني زاد سوطا فيقول البيهقي من صاحبك فيقول به الى الناس وعن ابي
هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل
كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرد ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء
كلها الا ثلثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم و
المرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد حد غير
المحصن فلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة و
تغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابنا بالآية او محمول على وجه التعزير
والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب
نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن
في البيوت وقوله فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما
سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان يكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة
حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة
ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة
هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك و
قتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما اللاتي في
الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في
النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة
وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها
التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة وخصها بالمؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه
اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او
مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من
شانه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة
من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته
فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان
زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح

وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما
وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وادائه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية
لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى
منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت
معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب
فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم
عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم
تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز
ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون
عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان
الله غفور رحيم والقذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما
ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان
والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد
الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق
يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف
يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعين وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين
او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤوا متفرقين كانوا
قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا
منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا
انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع من المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد
الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل
للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت
يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف معلق
عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي
لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا
تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط
الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد وكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم

وهو مدة حياتهم وعندنا قوله واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية
حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله
فان الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي
بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية
ونظمها ان يكون الجمل الثلث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند ابي حنيفة كأن القذف مع الكفر اهون من
القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل
فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين
ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او الامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان
يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان
يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد
منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة
لا يورث ويورث عند الشافعي لقولهم الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت
الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال لعائشة والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين قاذف امرأته اذا
كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا
قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في
قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل
فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا
ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى
يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان
لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في
مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة
واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج

وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله ع على المنبر فقام
عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته
ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى
اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي
بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله ع فكلم
خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على
بطنها فنزلت ولاعن بينهما رسول الله صلعم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال
القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لهلال وان جاءت به اورق جعدا
جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله
عليه وآله لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان شهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس
التي هي بدله ونصب حفص اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم
وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب
الله على تخفيف ان ورفع ما بعدهما وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى و
تشهد الخامسة فان قلت لم خص الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور
ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله ع لخولة فالرجم
اهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم الفضل التفضل
وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به ان الذين
جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه
والمراد ما افك به على عائشة والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا
وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من
تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى
ان صفوان بن معطل مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه قالوا عائشة فقال والله
ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلعم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل

ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه
نزلت فيه ثماني عشرة آيات كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلعم وتسلية له
وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه
وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على
متأمليها لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين
بأنفسهم أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري
قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت
أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك فإن قلت هلا قيل لولا إذ سمعتموه
ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها
قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيها على الظن لا على
الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا إفك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته
كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك
تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء
فأولئك عند الله هم الكاذبون جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله
أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج
عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة
من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم لولا الأولى
للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من
حديث الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون
بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم إذ ظرف لمسكم أو لأفضتم تلقونه
يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على
الأصل تتلقونه وتلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ
تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون إلا بالفم
قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على
ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف

ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله
نخلة وهو عندك نقير وصفهم الله بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم و
ذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت
ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم ولولا إذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فإن قلت
كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها
وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع
فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به
فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا
قلت معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي
بحق وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل
في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله
من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز
أن تكون فاجرة قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم
عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا
إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا
من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وأبدا ما داموا أحياء مكلفين وإن كنتم فيه تهييج لهم ليتعظوا و
تذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على حكمه
بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء
فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم
في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة
ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من
الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما
حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم يا أيها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم
الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب شعر ضرائر حرمي تفاحش غارها أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا

بعضها وهو سميع لتحلفهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ﴿ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم
والله غفور رحيم﴾ هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل هو من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه
شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا
في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم
مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح فكان ابن خالة ابي بكر
الصديق وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرطت منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه
وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قرأها على
ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب
ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم ﴿ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ الغافلات السليمات الصدور
النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما
تفطن له المجربات العرافات قال شعر ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك
البله من النساء في قوله صلى الله عليه وآله اكثر اهل الجنة البله ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين﴾ وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت
القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة ولا انزل من
الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك
واستفظاع ما اقدم عليه ما نزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه
الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان
السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى
يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع
في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان
بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه
قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة
برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ
مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز
المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار
علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين
ومن اراد ان يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك
وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه ﴿فان قلت﴾ ان كانت عائشة هي المرادة

فكيف قيل المحصنات ﴿قلت﴾ فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله عم وان يخصصن بان من
قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلعم كانت المرادة اولا
والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان
كما قال قدني من نصر الخبيبين اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا
وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة ﴿فان قلت﴾ ما معنى قوله هو الحق المبين ﴿قلت﴾ معناه
ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط
عنده اساءة المسيء ولا احسان المحسن فحق مثله ان يتقى ويتجنب محارمه ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة
ورزق كريم﴾ اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من
خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب
ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات
النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله
واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين
امر رسول الله صلى الله عليه وآله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه
لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان
لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ تستأنسوا فيه وجهان
احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن
له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن
فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من
انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه
قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس
وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله
ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول
السلام عليكم اادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام
عليكم اادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] فقال عليه السلام لامرأة يقال لها
روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل
وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل

مع امرأته في لحاف واحد فصدّ الله عن ذلك وعلّم الأحسن الأجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت في بيتك إذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن أين الأذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعوّل على هذه الرواية وفي قراءة أبيّ حتى تستأذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله أأستأذن على أمي قال نعم قال إنه ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم يحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل هو أزكى لكم أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون من للتبعيض

والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوّز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثني منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون النساء مأمورات أيضا بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهي عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فإن قلت ما تقول في القراريط هل يحل نظر هؤلاء إليها قلت نعم فإن قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراريط على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الأمر كما قلت ولكن أمر القراريط خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلا عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إلى القراريط واقعة عليه فإن قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فإن قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لأن سترها فيه

فان الا لا يجد بدا من مزاولة الاشيا بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل اليا وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا يغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون

في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال شعر فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وآله من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله والآثار كثيرة وربما كان واجبا للترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وآله التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله

لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما
احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم
بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها
عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب
بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت
بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة
حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا
منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل
عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه
معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق
وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه
لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم
ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا
قدرة على اداء ما يكاتبون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال
لا قال افتامرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه **فان قلت** هل يحل للمولى اذا كان غنيا
ان ياخذ ما تصدق به عليه **قلت** نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما
اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت
له وعنه قوله صلى الله عليه وآله في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على
الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي عليه السلام يحط له الربع وعن ابن عباس
يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم
فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا
عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم [illegible]
وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له
الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس
النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب
فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم قوله ان اردن تحصنا **قلت**
لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغي لا يسمى مكرها ولا امرها اكراها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز

الشاذ النادر [illegible] غفور رحيم لهن [illegible] وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم [illegible]
[illegible] ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى يسلم من
الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا**
من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل
الفعل لها مجازا او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل
من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه [illegible] يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا **الله نور السموات و**
الارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال والله بكل شيء عليم
نظير قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده
والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد
معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات و
الارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في
زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها يوقد هذا
المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته من زيتها مباركة كثيرة المنافع او
لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه وعن النبي صلى
الله عليه وآله عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية
اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان
عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل
تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلالؤه يكاد
يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان
في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوا له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر
القنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده
اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة

اليه عينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي عليه السلام الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من امن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كوكبي ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو قريب ويمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام لكل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيه كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحو وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا تتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به من بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية وقد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة شعر اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يلفه خيبة وكدا الا لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتله بماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها من نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل الصالح او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد ان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع

تحته خللات كظللات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من
قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن ابي جعفر
المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض
وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما
يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه
حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار
ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته
لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تسبيح من في السموات
ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت
علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية
والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض
والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من
جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان
احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال
كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه
ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل
شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه
حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم
فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص
بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام
ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله
معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها
مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط
قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت
لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة
مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن
مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى
له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر للبعير مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق
المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
اولئك بالمؤمنين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي

منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني
اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة
القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في
قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون
في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
بينهم اذا فريق منهم معرضون معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد
كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق
وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافق
يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي
عليه السلام خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني
وانا اخاف ان يحيف علي وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون اليه صلة يأتوا لان اتى
وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته
على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا
ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا
الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق
عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم
حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون
ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه
وآله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون عن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب
اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو
مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن
قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا ومن يطع الله ورسوله و
يخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل
وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا
ولقد جمع الله تعالى في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه و
رسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية
كافية فتليت له هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة

معروفة إن الله خبير بما تعملون جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها و
ذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل
اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول
كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم طاعة معروفة خبر مبتدأ
محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اى امركم والذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب
كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها
او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة
وقرا اليزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى
عليه شىء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان
تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا
البلاغ المبين صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ فى تبكيتهم يريد
فان تولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء
الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان
فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج
عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان
يبلغ ما له نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين
كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولمن معه ومنكم للبيان كالتى فى آخر
سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى
اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وآله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون
فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تغبرون
الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة
العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا
ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وآله الخلافة بعدى ثلاثون سنة
ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها
وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون
فى ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله فى تحققه

منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدوننى قلت
ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وان جعلته
حالا عن وعدهم اى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران
النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة
العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل فى هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت
اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة و
آتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون
غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى
الارض ومأواهم النار ولبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين
فى الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله فى الارض حتى يطمعوا هم فى مثل
ذلك وهذا معنى قوى جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره فى قوله واطيعوا الرسول وان
يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الاول وكان الذى
سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشىء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله
ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار و
المراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين
لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن
طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم اى عليم
باحوالكم وبما يأمركم وينهاكم وحكيم لا يأمركم الا على وجه الحكمة والصواب امر بان يستأذن
العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات فى اليوم والليلة
قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة والا
لتحاف وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب
اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل
تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان الساقة بعد الفراغ عن
الاداب والوعد والوعيد قال بعضهم يحتمل ان يقال انه مما يطاع الله ورسوله فيه وتخصيصه بالذكر
لان دخوله فى الطاعة باعتبار انه والاعور المختل العين ثم عذرهم فى ترك الاستيذان وراء
هذه المرات وبين وجه العذر فى قوله طوافون عليكم يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة
يطوفون عليكم بالخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان فى كل وقت لادى
الى الحرج وروى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وآله وقت
الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى

اباؤنا وابناؤنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى النبي عليه السلام فوجدوه وقد انزلت عليه
هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل
والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام كبير لها في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله
عليه السلام فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات
بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث مرات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل **فان قلت** ما محل
ليس عليكم **قلت** اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة
بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة **فان قلت**
بم ارتفع بعضكم **قلت** بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز
ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة **وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين
من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك
الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن
الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن
التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال
الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة
المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وساله
عطاء استاذن على اختي فقال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلث آيات جحدهن
الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله اذا حضر القسمة وعن ابن
مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس
لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة و
لكن الناس تهاونوا بها **فان قلت** ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ **قلت** قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة
في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي عليه السلام انه كان يعتبر القامة
ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره **والقواعد من النساء اللاتي
لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان
يستعففن خير لهن والله سميع عليم** القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة
غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير
قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر
الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان
تصدقوا خير لكم **فان قلت** ما حقيقة التبرج **قلت** تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة

بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف
المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك **ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون** كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت
ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في
ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت
الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس
ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه
وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من حالة
تؤذي قرينه [illegible] ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون
اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف
مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان
آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا
كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة
لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في
رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم
الحلق على النحر **فان قلت** هلا ذكر الاولاد **قلت** دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه و
حكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من
البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هي
القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى **فان قلت** ما معنى او ما ملكتم مفاتحه **قلت** اموال
الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح
كونها في يده وحفظه وقيل بيوت مماليكه لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه **فان قلت** فما معنى او صديقكم
قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن
انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة
وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة
ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ منه ما
شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله

من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاذن صاحبه في الاكل ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك تعدت جلوسا **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم** اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك والامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع ان خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة

اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم** اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر **الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم** ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا البركة كثرة الخير وزيادته ومنها
تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة
ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشرك كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله
وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه
الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار و
منه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع
على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل
منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله
وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قيل وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا
مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر
المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد
جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر
له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت
فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل و
اوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره
للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة
آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا
وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر
عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد
كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك
افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا قوم آخرون هم اليهود وقيل
عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر
بن الحارث بن عبد الدار جاء واتى مستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما
كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي
كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو

احاديث

احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار واسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب
الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه
كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا
وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال
امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت
له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء
على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي
في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان ارزأ الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة
واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي يعلم كل سر خفي في السموات
والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر
رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق
قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة
عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم
هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقالوا مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف
سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا
الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله
حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان
يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون
انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن
مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون
رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان
فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم
بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجه
الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه
معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين
ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر

وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامّهم مسحورا سُحر فجُنّ على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك **انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** اى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه **تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا** تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله شعر
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو **بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم **اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا** رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبّه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم **واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا** الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اى تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اى يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم **قل أذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا** الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم **فان قلت** ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا **قلت** هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب

يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل** يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا **فان قلت** كيف صح استعمال ما في العقلاء **قلت** هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ومنه قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب **فان قلت** ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل **قلت** ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤل عنه **فان قلت** فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال **قلت** فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بيّن لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى أأنتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اى ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح

لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدًا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما
كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى اولياؤهم الشيطان
يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نُتَّخَذ على البناء للمفعول وهذا
الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى
ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو
من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين
فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث
انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما يستطيعون
صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام
حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير
وقول القائل شعر قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا ؛ وقرئ تقولون بالتاء والياء
فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء
كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك
كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون اي بالتاء فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم
انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم والخطاب على العموم
للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم
لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى
وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني
من المرسلين ونحوه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويُمَشَّون على البناء
للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يُمَشُّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على
من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله
صلى الله عليه وآله على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم
بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه
ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف و
انواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة

موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن
صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له
عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء
لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت
غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا
ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان
ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل
علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اي لا يأملون لقاءنا
بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تع لا ترجون لله وقارا
جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملئكة
فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا
عالمين بان الله لا يرسل الملئكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان
لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة
عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت
معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبر
فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول القائل شعر
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها ؛ وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب
من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بوا بها كليب
يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا يوم يرون منصوب باحد
شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملئكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير
اما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملئكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع
ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة
بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور
او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل افعل كذا وكذا
فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى
اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فِعل او فُعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز شعر قالت وفيها حيدة وذعر عوذ
بربي منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة

لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والليل الأليل والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله مأكولا ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة **اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا** المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزيين **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملائكة وننزل الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا** الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد**

اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل اتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا عليه السلام بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومداري فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت قرئ على الادغام والاظهار والادغام اكثر **وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا** الرسول محمد صلى الله عليه وآله وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجؤوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل

وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز
أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا كقوله
فإنهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن
تفسيرا** نزل هاهنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم الفاسدة
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد
كما أنزلت الكتب الثلاثة وما له أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول و
مماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله كذلك
جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لتبعل به وتعيا بحفظه
والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا
قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث
وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا
يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا **فإن قلت** ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم
هو إنزاله جملة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا **قلت** لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة واحدة معناه لم أنزل
مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة
واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة
ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف
على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة
عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل
وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله
الترتيل في الأسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ورتل وتشبيه بنور الأقحوان في تفليجه وقيل هو أن نزله
مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو
أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا
تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا
كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو يكون لك جنة أو
ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن
تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما
نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة واحدة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب
في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا**

وأضل سبيلا كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته
ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم
أضل من سبيله وفي طريقته قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية
ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا
ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أثلاث
ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه أخاه هارون وزيرا** الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يؤازر
بعضهم بعضا **فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا** والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما
فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من
القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم
وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم
للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما** كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد
منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للظالمين إما أن يعني بهم
قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه **وعادا وثمود وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا** عطف عادا على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ
وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة
الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينما هم حول
الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي
أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن
أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود
والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه
فيها بين ذلك أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا
متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود **وكلا ضربنا له الأمثال وكلا
تبرنا تتبيرا** ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب
الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب
والفضة والزجاج وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ
له **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا** أراد بالقرية
سدوم من قرى قوم لوط عليه السلام وكانت خمسا أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة
يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أفلم يكونوا
في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة

فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم
او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية وإذا
رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا
عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر
وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء
ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم وادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم
حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا
الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا
يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن
قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو
ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون
عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم
أضل سبيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي
الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه
الى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله
وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به
واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كأن هذه المذمة اشد من التي
تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق
اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا
لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد
وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها
وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي
ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه
إلينا قبضا يسيرا ألم تر الى بديع صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع
به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد
سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس

وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا
القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس
بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة
كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث
في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها
على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق
الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو
يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا يسيرا سهلا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه
عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا
يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر
من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو
الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو
مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر
الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنياوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة
اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه
مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا
تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر
طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا
لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس
فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور
كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم
تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور
اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن
تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك
بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر
بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة
طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار
على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ ونسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا

الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف
ياء اناعيم كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن
بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي
من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة
وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم
ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا
يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي
انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان
عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي الماء واعقابهم
وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض
بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت
لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا
بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس
الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في هذا القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى
اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم
ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال
لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب
المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان يكون هو والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان
يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليه لم يكفر ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول لرسول الله صلى الله عليه ولو شئنا لخففنا
عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك
وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد
بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد
ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك
بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى
ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت
على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك

وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين
هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا سمى الماءين الكثيرين بحرين
والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين
وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر
ممزوج وماء العذب منها بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير
عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا
فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل
المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما
على صاحبه بالممازجة فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذي
خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اراد قسم البشر قسمين ذوي نسب
اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه
قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه
ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان
على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور
دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا
من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا يلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من
اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه
عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ
هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب
وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان
حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد
بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث
اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة
وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده و
كفى به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك
بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت
حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها
فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا

وانه خبير بما سخط الفهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسأل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء يريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله تعالى لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامر تأمرنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن

والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان: بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن أبي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف في النهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من الذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله شعر: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت

مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزن
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حالا وتمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من
كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا
بكسر التاء وضمها ويقتر بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف و
الاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه
وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما
في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه
شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام
حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر
فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه
يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين
الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما
بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني
بين ذلك قواما جايزان ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف
خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير
قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا حرم الله اي
حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام
عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل
والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات
الالف وقيد مثله ما الاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال شعر جزى الله ابن عروة حيث امسى
عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام
لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك

يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات
يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيئات حسنات قلت
اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب
عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب او فانه تاب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين
ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم
الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
مروا كراما يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة
الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم
تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه
لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله
عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو
كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم
عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا
وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا لم يخروا
عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء
والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها
سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على
من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما
فيها كالمنافقين واشباههم والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
واجعلنا للمتقين اماما قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم
ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من
ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سالوا ان
يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس
ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد
واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين
يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا

ماهي قلت يحتمل ان يكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا و ذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان يكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلان تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون ويلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه وظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون اي ما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح

وحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون فإن قلت فحين ذكر الأزواج ودل عليها
بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال لآيات قلت
فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في ذلك الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل
واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين
قوم فرعون ألا يتقون سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم
الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين
وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن
جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين
والياء للاكتفاء بالكسرة فإن قلت بم تعلق قوله ألا يتقون قلت هو كلام مستأنف أتبعه تعالى إرساله إليهم للإنذار
والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة
خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله و
عقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم و
ضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا
اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله
ألم تستحي من الناس فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة
والملتفت إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم
لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن
الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر
وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون ويضيق ولا ينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر إن وبالنصب لعطفهما
على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدور وامتناع انطلاق
اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة فإن قلت في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي
جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعا فكيف
جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان
زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فإن قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز أن يكون
هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة
من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون خطيب مصقع
فخطبته وقيل المصقع الخطيب البليغ كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله وأخي هرون هو
أفصح مني لسانا ومعنى فأرسل إلى هرون أرسل إليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي و
هذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن

معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا
حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة
الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم فإن قلت
كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم
أن الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ
أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس
المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل
ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون أراد بالذنب
قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن
يقتلوني به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فإن قلت قد أبيت أن تكون
تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية
المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع و
الموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو
هرون فإن قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير
لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وأغلبكما وأكسر شوكته عنكما وأنكسه ويجوز أن يكونا
خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فإن قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز
والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار
مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا
سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام
من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين
فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله إنا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل
ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد
والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول
ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان
حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال
فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من
المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أن أرسل بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول

معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلّهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فحذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم ولا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسرة وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ والاهتك فاجاب موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من سنخه وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال شعر

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان

فان قلت اذن جزاء وجواب معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي

لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة فتفتيش عن غير مطلوب والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين من فرعون وملائه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين الواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا يأتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون

لم يخف عليه هذا وخفي على اناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات
وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه **فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين** ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر
وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني
بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا **ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين** دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا
نورانيا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها
في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق **قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون** فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ و
نصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال والمعنى
تهريد فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء
الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم
ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان
هذا الساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي
جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر
واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير **قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين** قرئ ارجئه وارجه
بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد
الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا
يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا
من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** اليوم المعلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام **وقيل للناس
هل انتم مجتمعون** هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه
هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف
ومنه قول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا
ولا تبطئ به **لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين** لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع
موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية
لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين** وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط
لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها
الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به القربة عنده

وزلفى **قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون** اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله
معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله
الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى
وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه
فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف **فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما
يافكون فالقي السحرة ساجدين** ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه
فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روي
انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن نغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت
ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر
مع الالقاءات تسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا
بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله
تعالى بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون
كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي
اجرى على ايديهما ما اجرى **قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين** فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم **قالوا
لا ضير انا الى ربنا منقلبون** الضر والضير والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم
النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير
علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل
اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته
لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول
جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي
يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله
ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا
الا لذلك **واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين
ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون** قرئ ان اسر بقطع الهمزة ووصلها
وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم
على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم و
روي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله اوحى

الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سآمر الملائكة
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى
الى البحر فيأتيك امرى فارسل فرعون فى اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون فى جمع
وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون فى الف الف
حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين
ان هؤلاء محكى بعد قول محذوف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا
ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة
الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل
المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة
فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه
والحادر السمين القوى قال شعر احب الصبى السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم
اقوياء اشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى اجسامهم فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله والمقام المكان يريد
المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال كذلك واورثناها بنى اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين كذلك يحتمل ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والجر
على انه وصف لمقام اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى الامر
كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت
فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين سيهدينى
طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من
ادّرك الشىء اذا تتابع ففنى ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم فى الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفى
معناه بيت الحماسة شعر ابعد بنى امى الذين تتابعوا ارجى الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا نتتابع
فى الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد
فى السماء وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين وازلفنا
ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو
منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اى ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا
وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى
اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول
لبنى اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال لمؤمن

آل فرعون وكان بين يدى موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدرى موسى
ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع
قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا
وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل بحر
من وراء مصر يقال له اساف ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
ان فى ذلك لآية وآية اى آية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنو
اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله
جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه و
قومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم
عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شىء كما تقول للتاجر ما مالك
وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب
فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب
ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم
نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس فى
بلادك فيقول البس البرد الاتحمى فاجر ذيله بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون لا بد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف
معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك و
جاء مضارعا مع ايقاعه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها
وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ فى التبكيت قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين لما اجابوه بجواب المقلد
لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم
والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام
الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان
المغرى على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لى تصويرا للمسئلة فى نفسه على
معنى انى فكرت فى امرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله
منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم
الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح
لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعى ان رجلا واجهه بشىء فقال لو كنت بحيث
انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ما هو بيتى ولا بيتكم

الواحد والجماعة قال شعر وقوم علي ذوي مئرة ، أراهم عدوًّا وكانوا صديقا ، ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو
شبّها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل إلا رب العالمين استثناء منقطع كأنه قال لكن
رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي
يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فهو يهدين يريد أنه حين أتم خلقه و
نفخ فيه الروح عقّب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى
أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصًا ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية
الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال مرضت دون أمرضني لأن كثيرًا من أسباب
المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى
ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون
على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض كلام و
تخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فإن قلت إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة
فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن يغفر له قلت الجواب ما سبق إلا أن استغفار الأنبياء تواضع منهم
لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفًا لهم في
اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فإن قلت لم علّق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما
تغفر في الدنيا قلت لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان
من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم الحكم الحكمة
أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والإلحاق بالصالحين أن يوفقه
لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين والإخزاء
من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهي الحياء وهذا أيضًا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي يبعثون
ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني في يوم يبعث الضالون
وأبي فيهم إلا من أتى الله إلا حال من أتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه إلا السيف
وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات
سلامة القلب له بدلًا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل
يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله
وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعًا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها
سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة
القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولًا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون
إلا رجلًا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز
على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر
والمعاصي ومما أكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الإخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض

بإصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير
تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن
ما رتّب عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولًا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم
فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون
شبهة فضلًا أن تكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدّد نعمته
من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين
وابتهل إليه ابتهال الأوّابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ
من الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وأزلفت الجنة
للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون
بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها
قال الله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها
والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غمًّا في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين
آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها
هم أي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ
دليلًا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير
مستجار وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم
برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون وجنود إبليس شياطينه أي متبعوه من عصاة الإنس والجن ويجوز
أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين
الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي
الأولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين
ولا صديق كما نرى لهم من أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق من الذين
كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم
الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون
عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي
يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فإن قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت
لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده
لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يكن له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك
فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة شعر

لا يسألون اخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وآله في قريش ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فاتقوا الله واطيعون واطيعوني في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا عليه من دعاء ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرر ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال وابل وآبال وحقها ان يعتمدها ودفي وابعاك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او يشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب ولا تتثبتون متفكرين في العواقب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن

والدعة فيما ههنا في الدنيا مستقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل
فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم
ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقى جنة سحقا قلت
فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات
غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل
فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني اللطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه
لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت
من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب
ثمره **وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين** وقرأ الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس و
النشاط ومنه خيل فرهة **فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون**
استعير الامتثال الامر وارتسامه وطاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم
لك على امرة مطاعة ومنه قوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فايدة قوله ولا يصلحون قلت فايدته ان فسادهم فساد
مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح **قالوا انما انت من المسحرين
ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين** المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة
وانه بشر **قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي
والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل
صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء
**ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين**
بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم
ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين
ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا
ندم التائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله وليست التوبة للذين يعملون السيات الاية وقيل
كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم **اتاتون الذكران من العالمين**
اراد بالعالمين الناس اتاتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم
كان الاناث تفاوتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه

الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان **وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم
عادون** من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة
ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز
فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم
قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة **قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**
لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه
وكما كانوا يفعلون باهل مكة بمن يريد المهاجرة **قال اني لعملكم من القالين** ومن القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم
قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي
هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى يقرب كراهته للمعاصي
من الكراهة الجبلية **رب نجني واهلي مما يعملون** مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية
العصمة **فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم** فان قلت فما معنى
قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انا عصمناه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها
راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة
فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزوج وان لم تشاركهم
في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار
فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا
من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم **كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين** قرئ اصحاب الايكة بالهمزة
وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه
خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف
قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولا على
هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف
وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر
المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء
ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن

وان لم يفعل فلا عليه وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ قرئ بالقسطاس مضموماً ومكسوراً وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفاً شرعياً يقال عثى في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحراً ولا يجوز ان يكون بشراً واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيداً لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قرئ كسفاً بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلاً ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقاً انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفاً من السماء قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقاباً آخر فاليه الحكم والمشية فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم ناراً فاحترقوا وروي ان شعيباً بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقرير المعاني في الانفس وتثبيتها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلوب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذناً او يفتق ذهناً او يصقل عقلاً طال عهده بالصقل او يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدا وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلاً به على قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلوات الله عليهم وسلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهراً بمعرفتها كان نظره اولاً في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزله على قلبك لنزوله بلسان عربي مبين وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسماً وان يعلمه خبراً وليست كالاولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلاً عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربياً شاقه صوت اعجما كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً اخرى وقالوا هو من تلقيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي

لا يحسن العربية فضلا عن ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به
كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم و
هكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف
ما فعل بهم وصنع وعلى اى وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة المكذ
الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا فى قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه
وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريد تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه
اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه فى
قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا
المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن
به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعنى الساعة وبغتة بالتحريك وفى حرف ابى ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب
فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه فى الوجود وانما
المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم
مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك
الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر
على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع فى هذا الا
سلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب
من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل
ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه
آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعما
ر طوال فى سلامة وامن فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم
قال افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم قال هيهات الامر
كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم
وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون منذ
رون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل
مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير فى منذرون اى ينذرونهم ذوى تذكرة واما لانها مفعول له على معنى
انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة
اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون
ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا

الوجه

الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما
فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمعزولون كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا
بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل
السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجرى الاعراب على النون
وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين و
فلسطين وفلسطون وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ
فى قراءته الشياطون ظن انها النون التى على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا
جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه فلا تدع
مع الله الها آخر فتكون من المعذبين قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد
الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت فى شك مما
انزلنا اليك وانذر عشيرتك الاقربين فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه
ويبدأ فى ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى انه عليه
السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثانى
ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى
انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف
يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا املك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ما شئتم وروى انه جمع بنى
عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا
وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا انفسكم من النار
فانى لا اغنى عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد
اشترين انفسكن من النار فانى لا اغنى عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان
عصوك فقل انى برئ مما تعملون الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان
ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك فى رفعه اجدلا ينهاه من التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للر
سول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم
قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف
صدق واتبع رسول الله عليه الصلوة والسلام فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان
يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من غير العشيرة
وغيرهم يعنى انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ
منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى

في الساجدين إنه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض
الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو
معصية لله تعالى فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد المتوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل
به عن نفسه بمعصية الله تعالى وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان
في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم
اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله
وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من
دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة هل
تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت و
تقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره
فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم
وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع
واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين
كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب
ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون
الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى
اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من
مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له
صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل
على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من
فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت
يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك
لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت
فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين
يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد
ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين

وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق
بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان
المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره
اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون
والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه
من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح
ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون و
قيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن
عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه و
يجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة
انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الم تر انهم في كل واد يهيمون
ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق و
مجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا
التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله شعر
فبتن بجانبي مصرعات ... وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد
درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله
والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة
وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من
غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن
عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول
فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه و
اهول ولا انكى لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ
وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر حين عهد اليه وكان
السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير

من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من
عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين
عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب ه قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح
وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليهما

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته
انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعا
من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها و
التعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله
تع في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما يعطف
احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق
لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب
مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى للمؤمنين هدى وبشرى في محل النصب والرفع
فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على
هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى و
المعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تع فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت
يحتمل ان يكون من جملة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون
ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية
وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان
والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان
اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تع مجاز وله
طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق
الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم
وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك

اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني
ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه
بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجبت عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن
والعمه التردد والتحير كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط
فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في
الآخرة هم الاخسرون سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم
لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه
الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ
قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ويجوز ان
ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به من حال
الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر
تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء
بسين التسويف قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت لم جاء بأو دون الواو
قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة
بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين
جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها
وسبحان الله رب العالمين ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت
هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لانه لا بد من قد
فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان
النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تع نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار
بوركت البقعة وبورك من فيها وحواليها وحدث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات
عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف
بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر
انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام
بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث
الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك

عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم ينتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين
تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الشؤن يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء في انه
يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى
ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان
يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة
وتدبير والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني
لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم فان قلت
علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما
تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله يا موسى
اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اغز وان شئت ان حج واغز وقرا الحسن جأن على لغة
من جد في الهرب من التقاء الساكنين فقال شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك لامر
اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو
الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس
وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزة القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من
موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء
حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وادخل يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين في تسع آيات
كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام وقال
منهم فريق يجدا الا في الطعام ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات
وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا
بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار
فرعون وملائه كقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي
غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرا علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو
مجبنة ومبخلة ومجزرة اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان
بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا
بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفايدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من

الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات الله بينة
واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ولقد آتينا داود و
سليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين علما طايفة من العلم
او علما سنيا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر
قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم او شيء من مواجبه فاضمر
ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة
وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يوت علما او من لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على
كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم
من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم
درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف و
المنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما
اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه
مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين ورث منه النبوة والملك دون
ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير و
غير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد و
قد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من
الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى
انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم
قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى
فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال
تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء
يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول
اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل
احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره ومثله قوله واوتيت
من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا
واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون

يقال انما نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم
ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر
العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون
روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من
ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي
من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن و
الشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى
انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في
ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح
في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير
مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم احد وذلك للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت
يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت
عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ
آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها
النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم
السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال
وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا
وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل
له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة
والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ
مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل
مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر
وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا اريتك
هنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه قوله عجبت من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها
وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد
التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه

فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند
الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور
رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني
انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل
في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك
وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه
لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والدي لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة
الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي
الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه
عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم
يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان
سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة
آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى
صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء
وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ
الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت
كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا
موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو
العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي
الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او لياتيني بعذر
مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده
اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله
حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير ان ينتف ريشه وذنبه وقيل
ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه
وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة
اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة
والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله

الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به قومى ليأتيني وليأتينّي والسلطان الحجة و
العذر فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشيا، فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على
فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم
الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح
وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه
سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث غير بعيد فمكث
قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على
اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى
قدرة الله تعالى فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبأ يقين احطت بادغام الطاء في التاء وباطباق
وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم
تحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم
بها فتنة والاحاطة بالشئ علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء و
عن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله
اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال شعر من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون
من دون سيله العرما وقال شعر الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة
مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ
الخبر الذي له شأن وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي
يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا
زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح
لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن
كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس
والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل
في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا وكان سمكه ثمانين وقيل ثلثين في ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا
بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب
مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان عليه السلام قلت يجوز ان يستصغر حالها الى
حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون

لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله
ولها عرش ويبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرّ من استعظام الهدهد عرشها فوقع
في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه سوى
بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى
ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت
من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة
بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى
مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له و
انكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور
وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه
بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد اراد فصدهم
عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا
ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا
دار مي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما
تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وجل من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف
والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا
الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة
وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل هو كلام رب العزة وفي
اخراج الخب امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في
السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة
او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة
التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح
لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي على ان
سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي
سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت
هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف
على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله
في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات
والارض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين سننظر من النظر الذي هو التأمل و
التصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا

لا محالة ماذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به **اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون** ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك وينظر ما يرجعون حتى قولهم ليرجع بعضهم الى بعض القول فقيل دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة **فان قلت** لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع **قلت** لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك **قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم** كريم حسن مضمونه وما فيه او مختوم بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال صلى الله عليه وآله وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم **انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين** هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان تريد لانه من سليمان وكانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان في الا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين **قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون** الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى هنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف **قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين** ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نتبع رأيك **قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطاء فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت

الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما كان معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه وقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف **فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون** وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤوا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني والهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية **فان قلت** ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء **قلت** اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله **فان قلت** فما وجه الاضراب **قلت** لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم

على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ارجع خطاب
للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون
ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا واذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز
والملك وهم صاغرون باسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا
ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه
السلام فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت
به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها
بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان
يؤتى به فينكره ويغيره ثم ينظر أتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل
ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة
والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان
لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام
اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم الذي عنده علم الكتاب رجل كان
عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل هو آصف بن برخيا
كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل
هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه
السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل
وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان
الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله شعر وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف
برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل
ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك
فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله
قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي
ردة طرف والتفت ترى وما اشبه ذلك تريد السرعة ومن شكر لنفسه لانه يحط به عنها عب الواجب ويصونها
عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة
وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها
بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا
غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على طلب

ابناء

ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يستقبلون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة
بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا
متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله
وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته او الجواب الصواب اذا سئلت عنه او
للايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه
الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من
قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن
امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من رجاحة عقلها حيث
لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت
لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه ما يناسب
قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة
وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية
العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده
قبل علمها وسبقنا الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم
كافرين وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين اظهر الكفرة ويجوز ان يكون من
كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة
او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل
ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف
الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما
رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه
انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحدة والممرد المملس وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على
الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا
ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك اشد فقالوا له
ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف
ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره عنه وناداها
انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها
سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم
عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير

النمل أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أمين الحق مات سليمان ظلمت نفسي بريد بكرها فيما تقدم وقيل حسب ابن سليمان
يترقا في الجنة فقالت ظلمت نفسي بثوبي بظني بسليمان ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا
هم فريقان يختصمون﴾ وقرئ أن اعبدوا الله بالضم على إتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد
بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد يختصمون يقول كل فريق الحق معي ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل
الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ السيئة العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها
صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على ما نحن
عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها
لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير
لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله
الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال
طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز
أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في
عنقه﴾ وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم
الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ المدينة
الحجر وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط
من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم
ابن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف
وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ولا يصلحون يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي
لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن
لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون﴾ تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا
متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح
فيه إلا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الإسكندر
أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك
ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان فإن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا
بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا
ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع
على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله
ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ﴿ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾

مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن
نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث
الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد أرسل الله
الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا إنا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح
رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان
أي كان عاقبة مكرهم الدمار ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع
على خبر المبتدأ المحذوف ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه
وإذ بدل على الأول ظرف على الثاني وأنتم تبصرون من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن
الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم
بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم
العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر
بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله شعر وبح باسم ما
تأتي وذرني من الكنى ۞ فلا خير في اللذات من دونها ستر ۞ وتبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
فإن قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت أراد تفعلون
فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها فإن قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ
بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى
وأرسخ أصلا من الغيبة ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس
يتطهرون﴾ وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته
قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ قدرناها قدرنا كونها من الغابرين
كقوله قدرنا إنها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى آلله خير أما يشركون﴾ أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين
على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من
عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار
بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث
العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله أمام كل علم مفاد

وقيل كل خطبة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك
من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء
واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من
اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من
هو خالق كل شيء ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما
اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز
ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو
مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي
آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء والياء وعن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم أمّن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه
مع الله بل هم قوم يعدلون فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان
المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض
خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش أمَن بالتخفيف ووجهه ان يجعل
بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة
الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة
الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا
ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال
من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق
وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر
يبتهج به االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ اإلها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين
وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمّن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون
الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي
احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي
الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة
واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض

وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها
قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف
وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمّن يهديكم في ظلمات البر
والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات
في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء و
الارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤ الخلق ثم يعيده
وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن السماء
الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين في ان مع الله الها فاين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض
قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا
اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى
مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب في
استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها
عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى
ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في
السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا ترى كيف قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة من زعم
انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم
اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف
وقرئ إيان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقرئ بل
ادّرك بل ادارك بل تدارك بل ادرك بل ادّرك بمعنى بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى أأدرك ام تدارك ام ادرك
فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى
وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة
لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون
يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم
ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب

العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان
هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت
اما لهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله
تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى العلم به
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك
بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من
تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرا بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام
على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا أم ادرك وأم تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن
قرا بلى أدرك وبلى آدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك
علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون
كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا بلى آدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون
ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم
بكون الكائن في الآخرة في شان الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك
ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان
امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخضخض به لطلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون
مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم
ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون
وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يديه عقابا تمنع عمل اسم الفاعل فيه وهي همزة
الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في
انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم
نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى
الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لم يلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي و
لان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك
الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا
ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومك وقريش
كقوله لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال
بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق

قال الله تعالى ضيقا حرجا وقرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه
وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم و
معناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال الفلتان ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف
لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا
مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم
لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن
اكثرهم لا يشكرون الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة
وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش و
ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما
يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء
والارض الا في كتاب مبين سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما
النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من
الملائكة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه
احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا و
اخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى وانه لهدى ورحمة للمؤمنين للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من
بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم بينهم بين من آمن بالقرآن
ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو
عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو
العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين
فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين
وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله
وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه
ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من
ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق
الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى
عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال
الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق
ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم وان يجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت

هو توكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم و
ما انت بهادي العمي على الاصل وقد قرئ تهدي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وعداه عن الضلال لكونه بمعنى صرفا عن العمية
اي تبعدهم عنها بالتسديد وتبعدهم عن الضلال والمنكر ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته
اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا وقع
القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون سمي معنى القول
ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها
وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن
ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع
آدم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس
ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا
الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي
تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن
في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك
وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب
بين عينيه كافر فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان
انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم
من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم الجرح
كما فسر بقراءة علي رضي الله عنه تجرحهم وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس
على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي
تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت
قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بآيات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت
آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف
الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون فهم
يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه

كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة
سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلنا الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
كقوله من الاوثان حتى اذا جاؤوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول
عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة
العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب وللعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها
فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه اما
ذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها
او التكذيب ومثاله ان يقول لراعيك وقد علمته يرعى سوء اكلت نعمي ام ماذا عملت بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله اصل
كلامك ما علمته صح الصحيح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا عملت بها مع علمك انه لا يعمل بها
الا الاكل لتبكته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر
خلاف ذلك وارادوا اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك
يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل
كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله
ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به
والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق
مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع
على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز
ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء
انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير
كما يسير السحاب الريح فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام
العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد يتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش شعر بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله الذي

أتقن كل شيء يعني أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا
الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى
الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما
أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته
والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد
ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة إن الله لا يخلف الميعاد لا تبديل
لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة
كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع **فإن قلت** ما الفرق
بين الفزعين **قلت** الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان
المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان
وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب **فإن قلت** فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه **قلت** يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من الرعب والهيبة لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضي
ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار أمن يعدى بالجار كقوله
أفأمنوا مكر الله وبنفسه كقوله أفأمن أهل القرى وقيل السيئة الإشراك بالله يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله
تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات
وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء
وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين
وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون** أمر رسوله بأن يقول أمرت أن
أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن من التلاوة
أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه
وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه
الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالا
على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها
بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها
ولا ينفر صيدها واللاجئ إليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة
إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء اللهم بارك لنا في مكتنا وآمنا فيها من كل ذي
شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبي وأن اتل عن ابن مسعود فمن
اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة إليه ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة
النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك
حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو

كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات
وهو من أجزاء العالمين وقرئ تعملون بالتاء والياء. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر
حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك
آيات الكتاب وقرآن مبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون** من نبأ موسى وفرعون مفعول
نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علم الله أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع
هؤلاء دون غيرهم **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي
نساءهم إنه كان من المفسدين** إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما
فقال إن فرعون علا في الأرض يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد
ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى شعر وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل
وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون
فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل وإن كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة
لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان أن القتل فعل لا طائل تحته صدقا كان
أو كذب **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** **فإن قلت** علام عطف
قوله ونريد أن نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد **قلت** هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها
نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف
أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم **فإن قلت** كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد الله شيئا كان
ولم يتوقف إلى وقت آخر **قلت** لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة
لاستضعافهم أئمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخير
وعن مجاهد دعاة إلى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم
ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له إذا جعل له مكانا
يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا
تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان و
جنودهما أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدي مولود منهم **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا
خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** اليم البحر قيل هو نيل مصر
فإن قلت ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر **قلت** أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا
صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون
المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف **فإن قلت** ما الفرق بين الخوف والحزن **قلت**
الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها

وتعهدت ما يُصلحهما ونيطا من قلبها ثقلاً امّا ثُميت عنها جميعًا او بُنِتّ غبطة وسرورًا وصورته الها وجعله من المرسلين ويروى انه ذُبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروى انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبًّا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئًا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردًا وسلامًا فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلى بالقار من داخله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوًا وحزنًا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنًا وهما لغتان كالعُدم والعَدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورًا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنًا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرًا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعًا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدًا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فارغًا صفرًا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان شعر

الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء

وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون

بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعًا وقرئ قرعًا اي خاليًا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغًا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصرح به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغًا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحًا وسرورًا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما يهمز واو وجوه وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وعن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يشعرون بانها اخته وكان اسمها مريم وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديًا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيًا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغًا ويروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحمًا ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث وكان لا يفعل فعلًا يستجهل فيه وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي

قوله وقرئ وحزنًا الى آخره قرأ حمزة والكسائي حزنًا بضم الحاء واسكان الزاي والباقون بفتحهما

الزجاج يعني هذا التقدير فيكون كانه قد عرفها انه قرة عين لي

قوله وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر مبتدا محذوف

قوله من قرأ فرغًا الفناء مربط الخيل وموقف الخدم

لامن البدو والبد والبرية قال في الاساس

فغفر له إنه هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين
وقيل وقت القايلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم
فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو
السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع
باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي
اسرائيل ان يقتل ما لم يؤمر **قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين** بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت
علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره
سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة
الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله
وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني
من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة
اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى
به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع
قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل **فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له
موسى انك لغوي مبين** يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان
سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر **فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين** وقرئ
يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي
يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله
ولما قال هذا اخفى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ونقل الى فرعون وهموا بقتله **وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين** قيل الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم
فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا
جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر
صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك وللبيان ولك للبيان وليس بصلة الناصحين **فخرج منها خائفا يترقب
قال رب نجني من القوم الظالمين** يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق **ولما توجه تلقاء مدين قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل** تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين
بن ابرهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن
عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق
الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين **ولما ورد ماء مدين**

**وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي
من خير فقير** ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه
وجد فوق شفيرها ومستقاها امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان
المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شانكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي
قصدت قصده وقرئ لا نسقي ونسقي والرعاء بضم الراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس
كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا تقله الا
سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق
بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما وقيل كانت بئر اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل
الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما
مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه
رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة
ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز
فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه
انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي
حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب الذود فقالتا
السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي
الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما
السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في
نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه
خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لما انزلت
الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل
تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو
النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة
**فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها
روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا

فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها انه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص **قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين** كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصغراهما التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر **قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين** روي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او تسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مال وهو العبد والدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة

ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له الامرين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فاتمامه من عندك ومعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط المشيئة فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه **قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل** ذلك مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر واقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك **فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون** روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات

تغلّ ونخ في يديها غير ما قدّرنا أي السلم تدعم لا تقاوم به فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مسّ الغنم فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأناً وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ذلك ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعاً العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير

شعر
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوّار ولا دعر

وقال
وألقى على قبس من النار جذوة ... شديداً عليه حرّها والتهابها

فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإيه إنهم كانوا قوماً فاسقين

من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فإن قلت ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراها جناح

ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففاً ومشدداً فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فإن قلت لم سميت الحجة برهاناً قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معاً والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها

قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون

يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

شعر
وردئي كل أبيض مشرفي ... شحيذ الحد عضب ذي فلول

وقرئ رداً على التخفيف كما قرئ الخب وردا أي يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلاً يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فأسنده إليه ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما يلابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردءاً يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم يصدقني

قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة أبني لبينى لستم بيد إلا يداً ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطاناً غلبة وتسلطاً أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطاناً أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه أو من لغو القسم

فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين

سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا أي كائناً في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها

وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون

يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى

وعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل
الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها
وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة
كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية
دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا
لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية
هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على
ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك
الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر
فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت
لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من
الكاذبين روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ
الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر
ان يقوم على رأسه حتى بعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر
فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في
هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد
قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من
اله غيري كما قال الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم
لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء
وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه
مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها
غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى
وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه
اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته
جهله وغباوته من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك
من عقولهم حيث صادف قوما اعرى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة
وانه ملك من يرجع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله
بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فظنوا انهم مواقعوها ويكون بناء
الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان

يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر
فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو
وزيره وردفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر انه حين سافر الى الشام
ورأى القصور بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى و
استكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون الاستكبار بالحق انما هو لله وهو المتكبر على الحقيقة
اي المبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون و
اتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام
الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم
الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسي وحملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات و
تمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار قلت معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق
ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك فسقه وبخله اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله
وفسقته جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى
موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر
ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر و
مجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة
فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت واي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف
فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر لما قطعت
امره مبتوت بحكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة
على وجوده ويصح هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين ولقد
آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التوراة انوارا
للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها
وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي
موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا
ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم

من نذير لعلهم يتذكرون الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم

ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا الهوى بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قرئ وصلنا بالتخفيف والتشديد والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت اي فرق بين الاستئنافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرءوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبل نزوله ووجوده مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك

نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لا تهدي من احببت لا تقدر على ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت عينك بها عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه يجلب ويجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الي فيه وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا الانداد فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الآثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها

وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وقضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص بقوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والكافر يتمتع والمنافق يتزين أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة عليهما السلام وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا للتراخي في الوقت وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ شركاءي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا وهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا

لا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته
دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة
بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله
عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا
على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من
العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب
لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون
طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا
بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم لـ
استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة
العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم
جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى
الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء
لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح
عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون الخيرة من التخير كالطيرة من
التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان
لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة
فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار
للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت
فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف
منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما تحملهم عليه من الجرأة
على الله والاختيار عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ما تكن صدورهم من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في
النبوة وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله وهو
المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا

ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب
العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين
عباده قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ارأيتم وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومثله [illegible] على هذا السرمد الدائم
المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره
دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء
افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك
يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا
في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا
شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا
في الناجين من وعيدك ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم
ما كانوا يفترون ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه
فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و
آتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه
انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران
بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق
السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فمالي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت
الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في
نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى
تاتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا
يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب
مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ
تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس
واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو زيد

يكن الكوفة منتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء و
وجهه ان ينصرف المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيف اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ومحل اذ منصوب
بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها و
اطمأن واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل أشد الغم
عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن
كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين وابتغ فيما آتاك الله من الغنى و
الثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك
وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك وأحسن الى عباد الله كما أحسن الله اليك او احسن بشكره وطاعته كما أحسن اليك ولا تبغ
الفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى صلوات الله عليه وقرئ واتبع قال إنما أوتيته على
علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون على علم أي على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة
وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا
ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم
الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل
عندي معناه في ظني كما تقول الأمر عندي كذا كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته
على علم ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا ويجوز أن يكون إثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه
وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة وأخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم
وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا فإن قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل
التهديد له ان الله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله
بما تعملون عليم وما أشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون إنه لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان و
عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام و
عن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي
فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة
تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير
أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون له نعمة صاحبه دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر
العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ

وما الدنيا

وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون
ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل
بالإقراف في الحث على الفعل والضمير في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة و
الطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به
وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين كان قارون
يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على
دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء
وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى
فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون
وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق
البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله
بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون و
أصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم
وأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا
مجيبا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره
وأمواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى ومن الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه فامتنع
وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك و
لكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على
الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا
كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال
وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء
البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب
مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا
منّ الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به وتخسف بنا تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي
سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين

فلا تعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني هاهنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض وقوله ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي عليه السلام والفضيل وعمر

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون

معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لانه في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها

ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين

فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد وليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر بها منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم

وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين

فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا الكلام محمول على المعنى كأنه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك

ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين

وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال الا انت اصد والناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره

ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان تقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي عليه السلام والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها

ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون

ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان تضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن

لايمانه وهذا يقتضي انه لا يجازى بما وبئس ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلي في صفة العسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امره الله ونهاه رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو تكفيرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم الحسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله تعالى يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح شعر

وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف

كانه قال امرتهم بان ينهبوها ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وتقول وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد وروي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت له امه وهي حمنة بنت ابي سفيان

بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدرنا ان نفتتن فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدورهم من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور يتكل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعد

التي في قلوبهم بنية التخلف وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون
وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا معها اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في
ضلالهم وليسئلن سؤال تقريع عما كانوا يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون كان عمر نوح عليه
السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب
انه عاش الفا واربعماية سنة فان قلت هلا قيل تسعماية وخمسين سنة قلت ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان
يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعماية وخمسين سنة كاملة وافية
العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه
السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا
راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت
لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم
او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج وغم طوفان
الظلام الاثابا فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا
نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في جعلناها للسفينة او للحادثة
والقصة وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون نصب ابرهيم باضمار اذكر
وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ
من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابرهيم النخعي وابو حنيفة
وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية
لا بعين الجهل علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا
نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت
لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق
وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم
اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ
البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء
اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان
جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس و
نوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان
منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هو حكاية كلام الله لابرهيم
عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وآله كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم عليه السلام والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة
فيه الا ترى انك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم
الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها
لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطية عقيبها
من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه
ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة ان الله على كل شيء قدير قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ وبدا
وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما
وقع النظر في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثق فلانا و
[illegible] فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق وكذلك [illegible] معطوف على جملة قوله [illegible]
عليه من معنى [illegible] بقوله النشاة الاخرى على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج
من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة
كالرافة والراءفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد اضماره في
قوله كيف بدا الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة
وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي
لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو
الذي ينشئ النشاة الاخرى فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء ويرحم من
يشاء واليه تقلبون يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن
وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه
وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا لا تنفذون وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء
كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة وتضرعه لا يعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم بآيات الله بدلائله

على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدلهم يئسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافرون فلا يخطر ببالهم رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا ذلك بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم فلم تحرق منه الا وثاقه في النار وذلك لذهاب حرها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم كان لوط ابن اخت ابرهيم عليهما السلام وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحاق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والانجيل والزبور والقرآن ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم

قالوا لم يقدم ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل لاتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل التحابق والسخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان تشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى على الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم الى ايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض ابرهيم عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك وان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل لما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب وامروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكفرة بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين

والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم
فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم
اذ انظرتم فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين
من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله قد بين لهم على السنة الرسل
ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما
كانوا سابقين سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصفة فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون
والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لو كانوا يعلمون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن
وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله
لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من
الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد
تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما
يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله
مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
وهو العزيز الحكيم قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه
تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك
الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال
والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين
حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو
ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت
كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا
لقوله انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كانه يجعل على الصراط والجنة عن يمينه والنار

عن يساره وملك الموت من فوقه ويصليها بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء
والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وعن الحسن
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن
السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه
وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم
يلبث ان تاب وعلى كل حال ان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم
الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك
انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد والصلوة
اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة
اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي
في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن
الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله
مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية
فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد
من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم
وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد
باياتنا الا الكافرون ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا
لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون
عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه
بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا
على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه
قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان
سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب

فالمعنى لم يؤمنوا به من العجم الذين آمنوا به ... وهذا المتلو ... فاذن لم يطلبون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ... فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء وهم حفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي كذا دون كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون كفى بالله بيني وبينكم شهيدا انى قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقول حسان ع فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله تعالى وعد رسوله صلى الله عليه وآله ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وهي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة

بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وجبنا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك ضربتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شحطت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة وكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت ام لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل

سوء عليهم قدر الرزق وقتر بمعنى اذا ضيقه وتقديره جعله الواحد فان قلت الذي رجع اليه الضمير في ويقدر له
يقدر له من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء
لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان
الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد
موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه
ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم
حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان
الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم بعينه وما هذه
الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون هذه فيها ازدراء للدنيا
وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب
الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها وكانها
في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي
ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما
في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنفضان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت
سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي
للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر اذا هم يشركون فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم
به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين
ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف
يعلمون واللام في ليكفروا محتملة ان يكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون
الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين
المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى
التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك
ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت
عليه وقلت انت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت
شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت
وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا

ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة
الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من
النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما
جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من
الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما
يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح
لهم صدقه او كذبه أليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه
الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير وفيها وجهان
احدهما ألا يثوون في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب والثاني ألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من
النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما
علموا لنهدينهم سبلنا الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم
انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة الكثيرة
المشهورة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى
غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى
عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في اداني
الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس
الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب
وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن
نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف
كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا
الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية
ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة
النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبت بسكون اللام والغلب والغلب

مصدران كالجلب والحلب والجلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف
الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف
باختلاف القراءتين فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومعناهما يحكم عليهم اهل الشام
ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن
مذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار
وقد احتجا على صحة ذلك بما عقد ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا
وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل
ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم
على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت
بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصره انه ولّى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد
الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك على الف درهم عرفا لان معناه
اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون ذمهم الله تعالى بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امور الدين وذلك لانهم كانوا اصحاب تجارات
ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردئ هو ام جيد وقوله يعلمون بدل
من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا
فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا
ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود
منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية
يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت
فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون
الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف ومعناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة
ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة
ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم

غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه
تريد اشتمالا وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة
به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا
وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي
دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا
سمي ثور اثارة الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم
لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم
قوة اي من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان
هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث
عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون
وقرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا
في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة
وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة
التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك وجه آخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا
الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام
الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا
بشركائهم كافرين من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا في الآخرة بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها
او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب
السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين
هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب

كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرّون
يقال حبره اذا سرّه سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارّ
فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعّمون وعن ابن كيسان يحلّون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن
وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا
رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين
باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع
في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين
منها لا يفتّر عنهم فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا
وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ
لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس هل تجد
الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا المغرب والعشاء الآخرة وتصبحون صلاة الفجر
وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن الى
ان هذه الآية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلاة بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم و
القول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه صلى الله عليه وآله من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في
ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا بمعنى فيه الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات
منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة
من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد
وتخرجون بفتح التاء وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ خلقكم من تراب لانه خلق
اصلهم منه واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعد خلقن من اصلاب
الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما
بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التوادّ والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء

ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال
ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون
اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله
خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا
فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان
وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس و
لتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة
الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي
لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا
العالمون وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ
هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين
الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد
منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسدّ المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان
الواعية وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا
في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا
لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤن فكأنه
قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ومن آياته قيام السموات
والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته لكونهما على صفة القيام
دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات
والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير
توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود او هو اسرع
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من
ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر
كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان
صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من الارض
ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى

للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تَخرُجون بضم التاء وفتحها ومنها وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ
وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ وهو اهون عليه فيما يجب عندكم
وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون
للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة
بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه
وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد
الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص
كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة
استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم دعوة كانها عطفت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة
في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء
لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان يتنقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك
الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا
يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال
والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع
وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله
ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب
كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها
واذا كانت اهون منها فكانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف
في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما
من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه
وعن مجاهد المثل الاعلى قوله لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله
ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما
يصعب ويسهل يريد التفسير الاول ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما
رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ من
في الاولى والثانية في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاءكم فمن الاولى للابتداء كانه قال
اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعده والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشركم وعبيد كعبيدكم ان يشارككم بعضهم
في ما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا
بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف
ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل

نفصل

نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى
كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَ
ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ الذين ظلموا اي اشركوا كقوله ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين
لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله
من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على
ان المراد بالاضلال الخذلان فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ
ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَلا تَكُونُوا
مِنَ المُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فارَقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فاقم وجهك
للدين فقومه وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته
واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه
وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين
اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة
الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين
له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم
ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله
اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص
من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله
حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع
فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه وَإِذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في
ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون تخلية فتمتعوا وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ
سُلْطانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق
به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون
ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا
عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون وَإِذا أَذَقْنا النّاسَ رَحْمَةً
فَرِحُوا بِها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها

وإن تصبهم سيئة أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة إلا على الولد للوالدين وللولد على الوالدين فقاس سائر القرابات على ابن العم لأنه لا ولاد بينهم فإن قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله بالفاء قلت لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك يريدون وجه الله يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وحقه كقوله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ويقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون هذه الآية في معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربو في أموالهم ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكاة أي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذي ليس بحرام أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا وقرئ لتربوا أي لتزيدوا في أموالهم كقوله ويربي الصدقات أي يزيدها وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والأول أملأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا

إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الأمصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت أيدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فإن قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت أما على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الأرض لأجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان أكثرهم مشركين على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله إما أن يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون أي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة فلأنفسهم يمهدون أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضيض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله إنه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فإن قلت بم يتعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم

وليكون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا
من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر
الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم
للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله
ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ
علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق
يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة
بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي
الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله
تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد
فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ
ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس
بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه
مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فرأوه فرأوا اثر رحمة الله لان
رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار رحمة الله النبات واسم النبات
يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب
القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا
من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل
ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان
يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على
بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصير هشيما
وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر الله الذي خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير
قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روي عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتم
وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت
الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة

والهرم

والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى
هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من
ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب
للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت
البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم
وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون
اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او
مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون القائلون هم الملائكة والانبياء
والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم
على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب
شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك
ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون لا ينفع قرئ بالتاء والياء يستعتبون من قولك استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت
تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى
العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف
جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت
اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم
جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى
ازالته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم
الا مبطلون ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين
يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل كذلك يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور
حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة
تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ
قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون فاصبر على عداوتهم ان وعد الله حق لا بد من انجازه والوفاء

ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحاق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم

الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف المحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداده بها ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما يأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان

ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يعده على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستأنفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال

نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب قال لاسود لا تحزن انه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه **ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون** اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل مطيتي المحمي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله لا يجازى والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته فهو رضاع محرم **يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات**

او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين تكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا **يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور** واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا **واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير** واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد

في مساوي الآداب ان يجري ذكره مجاناً في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وان بلغت منه
الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج
الاستعارة وان جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت و
الترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر
صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السماء
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى
واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر و
في سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة
لانه اما حيوان او غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حياً نعمة عليه لانه لولا
ايجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصوداً به الاحسان
قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثاً والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير
محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة
كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلاً فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي
الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة و
عن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة
المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك
ويروى في دعاء موسى صلوات الله على نبينا وعليه الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان
ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان
اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة
الامور قرأ علي بن ابي طالب عليه السلام ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد
عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله اي خالصاً
له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه
فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه
بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه ومن كفر
فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور قرئ يحزنك ويحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله
تعالى دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم
قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ نمتعهم زماناً قليلاً بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم

التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة
والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون
له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا لم ينتبهوا لله ما في السموات
والارض ان الله هو الغني الحميد ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قرئ
والبحر بالنصب عطفاً على اسم ان وبالرفع عطفاً على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاماً وثبت البحر ممدوداً
بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدوداً وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجوز ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام
ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل
البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها ابداً صباً لا ينقطع والمعنى
ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت
كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله و
قد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف و
يجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت
اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاماً فان قلت الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه
وعن ابن عباس انها نزلت جواباً لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا
يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة
وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله الست تتلو فيما انزل عليك انا قد
اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته و
حكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها
اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير
يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث
ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم
الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل
ايضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته
بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت

كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل
واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل
مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة
وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء
القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الالهية
وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي الشأن الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات
بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قرئ الفلك بضم
اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات
يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
فكانه قال ان في ذلك لآية لكل مؤمن واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يرتفع الموج ويتراكب فيعود
مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد
متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر
يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد
عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال شعر
وانك لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا
تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور
الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية و
يتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا
جعل الغرور غارا كما قيل جد جده واريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من
الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم
قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان
يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد
منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان تشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد
يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير روي ان رجلا

من محارب

من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة
متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها
اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله
عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة
تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر
واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها
ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي ان مرسيها وينزل الغيث
في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك
ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة ام فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة
على خير فعلت شرا وعازمة على شر فعلت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي
ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك
الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك الموت لسليمان
دوام نظري اليه كان تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية
للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا
يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد
وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف
ونهى عن المنكر سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره
تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره
لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه
راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله
ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من
ربك وما فيه من تقدير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين
وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم اضرب
عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز
فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها
مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير

كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو ابلغ من الريب وهو قولهم افتراه
قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه
معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل
يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا
لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة
بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة
الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان
لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون فان قلت
ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم
وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل
المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون الامر المأمور به
من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به
خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف
بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض
لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه
ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود
الى ان يبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء
الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان
المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة
جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة
ثم يرجع اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج
على البناء للمفعول وقرئ تعدون بالتاء والياء ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق و
اتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد
سليل ونجل ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
سواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك

عن الروح الآية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد بل هم
بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون وقالوا قيل القائل ابي
بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين
بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية
وقرأ علي عليه السلام وابن عباس بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من صل اللحم واصل
اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي
خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما
ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء
وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء
وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء كقولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم
ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو ترى
يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله
صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون
لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من
الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ
حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا
تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب
من الله تعالى بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ
ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك
تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لآتينا كل نفس هداها
على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت
كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة
فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك
في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء
نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل

على ان ما تمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان
اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة **انما يؤمن بآياتنا الذين اذا
ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا
تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه
واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون** تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين
ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في
تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين
يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن
انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون صلوة العتمة لا ينامون
عنها **فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون** ما اخفي لهم على البناء للمفعول
ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى ما اخفي لهم وما اخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله تعالى
وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرات اعين والمعنى لا يعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو
مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في
الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت **افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون** كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين
آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان
قال تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء
النازل ثم صار عاما فمأواهم النار اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى
للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم **ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون** العذاب
الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب
الاكبر عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او
لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام
قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين

صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت
مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان
ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسر
والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك
في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك
واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب عليه السلام والوليد
بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب
منك لسانا واشجع منك جنانا واحد منك سنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي عليه السلام اسكت
فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي عليهما السلام انه
قال للوليد كيف تشتم عليا عليه السلام وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا **ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون** ثم في قوله ثم اعرض للاستبعاد والمعنى ان الاعراض
عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد
في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت
الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها
واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة
بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة **ولقد
آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك
من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان
كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله من لقائه وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه
وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالآيات
وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية
لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء ويوم القيمة
وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضاء والقبول وقرئ لما صبروا وبما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن
صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل **ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** يفصل يقضي فيميز المحق في دينه
من المبطل **اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك
لآيات افلا يسمعون** الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم
لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم
يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال

ويجوز أن يكون فيه ضمير لله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد **أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس أنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين به بالماء تأكل من الزرع أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء **ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون إن كنتم صادقين في أنه كائن ويوم الفتح يوم القيامة هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة **فإن قلت** قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم **قلت** كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا **فإن قلت** فمن فسر بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق **فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون** وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم إنهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة أو انتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما عن زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله **فإن قلت** إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول **قلت** ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين الإخبار والنداء ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت على ما أنت عليه من التقوى وابق عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره ولا

تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارة والمضادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وكان معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك وروي أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت إن الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة **واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا** واتبع ما يوحى إليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله الذي يوحي إليك خبير بما تعملون فموح إليك ما تصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم **وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** وتوكل على الله وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره وكفى به حافظا موكولا إليه كل أمر **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما** ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله

وقولهم وضع يده بشماله فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل
سها فى صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فى ان الواحد يقول نفس تامرنى ونفس
تنهانى والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة
الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه فان قلت اى فائدة فى ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة فى
قوله القلوب التى فى الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور
لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائى بياء وهمزة مكسورتين واللاء بياء ساكنة
بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظّاهرون من اظّاهر بمعنى تظاهر وتظّهّرون من اظّهّر بمعنى تظهّر وتظهرون
من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت على
كظهر امى ونحوه فى العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه
تعديته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش
منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن والا فآلى فى اصله الذى هو معنى
حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت على كظهر امى قلت ارادوا ان يقولوا انت على حرام
كبطن امى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر
لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجىء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها
الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول
فلقصد المطلق منهم الى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك
الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وجمع على افعلاء شاذا وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى واتقياء وشقى و
اشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمى وسمى قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى واسرى والطريق فى مثل
ذلك التشبيه اللفظى ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابنى لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا
والله تعالى لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق
وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين فى القسط والعدل وفى فصل هذا الكلام ووصله
من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل فى الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال
فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم فى الدين واولياؤكم فى الدين فقولوا هذا اخى
هذا مولاى ويا اخى ويا مولاى يريد الاخوة فى الدين والولاية فيه ما تعمدت فى محل الجر عطفا
على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى
لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهى او لا اثم عليكم
اذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون
العمد على طريق العموم كقوله صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتى
الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطاء التبنى وعمده فان قلت فاذا وجد التبنى فما حكمه

قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبنى ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب
وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكن يعتق عند ابى حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف
النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطاء وعن العمد
اذا تاب العامد النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى
الكتاب مسطورا النبى اولى بالمؤمنين فى كل شىء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد
فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم
من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما
يدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وصرفهم عنه لان
كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا
يتهافتوا فيما يرمى بهم الى الشقاوة وعذاب النار وهو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى
بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبى صلى الله عليه وآله ما من مؤمن الا انا اولى به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالى
وفى قراءة ابن مسعود النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبى فهو ابو امته ولذلك
صار المؤمنون اخوة لان النبى صلى الله عليه وآله ابوهم فى الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات فى بعض
الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء تعنى انهن انما كن امهات
الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت
لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت
تتألف قلوب قوم باسهام لهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة
فى كتاب الله فى اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او فى آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله
عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولى الارحام اى الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا
من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى
الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام فى معنى النفع والاحسان كما
تقول القريب اولى من الاجنبى الا فى الوصية تريد انه احق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة
وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا
وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين ذلك اشارة الى ما ذكر فى الآيتين جميعا
وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسئل
الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما واذكر حين اخذنا من النبيين
جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى

وانما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة
من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا
عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم
كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله
عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدم زمانه فان قلت
فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم
على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله تعالى انما اوردها لوصف دين الاسلام
بالاصالة والاستقامة وكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد
خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق
الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف
الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام
عطف قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل
اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد
للكافرين **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم
الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملئكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران و
اكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملئكة في جوانب عسكرهم فقال
طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
صلى الله عليه وآله باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم
خرج في ثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا يقدر ان يذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني
كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر يعملون قرئ بالتاء والياء **اذ جاءوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي
المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن

و الكسائي يحذفها فيهن في الوصل خاصة و الباقون باثباتها في الحالين ... قوله اضطراب القلب

اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا زاغت
الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة
الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او
الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون
ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنون خطاب للذين
آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم
الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون
فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون
انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة
كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا
اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا
بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا** قائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا** طائفة منهم
هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت
المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى
المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل قالوا لهم ارجعوا الى الكفر واسلموا محمدا و
الا فليست يثرب لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان
عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم
معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله
بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار **ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها
وما تلبثوا بها الا يسيرا** ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها
من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها
وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة
والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا
يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى
انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين وعن مصافة
الاحزاب الذين ملاوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل
لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم
للكفر وتهالكهم على حزبه **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا**

من الخندق اخذوا من قوله والقائلين لاخوانهم هلم الينا بدلالة انهم خارجون عن معسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجوز

عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قليلا ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا أشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب أشحة على الحال او على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى

المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدّى على فعّل جمع باد كغاز وغزّى وفي رواية صاحب الاقليد بدّا بوزن عدى ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن فيطرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان

غَفُورًا رَحِيمًا جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال

اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وآله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي فكان طلاقا وعن علي عليه السلام اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء واصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن كان في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة منكن للبيان لا للتبعيض يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه وقرئ ياتي بالتاء والياء ومبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين وتضعف على البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا وقرئ تعمل بالياء والتاء ونؤتها بالنون والياء والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله

والتقوى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة منهم وللحدة تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول كانه قيل فلا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن ذكره ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ووجه آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عم كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للقبائح يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه لله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الله لتعظيم امره وللاشعار بان قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت

تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها
حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري فقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت
وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز
واللحم حتى امتد النهار فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي
تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت
ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها
لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية
فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني
اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه تعالى ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف
سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في
الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن ابي سرح
واعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء
لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي
التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له
لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه
من تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه
وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما
الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم
الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا
في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره
وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلبه اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس

زيد لم يكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقة بها ولم
يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين
حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها
المهاجري واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد
ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة
ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله تعالى من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه
وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات
في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو
في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك
مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله
او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان
تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى
فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقراءة اهل البيت عليهم الصلاة والسلام زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد عليهما السلام اليس تقرا على غير ذلك فقال لا
والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب عليه
السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله
الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين
في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن و
يجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله
في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله وكفى بالله حسيبا فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج
كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع
عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلاثمائة سرية
ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف
للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون وعلى اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان
محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ما كان
محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده

حرمة المصاهرة والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم
ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين
ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وخاتم
النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي
لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقسم وابراهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من
رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله
لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين عليهما السلام قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا
من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن و
الحسين عليهما الصلوة والسلام قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من
عرفتموه اي نبيا لا ولد له وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى قوله آخر الانبياء انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى مصليا الى قبلته كانه بعض امته يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس و
التحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر والجنب والغفلان اي اذكروا وسبحوا موجهين الى
البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبرئيل و
ميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات
والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر
من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار
بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من
جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر
والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و
كان بالمؤمنين رحيما لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا
عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف
ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم و
يترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولهم حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك
الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيته
وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى

هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم يوم يلقونه سلام
واعد لهم اجرا كريما تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله
تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت
والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة
كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال
وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا
به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله
باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك و
الجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع
الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا
عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى
به وامد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا
يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء
وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على
هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل
به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم
ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني
ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او دع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس
هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه وقائل ان يقول وصفه الله بخمسة
اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم
يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض
عنهم اقبل بجميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى
لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله
لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من انار الله به برهانا

على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا
النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب
في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع
اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن
الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت
به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير
لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف
واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب
وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت
فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد
عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل
يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اى تعتدون فيها كقوله
ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه
قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر
المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على
الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت
اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي
ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما اجورهن مهورهن لان المهر
اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن
ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى
واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد
اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل
بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم
غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل
واطيب مما يشتري من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب
واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق

الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من
الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك
نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون
مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها
وقرأ ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها
نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك
نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على
ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله
عليه وآله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال
ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح
لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة
الله اي خلص لك احلالا ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج
والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة
لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج
والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث
اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا
لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة
نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما
بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا
جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما
في قلوبكم وكان الله عليما حكيما روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة
النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وآله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن

يا رسول الله أقرني من نسائك ومالك ما شئت وروى ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد مما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبحكمه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقرّ اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتُقَرّ اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن

لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا

لا تحل وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل ففي قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية من في من ازواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه

يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما

ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لابد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحيي بياء واحدة الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع قيل ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة

شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في
المسجد فقال لهن احتجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب
انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء الحجاب لئن مات محمد لاتزوجن
فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده ويعني ذلكم
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه
وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره ومن الناس من يفرط غيرته
على حرمه حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا
واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى
قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك **ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله
كان بكل شيء عليما** ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به
انما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل
**لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن
ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا** روي انه لما نزلت آية
الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم
عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله
تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما
غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن
به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن
طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجاب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن
ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت في علمه الاحوال **ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** قرئ وملائكته بالرفع عطفا
على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه
وسلموا اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على رسول الله
واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من
ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي فقال صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله
وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا

لذينك

لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلاة عليه في الصلاة اهي شرط في
جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة
بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلاة على غيره
قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك
وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره
من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يقفن مواقف التهم **ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة و
اعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا** يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه
ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء
صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة
والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة
وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه
وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما حكي عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني
ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد
ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يضاهون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى
الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير
جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا عليه السلام ويسمعونه وقيل في
الذين افكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا
يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول **يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**
الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على
صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به

من كساء أو غيره وقال أبو زبيد: مجلبب من سواد الليل جلبابا. ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن
يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك
على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في
درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى
مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن
أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن
فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك أدنى أن يعرفن أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن
ولا يلقين ما يكرهن. فإن قلت ما معنى من في قوله من جلابيبهن قلت هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض
محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون المرأة متبذلة
في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله
على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها
فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين
وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء. لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف
إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا
يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون
بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة
والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء
لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك
فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
ودخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا
لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء
ملعونين. فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة
قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك. فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا
يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول
وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف
عليه. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا. سنة الله في موضع مصدر مؤكد
أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا. يسألك الناس
عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا. كان المشركون يسألون
رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله عمى وقتها في التوراة

وفي كل كتاب فأمر رسوله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله
أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين. قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في
زمان قريب. إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد. يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا. وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الله للسعير ومعنى
تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها
من أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم
موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر
وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا. وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها
الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثيرا لأعداد اللاعنين وكبيرا
ليدل على أشد اللعن وأعظمه. ضعفين ضعفا لضلالهم وضعفا لإضلالهم يلعنون ويستغيثون ويتمنون ولا
ينفعهم شيء من ذلك. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها. لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس
وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم
إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه
حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو
أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه. وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع
الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ
ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر
رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش
مكين وهذه ليست كذلك. فإن قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة
وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم
سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم
أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما. قولا سديدا
قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به
عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث
على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في
حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة
عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وبهذه الآية

مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه على الامر باتقاء الله
في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ
فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وعلق
بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه
وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما
يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيته وارادته ايجادا وتكوينا
وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من
الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما
يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة
الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل الامانة ومحتمل لها
تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها
وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه
قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

شعر: اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف

اي لا يمسك الرقة والعطف امساك
المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه
ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان
يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه
وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام
واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته
انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير
في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج
وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان
مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس
وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت
قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله
وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من
الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد وابائه
واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه
به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في
الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض

والجبال

والجبال لأبين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان
التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة
على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه
اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله
الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى
عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا
كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على
نعم الآخرة وهي الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها
وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين
وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته
الخبير بكل كائن يكون يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز و
الدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والفلز والدواب و
غير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات
والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمه
وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب عليه السلام ننزل بالنون والتشديد
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطا
لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس
الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد
التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة
حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى
كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف
الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب و
ادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه
كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام
الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه

ثم حلف لهم باغلظ الايمان واتم عليه جهد القسم يمينه من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف يكون مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له وقرئ لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك وقال او ياتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح **والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم** وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب **ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد** ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطا اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرا الحق بالرفع جعله مبتدا والحق خبرا والجملة في موضع المفعول وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجب الاعاجيب انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونون رفاتا وترابا وتمزق اجسادكم البلى كل ممزق ايفتريكم ويختلق الكذب ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال تعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرا منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك احق بالجنون واشد اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رصيدا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد بن علي عليهما السلام ينبيكم فان قلت فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم

لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام بمعنى مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى وعدون في قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب** اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرا الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية **ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير** يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التاويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد جعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل

ولا حصلة فيه برفع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدّر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير** وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى القطر النحاس المذاب من القطران **فان قلت** ماذا اراد بعين القطر **قلت** اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور** المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فان قلت** كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر

على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** قرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن سأته من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بيّنا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عمّ على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمي عليهم

منه حق يقين عجزهم عنه ولتبطل دعواهم علم الغيب [illegible] أو يذوب جار ليصعد كرسيه فإذا دنى ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ثم كان بنيه إلى أن توفي **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** قرئ لسبإ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها ومساكنهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح **فإن قلت** ما معنى كونهما آية **قلت** لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن يجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره **فإن قلت** كيف عظم الله جنتي أهل سبإ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت **قلت** لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم إما حكاية لما قال لهم أنبياؤهم المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه بقوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكر وعن ابن عباس كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم تكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ** وقرئ وهل يجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي إلا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** القرى التي بارك فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض

لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء سيروا وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه **فإن قلت** ما معنى قوله ليالي وأياما **قلت** معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا أيادي سبأ قال كثير

أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ... فلم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب إبليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل سبأ أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله إلا فريقا لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين **وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** وما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق بالعلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**

وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل للمشركين ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى **فان قلت** اين مفعولا زعم **قلت** احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله **فان قلت** بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية **قلت** بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قال يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى **قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء **فان قلت** كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال **قلت** لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين **قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون** هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين واراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار **قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم فان قلت** ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم **قلت** اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة الاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو العزيز الحكيم كانه قيل اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله او هو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله احد **وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين **قل لكم ميعاد** الميعاد ظرف الوعد وقرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما **يوم لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون**

من مكان او زمان وهو هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعادٌ يومٌ فابدل منه اليوم فان قلت فما تاويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان تكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤوس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلالة على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه النصب والرفع قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول

فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكونوا على الله بمنزلة لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا ونحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتخفيف والتشديد وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاءٌ الضعفُ على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاءٌ الضعفَ على ان يجازوا الضعف وجزاءٌ الضعفُ مرفوعين الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان

من خلف ففيه خير الرازقين واعلام رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهي لا يجد وواجد لا يشتهي ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون﴾ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم تعالى كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهو البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين﴾ الاشارة الاولى الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوا على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا

مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموا من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم تغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس ومن درس الكتاب ودرس الكتب ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهو العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ﴿قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء ﴿قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا ﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد

اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبع ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك ﴿قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب﴾ وقرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل نفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان

النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وبما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب و لو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوتَ و الاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف قوله واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذٌ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول شيئا من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو و كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم و يلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قائسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا ينقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبهم مذهبهم مريب اما من اراب الرجل اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون

مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعلُ الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم ينصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلعم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلعم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتٍّ في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية

رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على
اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكر وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت
هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع
اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول
ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون
الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس
قلت اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول
فان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز
عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله اي من بعد
هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة
ارساله وامساكه **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم
من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون** ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط
ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها
ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام
للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم
حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير
الله بالحركات الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم
قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم
واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على
ان الخالق لا يطلق على غير الله قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه
الثلثة واما على الوجهين الاخيرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض
وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات
لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه
المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله
اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فأنى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الشرك **وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور** يعني به على قريش سوء
تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من
رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة
جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك
فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت

ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة **يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا
يغرنكم فلا يخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه
وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير** اخبرنا تعالى ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته
وما فعل بابينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه
فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا تعالى بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرف في العداوة منه وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته
في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو
ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع
الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل الصالح وتركهما **افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون** لما
ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني افمن زين له سوء عمله
من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي
عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق آمر النهي
ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس
اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول ان
لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج
ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه
او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وحسرات
مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو
بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كأن كلها
صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير شعر مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله تعالى فعلى اثرهم تساقط
نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على
سوء صنيعهم **والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد
موتها كذلك النشور** وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت

لحكاية الحال التي تقع فيها اثارة الريح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق

من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور

كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من دون مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله تعالى فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة المصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار

الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير

ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة في كتاب في اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين

ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى اباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا تسمع دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء **يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليه واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيا **ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير** الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى

ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اصحابه وكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبر الله تعالى بعلمه فيهم **وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير** الاعمى والبصير مثل المؤمن والكافر كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله تعالى والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت ما الفرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى **انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير** بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما

قلت لما كانت الثمرات متنوعة بالشأن لا محالة دل ذكرها على ذكر الاجناس وقد اشتملت الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه وقيل الجدد القطع السود اء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها عن بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن كان على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله غفور شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل الكتب ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارسال الرسل في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاءوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من

مخاطبا لله ولا يعتق ابادو اهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن
بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره
وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وان المقتصدين
قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مخصوصة بالسابقين وجنات
عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويحلون على البناء للمفعول ويحلون
من حليت المرأة فهي حال ولولؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخله للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب
كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللولؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقرئ الحزن والمراد حزن المؤمنين الذي
اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس
حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم
وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان
القوم كثيرو الحسنات الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب المقامة
بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه و
فواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح لغوب
موت مائت فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول
له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من
الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم العذاب من
عذابها كذلك نجزي كل كفور فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا
له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى
ويجزى كل كفور بالنون وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير يصطرخون يتصارخون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كرخة جبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاغاثة لجهد المستغيث صوته
فان قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم
يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به و
اما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ
من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه
وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستين

سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم
النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار
كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور انه عليم
بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور
مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر وذو بطن خارجة جارية وقوله اذا ما القذى قال الله حلقة لتغني عني ذا
انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى
الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف
في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه
جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد و
الطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع اليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي و
صغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا
في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت من
قبلها ورات وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة
كما كان ذلك حكم من قبلكم قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما
استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة
في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير
في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضهم وهم
الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ان تزولا
كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث
يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي
والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام
من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك
يهوديته بعد ثم قرا هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم فلما جاءهم ما زادهم الا نفورا بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا
رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض

الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فان قلت ما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التورية من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس وهي ثلث وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم قرئ ياسين بالفتح كاين وكيف وبالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض من ذكره ما ذهبت

اليه من تعيين من ارسل على صراط مستقيم من غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه تنزيل العزيز الرحيم وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرته لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس وابن مسعود في ايمانهم وفي ايديهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس

فالتقح وما كان من خلق الله فبالتم فأغشيناهم فأغشينا ابصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان يطمح الى مرئي وعن مجاهد
فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين المهملة من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن
رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله عينيه وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء
ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا
للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية
بانذارك من غير هؤلاء المتبوعين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما
قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من
الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه
او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين او سكة احدث فيها تخسيرهم
وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع
حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد
فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام
اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على
ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل
الثاني بيان للاول اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون وانتصاب اذ بانه بدل
من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان
ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على
ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما
فتبعهما الناس فضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا
به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني
وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصره واخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا
فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام

وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه
فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض
اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون
فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق
وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا
ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
وما علينا الا البلاغ المبين انما رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا نقضت النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس
شبه فبطل عملها فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب
عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد
على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا
فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ول
يمسنكم منا عذاب اليم تطيرنا تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا
بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة
هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم اين ذكرتم
بل انتم قوم مسرفون طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم
وعن الحسن طيركم معكم اي تطيركم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآين بالف بينهما بمعنى أتطيرون
ان ذكرتم وقرئ أن ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه اشأم
بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون
في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون رجل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت
الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل
وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة
فقالوا وانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو
يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم
خير الدنيا والآخرة ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت

بربكم فاسمعون فخرّ ابن الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل
في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا
تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه
ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا
معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته
اشياء ان اراد كم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا
على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بيّن لا يخفى على ذي عقل وتمييز
وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني
تشهدوا لي به وقرئ ان يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة قال يا
ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة
ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من
مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي
لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما
وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم
قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح
المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ
والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل
وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة
وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اية الماآت هي قلت المصدرية
او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان
منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد
علمت بما صنعت هذا وبم صنعت وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين المعنى ان الله كفى
امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا
منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك
كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر
والخندق فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم

صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب
الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين
الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم خامدون ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان
التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ
وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع
الجراشع وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون
خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة
على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي
يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون
ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله تعالى على
سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا
تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم
ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام
الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان
على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل
الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا
نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما جميع لدينا محضرون قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة
وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في
كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم
القيامة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا
يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال
حي جميع وجاؤوا جميعا وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وقرئ الميتة
بالتشديد والتخفيف اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ
ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة
النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون تقديم الظرف للدلالة
على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط
ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا
فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون وقرئ وفجرنا بالتخفيف

والتثقيل والنجو والنجي كالفتح والتثنية لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والإبار وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر منتهاه وإبان اكله معناه ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذلك وللضحاك يجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمّهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لجرثائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه من مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقرَّ لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ وقرئ القمر رفعا على الابتداء وعطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا سيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرفة الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود

سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول اذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول واكثر لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله ان يدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطي سيرها عن سير القمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ لا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين وكانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامهم ولم يشأ اطعامهم

فضل حق بذلك نزلت في مشركي مكة قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم إن أنتم إلا في ضلال مبين قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون لا يستطيعون توصية أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم والأجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من بعثنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل إلا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون إلا صيحة واحدة وقرئ صيحة واحدة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون فاليوم لا تظلم نفس شيئا إن أصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الولد والصابه والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الأبكار وعنه في ضرب الأوتار وعن ابن كيسان في التزاور

وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون على أنه حال والظرف مستقر هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون هم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك وقرئ في ظلل والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد شعر

فاشتوى ليلة ريح واجتمل

ويجوز أن يكون بمعنى يتداعون كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم سلام قولا من رب رحيم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه وعن ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم أيها المجرمون وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم ممتاز من بعض ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز فيهم من أدلة العقل وما أنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم وقرئ إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعه الكسر إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم هذا إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير شعر

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ... لأفقر مني إنني لفقير

أراد أنه صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الطرق المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي عليه السلام جيلا واحد الأجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون

يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجيز على نفسى الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى
فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم و
قرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان
الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون الطمس تعفية شق العين
حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن
معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا
ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء
لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا
الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من
سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على
مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة و
المقام اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس
لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضى والمضى
كالعتى والعتى والمضى كالصبى ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فنخلقه على
عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى
حال ويرتقى من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه
يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه
اسفله قال تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من
ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم
خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويفعل بهم ما شاء وانى شاء وقرئ بكر الكاف
وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالتاء والياء وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر
وقرآن مبين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر وروى ان القائل عقبة بن ابى معيط فقيل وما علمناه
الشعر او وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ واين هو عن الشعر والشعر انما هو
كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم من
نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربى كما ان ذاك كذلك وما ينبغى
له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يتهدى للخط ولا
يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلعم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى
له فان قلت فقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت قلت
ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى

ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة
لا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى اوزان البحور
غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين
يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرا فى المحاريب
ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين لينذر من
كان حيا ويحق القول على الكافرين لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه
من كان حيا اى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول ويجب كلمة العذاب
على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه
غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من
يعملون بالايدى فهم لها مالكون اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها
لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا اى لا اضبطه
وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبى بكل وجه ويحبسه
على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة و
يسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهى ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل
الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون منافع
من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا الآلهة طمعا فى ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم
والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم ليشفعوا لهم عند الله والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون وقرئ فلا يحزنك بضم الياء من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا
عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه
صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ماذا تقول فيمن يقول ان قرا قارئ انا نعلم
بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلعم
ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن
بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر
معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته

كاسترواتها على ما عظم فيه الخطب لك القائل بخافية الامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحزن على كونه عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قبح الله تعالى انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة لا تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى

السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن فيكون قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فالعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان في القرآن سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس فلله الحمد والمنة

سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ اقسم تعالى بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف

على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبًا لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات الفضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية الله وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال **رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق** رب السموات خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب لا تطلع ولا تغرب في واحد يومين **فإن قلت** فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين **قلت** أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد** الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينةٍ الكواكبُ أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينةٍ الكواكبَ وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينةٍ الكواكبِ بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها **لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد **فإن قلت** لا يسمعون كيف اتصل بما قبله **قلت** لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها يعاجله الهلاك بإتباع الشهاب الثاقب **فإن قلت** هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى **قلت** كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب **فإن قلت** أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وسمعت إلى حديثه **قلت** المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والجن والإنس هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس

هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طروحا أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خِطِّف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخَطِّف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفأتبعه **فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب** الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل فاستفتهم أي استخبرهم ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في أبي الأشدين كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته أم من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون وخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد و[illegible] الشديدة الإضاءة **بل عجبت ويسخرون** بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء لجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه **فإن قلت** كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت **وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون** وإذا ذكروا ودأبهم أنهم إذا وعظوا لا يتعظون به وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه

يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها آباؤنا معطوف على محل انّ واسمها او على الضمير
في مبعوثون والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون
انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما هي جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي
ترجع الى البعثة مبهمة موضحها خبرها ويجوز ان تكون البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من
قولك زجر الراعي الابل والغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه قوله شعر زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم
يريد تصويته بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون او ينتظرون ما يحل بهم ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض
وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا
لهم ويوم الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فريقي الهدى والضلال احشروا
خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم ونظراءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم
من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون
ولا تناصرون بالادغام وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم
إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله
إلا الله يستكبرون اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون
ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح
وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان
يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته
فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة
الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر
على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه
فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة
للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين
بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم
به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه
لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم
متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل شعر لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف

للحالف لا يخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لإقبال المخاطب على المحلف فأغويناكم فدعوناكم الى الغي
دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم
فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا
عنها وابوا الا الشرك ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه
إنكم لذائقو العذاب الأليم وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين
وقرئ على الاصل لذائقون العذاب وما تجزون إلا ما كنتم تعملون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا
بعمل سيئ إلا عباد الله المخلصين الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع أولئك لهم رزق معلوم
فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة
يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأ
كلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله وهم مكرمون
هو الذي يقول العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي
الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم على سرر متقابلين التقابل اتم
للسرور والانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يطاف عليهم بكأس من معين يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى
الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين
من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في
الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين بيضاء صفة للكأس لذة اما ان يوصف باللذة
كأنها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال شعر
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد النوم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول
من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء
للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج
دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من
انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال شعر لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا
نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف
ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب
الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده
افرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا
الى غيرهم كقوله عربا والعين النجل العيون كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها
يشبه العرب النساء ويسمونهن بيضات الخدور فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان قلت علام عطف قوله فأقبل

بعضهم على بعض فقيل على بطاقات عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله
في اخباره قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين وقرئ من المصدقين من المتصدقين ومن المصدقين
شدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين
مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين
وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال هل انتم مطلعون
فاطلع فرآه في سواء الجحيم فالمعنى في ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان في
الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا
فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فأطلع وفاطّلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع
فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو
من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه وكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر
النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل
في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت
حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي قال تالله ان كدت
لتردين ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين نعمة ربي هي العصمة
والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة
من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم
اعلم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء
ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون
توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا
لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم تمت قصة
المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل
النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة
والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة
خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه

نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول
ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا
ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار
شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها كانه رؤوس الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه
مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان
واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به
الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة
المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب
هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به فانهم
لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم منها من الشجرة اي
من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم
العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب
اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرفي التراخي
في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملأون البطون من شجرة الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام
ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها
الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم
ان منقلبهم ثم ان مصيرهم لالى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون
علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم آباءهم على الضلال وترك اتباع الدليل
والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش ولقد ارسلنا فيهم منذرين منذرين انبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين
آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله
من الكرب العظيم لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه حين ايس
من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن
والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى المراد وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام
منهم بابلغ ما يكون وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي

مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين﴾ وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح عم بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ﴿وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم﴾ من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فتناولها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك ﴿اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين﴾ في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد شعر

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم ﴿فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم

التي هي في زعمهم آلهة كقوله شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم ﴿فاقبلوا اليه يزفون﴾ يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف ومن ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذي ابصره وزف اليه نفر منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بآلهتنا ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس ﴿قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾ والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان يكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما يعملون وما تنحتون حتى تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم واراد﴾

به كيدا فجعلناهم الاسفلين الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى
ان الله تع غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما
القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة
اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما
قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له سأهديك فاجرى كلامه على سنن موعده او
بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء و
الطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين هب لي بعض
الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تع ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا قال الله تع ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابن
عباس حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية
بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب فبشرناه بغلام حليم وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام
ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم
وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان
الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا
ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله
وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ
لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما
بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس
به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ
ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمعنى انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من رصانة
الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتي في المنام
فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر
تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل
راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح
الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه
من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة
حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى
من الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول
اي ماذا تريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل

ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به فان قلت
لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء
الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها
ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج
به وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما اري يوسف عم سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد
رسول الله صلى الله عليه دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم
صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك تقوية للدلالة
من تفرد احديهما فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين
ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله
واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله
وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة
الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في المنحر الذي
على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما
وحمدهما الله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه
من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من
الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة
البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه
وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة
لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقال عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على
الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت
سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر
الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبح انه حين اراد ذبحه
قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب
واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى
تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرا على امي السلام وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون
اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على
حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة
تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل

معه كيف أمر أن يذبح فكبّر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء النداء وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لئن سهّل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالاتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خيّر بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بنفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلتم ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشر باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحي الى ابرهيم عليه السلام في المنام ان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان تصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم والله وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفعل الى السبب الذي هو الممكّن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فان قلت لم قيل هنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبق وجهه

القصة آنا كذلك فكأنما استغنت بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر الذي هو اسحق حين وجد لم يوجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد وان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه ونظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب عليه على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما وآتيناهما الكتاب المستبين الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوّز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند تفعلة منه على ان التاء مبدلة من واو وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وان الياس قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب فكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة

[illegible] الناس وهم اهل بعل بك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله اللّٰهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حمل على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما لكم عقل تعتبرون بها وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ قرئ يونس بضم النون وكسرها ويحكى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه لما ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله تعالى في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

انك لتحب القرع فقال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى وانبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم فقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّٰهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله تعالى الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحو ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم

سلطانا فهو يتهكم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم
شديد وما الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها
مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا
ويتظاهر به مذهبا **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** وجعلوا بين الله وبين الجنة
وأراد الملائكة نسبا وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية
جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله
فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم
وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى
أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن
تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوي بيني وبين عبدي وإذا ذكره في غير هذا المقام
وقره وكناه والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك
كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم
الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان
وعن الحسن أشركوا الجن في طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن
الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم **سبحان الله
عما يصفون إلا عباد الله المخلصين** إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون
وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء
بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به **فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم**
الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه
بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها فإن قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم من
قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى
مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وأن كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله
فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم
أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين
على طريق الفتنة والإضلال إلا من هو ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله فإنك والكتاب إلى علي كدابغة وقد حلم الأديم
وقرأ الحسن صالُ الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف
فإن قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه
كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال
صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الإعراب على عينه كما حذف من
قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت
بإجراء الإعراب على العين **وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون** وما منا أحد

إلا له مقام معلوم فحذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من أرمى البشر
مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع
رأسه لنحن الصافون نصف أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش
داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم
غير المسلمين المسبحون المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام
الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين
مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤوهم منه وقالوا
للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله
لكفره لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنه من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة
ويجمعنا وإياه جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا
خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته أو أجنحتنا مذعنين خاشعين مسبحين ممجدين و
كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم
القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون
الله وينزهونه عما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه **وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد
الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون** هم مشركو قريش كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا أي كتابا من كتب الأولين
الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو
سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فسوف
يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه
مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أولهم وآخرهم **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون
وإن جندنا لهم الغالبون** الكلمة قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وإنما سماها كلمة
وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد
بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليه في الآخرة كما قال الله عز والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن
بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها
وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن
وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في
الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت **فتول عنهم حتى حين** فتول عنهم فأعرض
عنهم وأغض على أذاهم حتى حين إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي إلى يوم بدر وقيل إلى الموت
وقيل إلى يوم القيمة **وأبصرهم فسوف يبصرون** وأبصرهم وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة
فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة
الموعودة الدالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له

وتغيب عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد **أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين** مثّل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبّروا امرهم تدبيرًا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحًا فسميت الغارة صباحًا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرئ نُزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلعم يوم الفتح بمكة على شرفها السلام والتحية وعن انس لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **وتولّ عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون** واغاثني وتولّ عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدًا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معًا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء اشتملت السورة على ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلّوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. عن رسول الله صلعم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنًا بالمرسلين

سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق ص على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صادٍ بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى فانه يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مرّ في اول الكتاب ثم اتبعه القسم

محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسمًا بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك والذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كم اهلكنا من قبلهم من قرن** كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق **فنادوا** فدعوا واستغاثوا ومن الحسن فنادوا بالتوبة **ولات حين مناص** ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعًا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلًا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوض الضمير المحذوف ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل **وعجبوا ان جاءهم منذر منهم** رسول من انفسهم **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** ولم يقل وقالوا اظهارًا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقًا وهل كفر اعظم وجهل ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بمعجزاته كاذبًا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا ينفع غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته **اجعل الآلهة الهًا واحدًا ان هذا لشيء عجاب** روي ان اسلام عمر فرح به المؤمنون فرحًا شديدًا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسًا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلعم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال

عليه الصلاة والسلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمُعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرًا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال صلى الله عليه وآله وسلم قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدًا إنّ هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ عُجّاب بالتشديد كقوله مكرًا كُبّارًا وهو أبلغ من المخفّف ونظيره كريم وكُرام وكُرّام وقوله أجعل الآلهة إلهًا واحدًا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا في أنّ معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنّه قال أجعل الجماعة واحدًا في قوله لأنّ ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد الملأ أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد إنّ هذا الأمر لشيء يُراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إنّ هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يُراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو إنّ دينكم لشيء يُراد أي يُطلب ليؤخذ منكم وتُغلبوا عليه وأنْ بمعنى أي لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لا بدّ لهم من أن يتكلّموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمّنًا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنّهم قالوا امشوا أي أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّوا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسّك بها حتى لا تُزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم يمشون أن امشوا ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة في ملّة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل لأنّ النصارى يدّعونها وهم مثلّثة غير موحّدة أو في ملّة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنًا في الملّة الآخرة على أن يجعل في الملّة الآخرة حالًا من هذا ولا تسلّيته بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهّان أنّه يحدث في الملّة الآخرة توحيد الله إنْ هذا إلا اختلاق ما هذا إلا اختلاق أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا أنكروا أن يختصّ بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عمّا كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوّة من بينهم بل هم في شكّ من ذكري من القرآن يقولون في أنفسهم إمّا وإمّا وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لمّا يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشكّ والحسد حينئذ يعني أنّهم لا يصدّقون به إلا أن يمسّهم العذاب مضطرّين إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربّك العزيز الوهّاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمّن شاؤوا ويتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم ويترفّعوا بها عن محمد عليه السلام وإنّما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهّاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم ثمّ رشّح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما حتى يتكلّموا في الأمور الربّانية والتدابير الإلهية التي يختصّ بها ربّ العزّة والكبرياء ثمّ تهكّم بهم غاية التهكّم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرّف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميّزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوّة دون من لا تحقّ له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصّل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبّروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثمّ خسّأهم خساءة عن ذلك بقوله جندٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب يريد ما هم إلا جند من الكفّار المتحزّبين على رسل الله مهزوم مكسور عمّا قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره إلّا أنّه على سبيل الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك

وفيه رجاع الى مرضات الله قيل الاواب ايضا مطوق واجيب بانه غلب في التايب الى الله تع لا سيما في استعمال القرآن

القول العظيم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الأوتاد أصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده قال والبيت لا يبتنى إلّا على عمد ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتاد فاستعير لثبات العزّ والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظلّ ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشبح المعذّب بين أربع سوارٍ كلّ طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيّات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأنّ الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنّهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أوّلًا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثمّ جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأنّ كلّ واحد من الأحزاب كذّب جميع الرسل لأنّهم إذا كذّبوا واحدًا منهم فقد كذّبوهم جميعًا وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أوّلًا وبالاستثنائية ثانيًا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجّلة عليهم باستحقاق أشدّ العذاب وأبلغه ثمّ قال فحقّ عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حقّ عقابهم وما ينظر هؤلاء إلّا صيحة واحدة هؤلاء أهل مكّة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لأنّهم كالحضور عند الله والصيحة ما لها من فواق وقرئ بالضمّ ما لها من توقّف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عبّاس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحّة وفواق الناقة ساعة يرجع الدرّ إلى ضرعها يريد أنّها نفخة واحدة فحسب لا تُثنّى ولا تردّد وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب القطّ القسط من الشيء لأنّه قطعة منه من قطّه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قطّ لأنّها قطعة من القرطاس وقد فسّر بهما قوله تعالى عجّل لنا قطّنا أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنّة فقالوا على سبيل الهزء عجّل لنا نصيبنا منها أو عجّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فإن قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف أحدهما على الآخر قلت كأنّه قال لنبيّه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظّم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصّة داود وهو أنّه نبيّ من أنبياء الله قد أولاه ما أولاه من النبوّة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثمّ زلّ زلّة فبعث إليه الملائكة ووبّخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمّه الواصب ونقش جنايته في بطن كفّه حتى لا يزال يجدّد الندم عليها فما الظنّ بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزلّ فيما كُلّفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي ذا الأيد ذا القوّة في الدين المضطلع بمشاقّه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوّة والملك يصوم يومًا ويفطر يومًا وهو أشدّ الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيّد وذو أيد وذو آد وأياد كلّ شيء ما يتقوّى به إنّه أوّاب توّاب رجّاع إلى مرضاة الله فإن قلت ما دلّك على أنّ الأيد القوّة في الدين قلت قوله تعالى إنّه أوّاب لأنّه تعليل لذي الأيد إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق والإشراق وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأمّا شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولمّا

تشرق وعن ام هاني دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني
هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود ع وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل
في نفسي من صلوة الضحى شي حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم
صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لاجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله
تعالى يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تع فاخذتهم الصيحة مشرقين و
قول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فان قلت
هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح
من الجبال شيا بعد شي وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى شعر
الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيا والطير محشورة وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه
لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيا بعد شي جي به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا
الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيا بعد شي والحاشر هو الله عز وعلا لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة
ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك
حشرها وقرى والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها
كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا
بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه
وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تع سنشد
عضدك باخيك وقرى شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه
وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى
عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن بان قتلت ابا هذا
غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل
كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول
كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه
من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ومن فصل الخطاب وملخصه ان
لا يخطي صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين
الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار وان شيت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل
من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير
الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب عليه السلام هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل
بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده
فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي

ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر
وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان
بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم و
ظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب كان اهل زمان داود عليه السلام يسال
بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد
روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها
فساله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام فقيل له انك مع عظم منزلتك
وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول عنها بل كان
الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب
فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق
بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال الابتلاء فاوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك
اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها
لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت على كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي
امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة
حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين
بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث
بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فلا ينبغي
ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها
عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلم
ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت
لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا
فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة
الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان
تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك
مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة
فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا

جبك ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبؤ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان
تشاع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف
ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام
قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله هذان خصمان اختصموا
فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بغى بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء
في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان
التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبا الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت
التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان
النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت
بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه
من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره
في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته وروي ان الله بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس
ان داود جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم
ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه
خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط اي ولا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط
ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه
اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا
من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقتها اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي
وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال شعر قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر
ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني
في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا
للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا
وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح
به وللستر على داود والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة و
لخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في
محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة
فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا
ان تجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله شعر يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا [illegible] الخلطاء [illegible] الا ان [illegible] ابتدا [illegible]

فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا به قط بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت
هو تصوير للمسالة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة
وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا
في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود
تسع وتسعون نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد
في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فنوم الضحى قطيع الكلام وقوله عشي بوذلها تكاد تنغرف
لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف
الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال
والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك
الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القران لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال
داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك
هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير
مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد
والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون
لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده
واحد فما بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما
تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة يجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من شاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا
شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار
عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على
حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير
النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء
منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها
من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه
وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة
وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن
الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع
يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي
الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب و
رجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او
ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا

الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والثاني معسر ما له امرأة الا واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ويوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا كانهم ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد

قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافن الذي في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن الذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما يخدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما يكون في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه داود واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير حتى توارت بالحجاب والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق فطفق يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من الانبياء بامر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظيره ساق

قوله يتكفف اى يطلب الكفاف او يبسط كفه او يطلب كفا من الطعام والله اعلم

وسوق اسد وانشد ورى بالساق الكفا بالواحد عن الجمع لامن الالباس **ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** قيل فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحابة فما راعه الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه فى ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تاتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن فى بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكى ان سليمان عليه السلام بلغه خبر صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر فان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن فى ملكه فاخبر آصف بن برخيا سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسيه وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه فى كل شئ الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر فى يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبى الله ان ياذن فيه وان كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا **قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب** قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين فى تقديم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغى لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدى دونى **فان قلت** اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطى الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغى لاحد من بعدى وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا انه

قوله بنصب بضم النون المشهور بضم النون وسكون الصاد والبواقى شواذ

لا يقوم غيرى فيه مقامى سلبته مرة واقيم مقامى غيرى ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح فى الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التى علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغى لاحد من بعدى ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد منى من قال وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط فى طاعة الله فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولى الامر منكم **فسخرنا له الريح** وقرئ الرياح **تجرى بامره رخاء** لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه **حيث اصاب** حيث قصد واراد وحكى الاصمعى عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا **والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد** والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل فى حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين فى الجوامع والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على بن ابى طالب كرم الله وجهه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده **هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب** اى هذا الذى اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعنى جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهى العطاء اى فاعط منه ما شئت وامسك مفوضا اليك التصرف فيه وفى قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب وهذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب اى لا حساب عليك فى ذلك **وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه انى مسنى بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسى به من انواع الوصب وقيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب الاهل والمال **فان قلت** لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضى من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر فى القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب **قلت** لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب فى ذلك حيث لم ينسبه الى الله فى دعائه مع انه فاعله و

عليه الآه وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها **ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب** رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث** معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت له ذلك فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق **انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب** وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه **واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار** ابرهيم واسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما واله ابيك ابرهيم واسمعيل واسحاق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم

متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن **انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم **وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار** المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار** واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار **هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم **وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب** كأن اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم وقرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت **ان هذا لرزقنا ماله من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد** هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم **هذا فليذوقوه حميم وغساق** اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة **وآخر من شكله ازواج** ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ

وكذلك عذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي
حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير وَهَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ
مَعَكُمْ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول
فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا
معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لَا مَرْحَبًا بِهِمْ دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له
مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو
عليهم إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل
هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالو النار كلام الرؤساء وقيل هذا
كله كلام الخزنة قَالُوا أي الأتباع بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به
وعللوا ذلك بقولهم أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ والضمير للعذاب أو لصليهم فإن قلت ما معنى
تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم
ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم
المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم
لا جزاؤه فإن قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم
لا يتكلمون بما يكون هذا جوابا له قلت كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لإغوائكم إيانا
وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى
الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك قَالُوا رَبَّنَا
مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا قالوا هم الأتباع أيضا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ضعفا أي مضاعفا ومعناه
ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وعلا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي وَقَالُوا الضمير للطاغين مَا لَنَا
لَا نَرَى رِجَالًا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ من الأراذل الذين
لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا قرئ بلفظ
الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب
لها في الاستسخار منهم وقوله أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله
ما لنا أي ما لهم لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا
من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم
سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن
أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا
اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر أو
الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن
قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في قالوا

اديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر إِنَّ ذَلِكَ
لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ إن ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم أهل النار وقرئ
بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس فإن قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم
وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الأتباع
بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك قُلْ يا محمد لمشركي مكة إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ
ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا
إله إلا الله الْوَاحِدُ بلا ند ولا شريك الْقَهَّارُ لكل شيء رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ وأن الملك
والربوبية في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه أو قل لهم
ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه قُلْ هُوَ
نَبَأٌ عَظِيمٌ أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ لا يعرض عن
مثله إلا غافل شديد الغفلة مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملأ
الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم
وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالى إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أي لأنما أنا نذير ومعناه
ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ
ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن
أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن
وعن الحسن يوم القيامة فإن قلت بم يتعلق إذ يختصمون قلت بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ وإذ قال بدل من إذ يختصمون فإن قلت ما المراد بالملأ الأعلى قلت
أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فإن قلت ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله
وبينهم لأن الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن
التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الأعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك
فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام
التقاول على ما سبق فإن قلت كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجه أن يكون قد قال
لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فَإِذَا سَوَّيْتُهُ فإذا أتممت خلقه وعدلته وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي
وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فَقَعُوا فخروا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا
جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله
على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فإن قلت كيف استثنى
إبليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم
استثناء متصلا وكان من الكافرين أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق في جنس الأوقات
الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ

لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فان قلت ما وجه قوله خلقته بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادة الله منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وقرئ على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى يوم الدين كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله لا يستقدم ولا يستأخر قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره وقرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملأن والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قلت اجمعين تأكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم الضمير في عليه للقرآن او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه اي ما يأتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمه عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم

وعلى الثاني في ان الله يحكم بينهم **فان قلت** فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر **قلت** يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذابٍ اركض **ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون** والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدونهم موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين **ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار** المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله **لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء** يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه **هو الله الواحد القهار** فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان تكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن جملة الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء شركاء **خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى** ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب **شعر** تلوى الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها فان قلت** ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من التراخي **قلت** هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حوا من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة

ولم يخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا **وانزل لكم من الانعام** وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق** حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف **في ظلمات ثلث** والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون** ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره **ان تكفروا فان الله غني عنكم** عن ايمانكم وانتم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان **ولا يرضى لعباده الكفر** رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة **وان تشكروا يرضه لكم** اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها **ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه** خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس **نسي ما كان يدعو اليه من قبل** اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى **وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله** وقرئ ليضل بفتح اليا وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيله واضلاله عن سبيله واللام للنتيجة قد يكون غرضا في الفعل وقد يكون غير غرض وقوله **قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار** من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ماويهم جهنم **امن هو قانت آناء الليل** قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب

عليه من القناعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه
دعاء المصلي قائماً ساجداً وقائماً حالان وقرئ ساجدٌ وقائمٌ على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقرئ ويحذر عذاب الآخرة
وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم
لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه
أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة
المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمنٍّ وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية إنما يتذكر
أولوا الألباب وقرئ إنما يذّكّر بالإدغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة
أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فإن قلت إذا علق الظرف
بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم
كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفياً ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين في الإحسان
البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة
وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً
إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل هي أرض الجنة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب الصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم
وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير
مكيال وبغير ميزان يغرف لهم غرفاً وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي إليه حساب الحُسّاب ولا يعرف وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون
أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب
عليهم الأجر صباً قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون
أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل
أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقاً
فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء
والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين
ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من
ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه
بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه
أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم
إلى الإسلام إسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً ولا تكون صفتي

صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب
إني أمرت أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت
عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه قل الله أعبد مخلصاً له ديني فإن قلت ما معنى
التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصاً له ديني قلت ليس بتكرير لأن الأول
للإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره
بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه
وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا
الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم
لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وأهليهم يوم القيامة وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا
أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين
الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة
في قوله ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدّرها بحرف التنبيه ووسّط الفصل بين المبتدأ
والخبر وعرّف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ومن تحتهم
أطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ذلك العذاب هو الذي يتوعد
الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة
بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم
أولوا الألباب الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين أطلقت
على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدراً وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن
البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق
على غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي
البشارة بالثواب تتولاها لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة
رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا
وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا
نقاداً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذلك المباح والندب حراصاً على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على
السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلاً أو أمارة وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص
والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم

وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه. ومن الوقفة
من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون القول يرفعه على الابتداء وخبره اولئك. أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت
تنقذ من في النار اصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء
ثم دخلت الفاء التي في اوله للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه و
الهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة
ووجه آخر وهو ان تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فانت تخلصه أفانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت
تخلصه لان أفانت تنقذ من في النار يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد ان الله هو
الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا
تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت
معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير
تفاوت بين العلو والسفل وعد الله لا يخلف الله الميعاد وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك
ألم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه
ينابيع في الارض فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم و
غيرها ثم يهيج فتراه مصفرا يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب
ثم يجعله حطاما فتاتا ودريا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع
حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحياة الدنيا
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفارا أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه أفمن
عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج
الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور
القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت
قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من ذكر الله من اجل ذكره
اي اذا ذكر الله عندهم او آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق
بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت
عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه
حتى ابعده عن العطش اولئك في ضلال مبين عن ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة
فقالوا له حدثنا فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم
لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه
وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق

في مشابهة بعضه بعضا فكان متشابها لان تشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق و
تناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا
لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه
واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا
يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر
كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح ذلك
لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك
تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني
صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة
التثنية والتكرير قلت النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن
ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه
في صدورهم تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف
القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف
ووقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى
انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة
فان قلت ما وجه تعديته بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت او اطمأنت الى ذكر الله لينة غير
منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرأفة ورحمته
هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤوفا رحيما فان قلت لم ذكرت
الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل
تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا
بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ذلك اشارة الى الكتاب وهو
هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين
ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه
وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولياءه ورآهم
خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه
لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من
المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه

الغفلة فلا يهتدى اليه الا ان يتقى الناس لوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وتقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت فى ابى جهل بن هشام وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ من حيث من الجهة التى لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مامنهم فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ والخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غَيْرَ ذِي عِوَجٍ غير ذى عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احديهما نفى ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعانى دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذى عوج من الاله وقول غير مكذوب لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير فى امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد فى حاجاته وفى آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اى هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعى كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا فى ذلك ويتغالبوا كما قال الله تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه فى عاجله مؤمل للثواب فى آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا لرجل وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهى مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اى ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اى وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقى به او سعد فان المراة والصبى قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منكم قوة ويجوز فيمن قرا مثلين ان يكون الضمير فى يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذى لا شريك له دون كل معبود سواه اى يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اى سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حى فى نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى فى قوله انك ميت وانهم ميتون

انك واياهم وان كنتم احياء فانتم فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان ثُمَّ إِنَّكُمْ ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفى اهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعى قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا وعن ابى العالية نزلت فى اهل القبلة والوجه الذى يدل عليه كلامه تعالى هو ما ذكرت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذى جاء بالصدق وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ فاجاءه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين اشارة اليهم وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الا ان هذا فى الصفة وذلك فى الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفى قراءة ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به اى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذى لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ فان قلت ما معنى اضافة الاسوإ والاحسن الى الذى عملوا وما معنى التفضيل فيه قلت اما الاضافة فما هى من اضافة افعل الى الجملة التى يفضل عليها ولكن من اضافة الشىء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان واما التفضيل فايذان بان الشىء الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوإ وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذى عملوا جمع سوء أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ادخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شىء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن

للرجعة في هذا تهكم بهم لانهم خوفوه مما لا يقدر على نفع ولا ضر اليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت الامم نحو ذلك فكفاهم الله
وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم
في الشدائد وكاف لهم مهمهم وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية
كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم
من قوله ويجزيهم اجرهم ويخوفونك بالذين من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه
تهديد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسألة
في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم
يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة
من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته قل حسبي الله حتى اذا القمهم
الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزلت قل حسبي الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد
قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر
وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث
اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها
وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما
للمكان فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله
لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف
توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث
ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له
وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا
وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع
نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار
الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة
اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كانها ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت
في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا

يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي يكون معها الحياة والحركة
ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس
الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه
والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك
ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه
افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذوا قريش والهمزة للانكار
من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى
قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له
مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا قل اولو كانوا معناه ايشفعون
ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا
عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض له ملك السموات والارض تقرير
لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون
فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه
ترجعون يوم القيمة ولا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة واذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا
ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى
هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد
بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه
لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان
يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض
في اديم وجهه فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجأوا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة شكيمتهم في الكفر والعناد قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فقيل له ادع
الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله
وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه اوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم
يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب

يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ما لم يكونوا يحسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو
نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفى لهم والمعنى ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفين الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع
محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم
سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله
ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا
خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون التخويل مختص بالتفضل
يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي
او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به
الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان
الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لها كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان
لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني
فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان
قلت ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة
عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم
ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض
بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه
من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل يا رب لا يحكم
بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول
لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها
واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت
من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا
التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد
كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان
ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله
قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله
على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها
فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا

وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع
ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم ولم يعلموا ان الله لا قابض ولا باسط الا الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله قرئ بفتح النون وكسرها وضمها
ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا
له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا
لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئته تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت
في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال
رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات انه هو الغفور الرحيم وانيبوا
الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واسلموا له واخلصوا له العمل انما
ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل ان
يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم
ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان
يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى شعر
ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا
ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير يا حسرتى على ما فرطت في
جنب الله وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان
وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري شعر
اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان
الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول
الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت
هذا من جهتك فمن ثم لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى
فرطت في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في
الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله
وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت
لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال

فرطت وانا ساخر اى فرطت فى حال سخرى وروى انه كان فى بنى اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه فى الفجور فاتاه ملك الموت فى الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى فى طاعة الشيطان واسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره فى القرآن أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ لو ان الله هدانى لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحى فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحى فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وانما يقول هذا تحيرا فى امره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتى رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرى بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على احدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان تقع بلى جوابا لغير منفى قلت لو ان الله هدانى فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ وجوههم مسودة جملة فى موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وقرى ينجى وينجى بِمَفَازَتِهِمْ بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وقرى بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف واما على الثانى فمحله النصب على الحال اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ له مقاليد السموات والارض اى هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك

وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربى المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجى الله الذين اتقوا اى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق للاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شىء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شىء فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ افغير الله منصوب باعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى اعبد لانه فى معنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد والاصل تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى الا ترى انك تقول افغير الله تقولون لى اعبده وافغير الله تقولون لى اعبد فكذلك افغير الله تأمروننى ان اعبده وافغير الله تأمروننى ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ اعبد بالنصب وقرى تأمروننى على الاصل وتأمرونى على ادغام النون وحذفها وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وقرى ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء اى ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحى اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اى كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعنى جوابى القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا يعنى على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعى اليه ووجود الصارف عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبط العمل ويحتمل ولتكونن فى الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول به عوضا منه وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرى بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكدا قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعة اي ذات اكلة وذات جرعة تريد انهما لا يفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للوقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم البيان لم يعرض عليه هذا التأويل ليتلقى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فرع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون اي ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قد استعار الله النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليوم اليهم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتانا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موضعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤوها جاؤوها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها

موصوف بصفتي انا ابعد لمحوائك من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الآن يعيب الله الكريم توبة نصوحا تمحى انفسنا من درن الذنوب ونميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت تكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على حد واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق ونزل كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوه وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنيفة وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير قرئ بامالة الفتحة وتفخيمها وبتسكين الميم وبفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف والنصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل والتوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان تكون مثله معارف قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذفت الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام

ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يكون هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر ايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال وورآءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقوى لا يغررك كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء

هولاء لان حلة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وعن ابن عباس العرش بضم العين فان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح كذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم وقهم السيئات اي

العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما فائدة استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح وصلح فهو صالح وذرياتهم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله فاعترفنا بذنوبنا فان قلت كيف يترتب هذا القول فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا هو الذي يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء رزقا والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين

كاظمين قدم عليه وهو خبر بعد خبر ك قوله حميم الكاظم اى حابس الغلم والوحو وكل ما يخرج من الجوف ٥ سم

فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره المشركون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم
رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة اخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذي يريكم آياته او اخبار مبتدا محذوف
وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة
الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن
رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح
من امره الذي هو سبب الحياة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال او من
كان ميتا فاحييناه على من يشاء من عباده لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي
لتنذر الروح لانها تنذر او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول يوم التلاق يوم القيامة
لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود
لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء
برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله
لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا
يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد
واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي
ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله
حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل
اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين الآزفة
القيامة سميت بذلك لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند
ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا
ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأى ... سبئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال
عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان
القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي
هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون
ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين

في نفسه بين يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولم يناسب لان في الاول المراد به العين و في الثاني المعنى

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة
نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي
الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده
وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر
يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء
هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم
واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان
الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم
من فضله وعن الحسن لا يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر
هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء
الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت
على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح
علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك
قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع
وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور
لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي
يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق
الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي
الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو
السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصرون ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ
يدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين
معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف
واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم
وما يوصف بالشدة من آثارهم او ارادوا وكثيرا آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ذلك بانهم
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ وسلطان مبين
وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ
مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن
يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل
آخر وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد أن هذا قتل غير القتل الاول
في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من
خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وقد كان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام
واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان
كيده ضائع في الكرتين جميعا وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ذروني اقتل موسى كانوا
اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله
لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن
معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل
كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس بانه هو الذي يثل عرشه
ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه
منه ومن دعوته ربه فكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا
ما في نفسه من هول الفزع إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون
الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ والفساد في الارض التقاتل
والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال
اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل
الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوبا اي يظهر
موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما سمع موسى عليه السلام بما
اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ بالله الذي هو ربي وربكم
وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال مِنْ كُلِّ
مُتَكَبِّرٍ من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد
بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه
وعسفه وقال لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء
وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت
ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ
رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ
الَّذِي يَعِدُكُمْ رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى

سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب
وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يذلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول
فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول لان
يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في
ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من
عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم
ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول
من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد البينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة
التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك
صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله
لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول
ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقالة غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين
فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر
الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب
على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ وعن ابي عبيدة
انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان
صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا
كذابا لما هداه الله النبوة ولما عضده بالبينات وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اشد
من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا انت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك
فقام ابو بكر فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته
بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر
قاله ظاهرا يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ظاهرين
في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا
امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا
وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا
أَرَى ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه
غير صواب وَمَا أَهْدِيكُمْ بهذا الرأي إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم
الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان
على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى لكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر

احدا لم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذلك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل **وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم** مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وساير المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم **فان قلت** بم انتصب مثل الثاني **قلت** بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة **وما الله يريد ظلما للعباد** وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد** التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب **يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد** تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات** هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات **فما زلتم في شك مما جاءكم به** فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين **حتى إذا هلك** قبض **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا** حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال **كذلك يضل الله** اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله **من هو مسرف** كل مسرف في عصيانه **مرتاب** في دينه **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** الذين يجادلون بدل من من هو مسرف **فان قلت** كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد **قلت** لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه قال كل مسرف **فان قلت** فما فاعل كبر **قلت** ضمير من هو مسرف **فان قلت** اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون **قلت** بلى هو جمع في المعنى فاما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع

اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظاير ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكباير وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وعلا فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا** قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه **فان قلت** ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات **قلت** اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني **وكذلك** ومثل ذلك التزيين وذلك الصد **زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل** والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل والله على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل **وما كيد فرعون إلا في تباب** التباب الخسران والهلاك وصد مصدرا معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار** قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها لا يتجاوز الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة

فسنة لا تفاضل وقرئ يدخلون ويُدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء
السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت
من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء في الثالث دون الثاني قلت
اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم
وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة وهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه
فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابرهيم عليه السلام في نصيحة ابيه
يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطى الداخل
عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا
ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له ما ليس لي به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال
واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل
لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته
او بمعنى كسب من قوله لا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك
الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان
لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد
انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا
يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك
فينقلب حقا وروي عن العرب لا جُرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بُدّ وفُعْل وفَعَل اخوان كرُشد
ورَشَد وعُدم وعَدَم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ليس له دعوة معناه
ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو
العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان
حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء
وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة
دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او
سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان مردنا الى الله وان المسرفين هم
اصحاب النار المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين
غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم
بعضا وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون سوء
العذاب ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار يعرضون عليها النار بدل من سوء
العذاب او خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون

علينا

٥٠٨

علينا وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف
اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب
على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك فالله اعلم بحالهم فاما ان
يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة فاذا قامت الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب
جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه
انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم
لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى
ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه
ويجوز ان يهم فرعون لما انذر المسلمين بالنار من قول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ
ويعذبهم بالنار فحاق بهم مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا
انا كل فيها وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض عن المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت
هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما
تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب لخزنة
جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل للذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل
ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم
انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم
الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله
فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى اولم
يك الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله
لها الدعوات قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك
ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين
الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف
يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض
الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد
الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد عليه الصلوة والسلام لكونهم شهداء على الناس يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها

بنس وانتبش وابش بمعنى نبش ايضاً فالله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بالملائكة وانهم يوماً والمعذرة لم تكن مقبولة كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون **ولهم اللعنة** البعد من رحمة الله **ولهم سوء الدار** اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وفيه تعريض بقوم ولا يقع بالتاء والياء **ولقد آتينا موسى الهدى** يريد به جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع **واورثنا بني اسرائيل** وتركنا على بني اسرائيل من بعده **الكتاب** اي التورية **هدى وذكرى** ارشاداً وتذكرة واصابهما على المفعول له او على الحال **لاولي الالباب** واولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه **فاصبر ان وعد الله حق** يعني ان نصر الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصر على فرعون وجنوده وابقاء آثاره هداية في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملكك ما بلغ مشارق الارض ومغاربها فاصبر على اذى قومك من القضاء فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق **واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار** واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلوتا العصر والفجر **ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر** الا تكبر عن الحق وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسداً وبغياً ويدل عليه قوله لو كان خيراً ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال **ما هم ببالغيه** اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفى ان يبلغوا متمناهم **فاستعذ بالله** فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك **انه هو السميع** لما تقول ويقولون **البصير** بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم **لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون** **فان قلت** كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله **قلت** ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقهما فانهما خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا يتأملون ولا ينظرون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم **وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون** ضرب الاعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالتاء والياء والتاء اعم **ان الساعة لآتية لا ريب فيها** لا بد من مجيئها لا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** لا يصدقون بها **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله **ان الذين يستكبرون عن عبادتي** والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة

من افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبياً مرسلاً كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد **سيدخلون جهنم داخرين** صاغرين **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون** مبصراً من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النار **فان قلت** لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولاً لهما فيراعى حق المقابلة **قلت** هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكناً والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز **فان قلت** فهلا قيل لمفضل او متفضل **قلت** لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة **فان قلت** فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس **قلت** في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار **ذلكم** المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو **الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو** اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له **فانى تؤفكون** فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصباً على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء **الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** هذه ايضاً دلالة اخرى على تمييزه بافعال خاصة وهي ان جعل الارض مستقراً والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيواناً احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم لقوله في احسن تقويم **هو الحي لا اله الا هو فادعوه** فاعبدوه **مخلصين له الدين** اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين **الحمد لله رب العالمين** وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين **قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين** **فان قلت** اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه **قلت** بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكراً لادلة العقل والسمع جميعاً وانما ذكر ما يدل على الامرين لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية **هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلاً مسمى**

ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك ليكونوا واما
لتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا
بكسر الشين وشيخا على التوحيد لقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس
من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي
يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل
هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال
فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون اذ الاغلال في
اعناقهم فان قلت وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس
المعنى على اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى
على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون في الحميم بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على
الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال
في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون في النار يسجرون
من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون
بالنار مملوة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بك
ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع
بهم فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكون
معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا
لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم
بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا
شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم
حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود
فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين
كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في مسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء
فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون فاما نرينك اصله
فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما
تكرمني اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان يعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون
فقولك اما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي
هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره

فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم
القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم
مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل
بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وعن علي عليه السلام ان الله بعث
نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليك وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل
وما كان لرسول لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في
الاتيان بها فاذا جاء امر الله قضي بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيمة وخسر هنالك المبطلون
المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا الله الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى
الفلك تحملون الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع
او هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ
الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة
الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون
على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة
لمن يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله عليها ويزاوجه ويريكم آياته فاي آيات الله
تنكرون فاي آيات جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث
في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم
بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او مضمنة معنى الاستفهام
ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون فرحوا بما عندهم
من العلم فيه وجوه ستة منها ان يريد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا
نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما
لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا
علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا
حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا
بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها
ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي
فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل

لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال الله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والكف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس **فان قلت** اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم **قلت** هو من كان في نحو قوله وما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم **فان قلت** كيف ترادفت هذه الفاءات **قلت** اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له ٥

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا **كتاب فصلت آياته** فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معاني مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد **قرآنا عربيا** قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا **لقوم يعلمون** اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه **فان قلت** بم يتعلق قوله لقوم يعلمون **قلت** يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات **بشيرا ونذيرا** وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف **فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب** والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وبين ما هم عليه وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي **فاعمل** على دينك **إننا عاملون** على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون **فان قلت** هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة **قلت** نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا ولجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها **فان قلت** هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعنى **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد** **فان قلت** من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة **قلت** من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما اوحي الي ان الهكم اله واحد **فاستقيموا إليه** فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء **واستغفروه** وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** **فان قلت** لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة **قلت** لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا** ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين **ذلك** الذي قدر على خلق الارض في يومين هو **رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها** رواسي جبالا ثوابت **فان قلت** ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته **وبارك فيها** واكثر خيرها وانماه **وقدر فيها أقواتها** ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها **في أربعة أيام سواء للسائلين** فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان.

خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام
يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلث الجر على الوصف والنصب على سوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء
فان قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال كم خلقت الارض وما فيها او بقدر
اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج
فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين
علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام
فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان
على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها
لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه
قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة
ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما
فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي
يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او
ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من الخطاب
والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فان
قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا
غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل
والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع
كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه
الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وينصره قراءة من قرا آتيا وآتينا من المواتاة
وهي الموافقة اي لتواتِ كل واحدة منكما اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيئتي ولا
تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما
تقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او
مكرهتين فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن سبع سموات في يومين
يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحو اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع
سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة
وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال
في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان فان قلت لو قيل خلق الارض في يومين كاملين

وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة ايام سواء قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافخم
واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص
وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب واوحى في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك
او شأنها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان
يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا بعد ما
تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فحذرهم ان تصيبهم
صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم
اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى عن الشيطان لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه
حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم
بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم
الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم
بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من
بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جاؤوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان لا تعبدوا الا الله ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او
مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا مفعول
شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ انتم بشر
ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه
تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يروى ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد
فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك
الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل
صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما
نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا
ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه و
ناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام واستولوا
في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم

هو أشد منهم قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض في ايام نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون وقرئ لتذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر واما ثمود قرئ بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والآخرين يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح

قد ذكر ان اضافة اسوأ ليس من اضافة افعل التفضيل الى الجملة التي تفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه كقوله

وقيل هي كناية عن الفروج اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سر مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وان يستعتبوا وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلين اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في جملة آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال شعر عن اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر اسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء اعداء الله النار ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى يستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان

الجزاء وخبر مبتدأ محذوف **لهم فيها دار الخلد** فإن قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها **جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون** أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو **وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان أخلصوا العمل وعن علي عليه السلام أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا **تتنزل عليهم الملائكة** عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم **ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم** أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** ممن دعا إلى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك

رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فإن قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس التي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك ولا تطعه **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن فإن قلت أين موضع السجدة قلت عند الشافعي تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** فإن استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير** الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي ارتفعت لأن النبت إذا همّ أن يظهر ارتفعت له الأرض **إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير**

يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يُلحدون ويَلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي كانوا لتعنتهم به يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما قل هو اي القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر فان قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وهو عليهم عمى وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله فعميت عليكم اولئك ينادون من مكان

بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فلنفسه نفع ونفعها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك وما منا من احد يشاهدهم وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء لا اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا يايئس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ونحو قوله وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون ولئن رجعت الى ربي فان كانت على طريق التوهم ان لي عنده للحسنى ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون

امرالهم بإيلاء الناس وتطلبًا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه** هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم **وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى **فإن قلت** حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه **قلت** فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد** اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل **أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة **ألا**

إنهم في مرية من لقاء ربهم وقرئ في مرية بالضم وهو الشك **ألا إنه بكل شيء محيط** عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحي اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول **فإن قلت** فما رافع اسم الله على هذه القراءة **قلت** ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم **فإن قلت** فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون **قلت** يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار والعزيز الحكيم صفتان والظرف خبر **له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم** وقرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السماوات يتفطرن منه **فإن قلت** لم قال من فوقهن **قلت** لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس ان يقال ينفطرن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين **فإن قلت** كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم **قلت** قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لاوليائه وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما **فإن قلت** قد فسرت قوله تكاد السماوات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما **قلت**

اما على احدهما فكانه قيل يكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون من ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت عليهم بوكيل وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ام اتخذوا من دونه اولياء معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق

لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأن هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في الاحكام الشرعية قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السموات والارض قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على نحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم وقرئ ويقدر فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء

ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلمًا ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين ونحوه قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من إقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي إليه يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجدي عليهم لطفه ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم وما تفرقوا يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى وهي عدة التأخير إلى يوم القيامة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك منه مريب لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبًا فادع إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرت كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب بأي كتاب صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقًا وأمرت لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلي الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة وإليه المصير فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام فإن قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد داحضة باطلة زائلة الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان الكتاب أي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية

معنى الدقة في اللطف تعالى عن صل اليه اى يلطف في الوصول اليه وقوله منه كل اى اشيا مسدا منه...

ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسًا بالحق مقترنًا به بعيدًا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحريم والتحليل وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة قريب الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب أو لعل مجيء الساعة قريب فإن قلت كيف توفيق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان قلت لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته فإن قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو أحد منهم من البر إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولدًا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثًا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئًا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله معنى الهمزة في أم التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرع لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم بهذه الملابسة وتارة إلى الله تعالى ولما كانت سببًا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيرًا من الناس ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفًا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفًا شديدًا أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير

يقعة فيها وأنهم مما عندهم منصوب بالظرف لا بيشاءون ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر
من بشّره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى
الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي أنه اجتمع المشركون في مجمع
لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون
استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم
فكانت صلتهم لازمة لهم في المودة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين
هم قرابتكم ولا تؤذوهم فإن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله إلا المودة في القربى
قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان
حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك
المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد
في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون
رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى
أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة وروي أن الأنصار
قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله
بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك
فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله
فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا
له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على
حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى
بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره
مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة
الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله وبينهم قرابة فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى
إلا أن تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم
قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أتت
الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك
نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا

الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها
حسنا عن السدي أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت في أبي بكر الصديق ومودته فيهم والظاهر
العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا
أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد أي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى إن الله غفور شكور الشكور
في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب أم يقولون افترى على الله كذبا
أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي
هو أعظم الفرى وأفحشها فإن يشأ الله يختم على قلبك فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى
تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه
استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون
بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد
أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته ثم قال ومن عادة
الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه أو بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني
لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ويجوز أن يكون عدة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم إنه عليم بذات الصدور إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر
على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب
لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم فإن قلت إن كان قوله ويمح الله
الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله ويدع الإنسان
بالشر وقوله سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال
قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه
عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود
لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر
أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ
من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة
فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض
الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت
الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ بالياء والتاء أي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويستجيب الذين أي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وإذا كالوهم أي يثيبهم
على طاعتهم ويزيدهم من فضله على الثواب تفضلا أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا

ويزيدهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لبغوا من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمى ينبت بيننا وبين بنى رومان نبعا وشوحطا يعنى انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغى والتغابن او من البغى وهو البذخ والكبر اى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها ولكن ينزل بقدر ما يشاء بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة فى ان البغى مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته فى كل شىء كانه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة وهو الولى الذى يتولى عباده بالاحسان الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وما بث يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشىء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد ان يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء وقال الشاعر

واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا

وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فى مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفى مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض ويعفو عن كثير

فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهولاء اذا اصابهم شىء من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر ومن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل اوان وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى اول خطوة وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم تثن العقوبة عليه فى الآخرة وعنه عليه السلام هذه ارجى آية للمؤمنين فى القرآن وما انتم بمعجزين فى الارض بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير من ولى متولى بالرحمة ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام الجوار السفن وقرئ الجوارى كالاعلام كالجبال قالت الخنساء

كانه علم فى راسه نار

ان يشأ يسكن الريح فيظللن وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر او يوبقهن بما كسبوا او يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا فان قلت فما وجوه القراءات الثلاث فى ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه فى كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو فى قوله ان تأتنى آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله

والحق بالحجاز فاستريحا

فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه فى الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص من محيص من عقابه فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى بكر مال فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم

وَالْفَوَاحِشَ والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ هم يغفرون اى هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ واتموا الصلوات الخمس وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم لا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت أهم محمودون على الانتصار قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسيره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ يبتدئونهم بالظلم وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون وَلَمَنْ صَبَرَ على الظلم والاذى وَغَفَرَ ولم ينتصر وفوض امره الى الله إِنَّ ذَلِكَ منه لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ ومن يخذل الله فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ اي يبتدئ من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف

خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعدما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ انما تستتبع فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين إِنَّهُ عَلِيمٌ بمصالح العباد قَدِيرٌ على تكوين ما يصلحهم وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب والمنام كما اوحى الله الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله ان قد تأمروا بابل ابي اوفى فقمت على رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته

مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض الخواص وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا او الا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية ﴿انه علي﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حكيم﴾ يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا ﴿وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسب بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلاة لانها بعض ما يتناوله الايمان ﴿ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور﴾ من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له ﴿سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك وهي تسع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان يعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت

اي اضربن بحذف النون الخفيفة وختار قوما يطرق بالسيل وهو بدل اشتمال من الهموم والوصل
اي قاله شيخي فان شمس الائمة قال كذا مع ان الفلان لم يجر مثل انه شمس الائمة وما قال الشيخ ولكني ذكرته

آياته ﴿وانه في ام الكتاب﴾ وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ﴿لدينا لعلي﴾ على رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا ﴿افنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة شعر اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بواجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ﴿ان كنتم قوما مسرفين﴾ ان كنتم لان كنتم وقرئ اذ كنتم واذ كنتم فان قلت كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له ﴿وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون﴾ وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿فاهلكنا اشد منهم بطشا﴾ الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عنهم ﴿ومضى مثل الاولين﴾ اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾ فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بقدر بمقدار يسلم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا ﴿والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون﴾ والازواج الاصناف ما تركبون اي تركبونه فان قلت يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان تذكروها في قلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون

وكبرناك وهللناك وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا امرتم قال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا تقرن به الصعبة وقرئ مقرّنين والمعنى واحد **فان قلت** كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون **قلت** كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة **وجعلوا له من عباده جزءا** متصل بقوله ولئن سألتهم اي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزأت حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ جزؤا بضمتين **ان الانسان لكفور مبين** لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله **ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين** ام المنقطعة والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور **واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم** بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا

له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما نأخذ ما اعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر **او من ينشأ في الحلية** ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان **غير مبين** ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشّأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا واناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث **اشهدوا خلقهم** وقرئ أأشهدوا وآأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى العلم بذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن هذه المشاهدة **ستكتب شهادتهم** التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم **ويسألون** وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة **فان قلت** ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين **قلت** لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين وتشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله تعالى **ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون** معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا **فان قلت** ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا

يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله سيقول الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم أم آتيناهم كتابا من
قبله فهم به مستمسكون الضمير في من قبله للقرآن او للرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله
بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا
فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل قالوا بل لا حجة لهم يتمسكون بها
الا قولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة
الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل
على نعمة وحالة حسنة وإنا على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما
أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مقتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين
وتكاليفه قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى وإذ قال
إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء وبراء بوزن كريم وكرام
براء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك
والخلاء منك إلا الذي فطرني فإنه سيهدين فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه
استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال انني
براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما
ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم
والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في مما تعبدون
موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر
كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها كلمة وجعل ابرهيم صلوات الله
عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال
فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها
ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت
هؤلاء وآباءهم يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات
وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات
البينة ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد
منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته
في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك

عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعمة وجب ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن
اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ
المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا
سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد
حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم
عند مجيء الحق ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة
الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في
تخير محمد عليه الصلوة والسلام من اهل زمانه بقولهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وهي الغاية في تشويه صورتهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن
المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد يا ليل
وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا
القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا
رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر فحكموا
ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به واراد بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا
وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب
من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة
الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم
وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم
يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي
وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا
ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في
تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة
الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى الحلول في دار السلام ثم قال ورحمة ربك
يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت
معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم
الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها
ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة

من العرب الوقف على اجراء الاسم الصحيح والمعتل في حالة النصب بالالف والله اعلم بالصواب

حد لا وسمناها بفتحة الله واذا لم يتسلّها انا ولها من امنا وليس له ان يقسمها بل يفتح الله فانه تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد ثم الذين يكونوا صفة الرحمة بنوه تناولهم وهو عز وعلم فيه عما تنزعه الى العالم بشرعه **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحياة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة اي ما هو بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **فان قلت** فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام **قلت** التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين وكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان **فان قلت** لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم **قلت** لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا **حَتَّى إِذَا جَاءَنَا** العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه **قَالَ** لشيطانه **يَا لَيْتَ بَيْنِي**

وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران **فان قلت** فما بعد المشرقين **قلت** تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما **وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من هو مثله في نكبته ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء اعوزهم التسلي عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه **فان قلت** ما معنى قوله اذ ظلمتم **قلت** معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا على الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وانه لا يقدر على ذلك الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ما في قوله فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان نجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الآخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر باعدائه الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره **وَإِنَّهُ** وان الذي اوحي اليك **لَذِكْرٌ** لشرف **لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض

من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها لم تجبك جوابا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين﴾ ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية ﴿اذا هم منها يضحكون﴾ اي يهزؤون منها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجأة قلت لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم ﴿وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها﴾ فان قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت اختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قرأتهم رجلا رجلا فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلها فيه التقارب اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة شعر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ﴿واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يأمره ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك ﴿وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون﴾ وفي قراءة ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم ويكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون﴾ ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال أليس لي ملك مصر

وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر المبتدأ وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قرأها قال لأولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ﴿ام انا خير﴾ ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليه من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال انا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ اي ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ﴿ولا يكاد يبين﴾ الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء ﴿فلولا القي عليه اسورة من ذهب﴾ اراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ﴿او جاء معه الملائكة مقترنين﴾ اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما متقارنين يقترن بعضهم ببعض ليعضدوه ويعينوه لما وصف نفسه بالملك والعز وقارن بينه وبين موسى عليه السلام ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساورة جمع اسوار وهو السوار فاساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ﴿فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين﴾ آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم ومثلا وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة

تعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فانزل الله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله
ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش
منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا بجدله وضحكا بما سمعوا منه اسكات رسول
الله صلى الله عليه بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون
بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا ءآلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك
ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه لك اي ما ضربوا هذا المثل
الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المين بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون
لداد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله انكم وما تعبدون ما يريد به الا الاصنام و
كذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة
الا ان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم
مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود
غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على
ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن
اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله ءآلهتنا خير ام هو على هذا القول
تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني
ءآلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة
عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى
عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم
بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله
وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله و
عبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب
النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل
ان هو الا عبد وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه وجعلناه مثلا حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير
سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا
منكم ولولدنا منكم لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفون
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا
ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من الاجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه السلام

لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة
وقرئ للعلم وقرأ ابي لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمي ما تعلم به علما وفي الحديث ان عيسى صلوات الله عليه ينزل
على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا
من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها من المرية
وهو الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله ان يقوله هذا صراط
مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن ولا يصدنكم الشيطان انه لكم
عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة
يعني الانجيل والشرائع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه
مما يعنيهم من امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود
والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير
فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون
الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون
وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير
ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا
ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف
وعقبة بن ابي معيط يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي
لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس
منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي
اثره على وجوهكم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم
لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون

وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة المبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون منها تأكلون من للتبعيض اي لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم ضمير فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك وقرأ علي بن ابي طالب وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا ربك ليمتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم قال انكم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم بالحق ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه و يشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدهم كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وكانوا يتناجون فيما بينهم في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة لديهم عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا

عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ثم نزه نفسه موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسوله صلى الله عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وذاهب في دعوتهم كل مذهب وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ترجعون وقرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله

وعنده علم الساعة وقيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمروٍ وحمل الجرّ على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوّز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا ربّ او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا من ايمانهم وودّعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلّم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية للرسول ص والضمير في وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم الواو في والكتاب المبين واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من كتب لهم البراءة كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب الله النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصرّ على الزنا وما اعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان

فسّرهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثير الخير لما ينتج الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي نفرق بالنون كل امر حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امرا من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم الاولين بالجرّ بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرّون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاوته ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم ردّ ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر

عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون يوم تأتي السماء مفعول به ارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيمة فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى ما بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرئ فتنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم ومعنى

الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق وكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى عليه السلام اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم أن أدوا إلي عباد الله هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي إني لكم رسول أمين وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وأن لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله إني آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ان ترجموني ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فاعتزلوني يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني اي فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ان هؤلاء بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى شعر

تمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

اي ساكنا على هيئته اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا إنهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ما لمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناهم او في موضع الرفع على الامر كذلك وأورثناها قوما آخرين قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والأرض اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله م

ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمر
وقالت الخارجية شعر أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل و
التخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض
ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والأرض فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا
بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء والأرض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت
آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون
من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم ويجوز أن يكون
المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب
فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين
أي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في إسرافه أو عاليا متكبرا كقوله إن فرعون علا في الأرض ومن
المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم على علم على العالمين الضمير في اخترناهم لبني إسرائيل
وعلى علم في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم
يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم
وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى
وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لأن الله يبلو بالنعمة أو اختبار
ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما
نحن بمنشرين هؤلاء إشارة إلى كفار قريش فإن قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا
قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله إن هي إلا
موتتنا وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى قلت معناه والله
الموفق للصواب أنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله
وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تتعقبها
حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا
للموتة الأولى خاصة فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى يقال أنشر الله الموتى ونشرهم
إذا أحياهم فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين فأتوا بآبائنا خطاب للذين يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين أي إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى
يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر
لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون أهم خير أم قوم
تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان

إذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم وعنه عليه
السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير هذا قبر
رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون
كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لأنه يتبع الشمس فإن قلت ما معنى قوله أهم خير ولا خير في الفريقين قلت
معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس أهم أشد أم قوم
تبع وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون
وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على
أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني مولى أي مولى كان من قرابة أو
غيرها عن مولى عن أي مولى كان شيئا من إغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم
في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى إلا من رحم الله من رحم الله في محل الرفع على البدل
من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينتصر منه
من عصاه الرحيم لمن أطاعه إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وقرئ إن شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات
شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن
يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد
فنزل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم
وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية
على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة
كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني
والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه
عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية
كالمهل يغلي في البطون وقرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت
وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام
كغلي الحميم والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه خذوه فاعتلوه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بالعنف والغلظة وهو
أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء
الجحيم إلى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فإن قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه
من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت إذا صب عليهم الحميم فقد صب عليه
عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله ع صبت عليهم صروف الدهر من صبب وكقوله ربنا أفرغ
علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب يقال ذق إنك أنت العزيز الكريم
على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وقرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر إن هذا العذاب أو إن هذا الأمر هو ما كنتم به تمترون أي تشكون

اويتمارون وتتلاحون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانه يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ عجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم لا يذوقونها ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك لعلهم يتذكرون ارادة ان تفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابو بك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف

وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالتاء والياء ويل لكل افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل اذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية شعر نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حين اراد عتبة وقرئ علم اولئك لهم عذاب مهين اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاك

من ورائهم جهنم والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من قدام او خلف قال شعر
اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم جهنم
اي من قدامهم ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم شيئا ولا ما اتخذوا من
دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه قوله
والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول
زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب وقرئ
بجر اليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع
البحر وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فان
قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر
هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدا قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس منة وعن مسلمة بن محارب منه
على ان يكون منة فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منة قل للذين
آمنوا يغفروا حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يامنون الاوقات التي وقتها
الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر وقد شتمه رجل من
غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرا قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر
بما صنع ليجزي قوما ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم
يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم
كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه
من الغصص بما كانوا يكسبون بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر
ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك
بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي قوما اي الله عز وجل ولنجزي قوما وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب الكتاب التورية
والحكم الحكمة والفقه وفصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة والنبوة ورزقناهم من
الطيبات مما احل الله لهم واطاب لهم من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم
مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فما وقع بينهم الخلاف في
الدين الامر بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا بغيا بينهم اي لعداوة
وحسد ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا

عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين على شريعة على طريقة و
منهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال
ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين
من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الوليين هذا القرآن بصائر
للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى وهو
هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه
الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما
الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في
حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرا
بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار
ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات
واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك
على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة
لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم
كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب
ما عاش عليه وعن تميم الداري انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح
ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت
وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى
معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف وتقديره خلق السموات والارض ليدل
بها على قدرته ولتجزى كل نفس افرايت من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه
فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن
رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وتركه
عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون اومع علمه بوجوه
الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات
الثلث وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون نموت ونحيا نموت
نحن ونحيا اولادنا او يموت بعض ويحيا بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا

الا مرين الموت والحيوة يريدون الحيوة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين** وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره **فان قلت** لم سمى قولهم حجة وليس بحجة **قلت** لانهم ادلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التهكم او لانه فى حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه فى اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى ان يكون لهم حجة البتة **قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون** **فان قلت** كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين **قلت** لما انكروا البعث وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله تعالى هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الالزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شئ عليه **ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** عامل النصب فى يوم يخسر ويومئذ بدل من يوم **وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون** جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول **هذا كتابنا** **فان قلت** كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله **قلت** الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده **ينطق عليكم** يشهد عليكم بما عملتم **بالحق** من غير زيادة ولا نقصان **انا كنا نستنسخ** الملائكة **ما كنتم تعملون** اى نستكتبهم اعمالكم **فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين** فى جنته **واما الذين كفروا افلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين** وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتى تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه **واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين** وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها ما الساعة اى اى شئ الساعة **فان قلت** ما معنى ان نظن الا ظنا **قلت** اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين **وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** سيئات ما عملوا اى قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار** **وما لكم من ناصرين** ننساكم نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهى الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشئ الذى يطرح نسيا منسيا **فان قلت** ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم **قلت** كمعنى اضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه **ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها** وقرئ لا يخرجون بفتح الياء **ولا هم يستعتبون** ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه **فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم** فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهى اربع وثلثون آية وقيل خمس بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالغرض الصحيح والحكمة وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم **قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا** بكتاب من قبل هذا اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله **او اثارة من علم ان كنتم صادقين** او اثارة او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اى من شئ اوثرتم به وخصصتم به من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به **ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان يقوم الساعة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا يتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الدعاء والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين** بينات جمع بينة وهى الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام فى للحق

مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرًا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم وقع
الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من
غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرًا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه **ام يقولون**
افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل
دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا عليه السلام كان لا يقدر عليه حتى يقوله و
يفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كان تصديقا
من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات **قل ان افتريته** على سبيل الفرض
عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه **فلا تملكون لي من الله شيئا** فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا
تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم
ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه
قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال **هو اعلم بما تفيضون فيه** اي تندفعون فيه من القدح
في وحيه والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى **كفى به شهيدا بيني وبينكم** يشهد لي بالصدق
والبلاغ ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم **وهو الغفور الرحيم**
موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا **فان قلت**
فما معنى اسناد الفعلين اليهم في قوله فلا تملكون لي **قلت** كان فيما اتيتم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء
العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى
عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **قل ما كنت بدعا من الرسل**
البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم
دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما
كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا
يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال
القرون الاولى بقوله علمها عند ربي **وما ادري** لاني لا علم لي بالغيب **ما يفعل بي ولا بكم** ما يفعل الله بي وبكم فيما
يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه **ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين** وان اتبع
الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي
قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام أومر
بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ
ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل **فان قلت** ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم **قلت**
اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك
لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية

مرفوعة وقرئ يوحي اي الله **قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل**
على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن
من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد
من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس
بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة
وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار
تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان
سبقه ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي
قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال النبي عليه السلام اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا
وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه وفيه نزل وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من
عند الله **فان قلت** اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم **قلت** الواو الاولى عاطفة
لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة
لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت
عليك واعرضت لم تتفق فانك اخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن
من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان
به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله
انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف
كان الايمان نتيجة ذلك **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا**
به فسيقولون هذا افك قديم للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمد السقاط
يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة
ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة
لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو
اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه **فان قلت**
لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون

هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه
كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك
قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى
يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك
في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله
وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه
من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ولسانا
عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل
فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء
ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته
كرها وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة
كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين كاملين
لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم
والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع
يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة العمر و
مود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته
وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون
ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي والمراد بالنعمة التي
استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما
نعمة عليه وقيل العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان
يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك واني من المسلمين من المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن
سيئاتهم في اصحاب الجنة وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت
ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم
ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق

الذي كانوا يوعدون وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز
وقيل نزلت في ابي بكر وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة
من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه اف لكما والذي
قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك
وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه
فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل الاسلام وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف
بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه
ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من
افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة انكار نزولها فيه وحين كتب معوية الى مروان بان يبايع الناس
ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه
والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته
ولكن الله لعن ابا مروان وهو في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات
الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام
للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما اتعدانني وقرئ اتعدانني بنونين وأتعداني
باحدهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين
والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من
الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يقولان
الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك آمن دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض
على الايمان لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير
الاولين وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد
خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين
درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن اجل ما عملوا منهما فان قلت
كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال
كل على الفريقين وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه
كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات و
العقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان
بالسيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت
الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم
عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه
فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر واسنمة ولكني

وآيات الله نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعن عمر لو شئت لكنت أطيبكم طعاما
وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم
يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح
في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال
بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان
وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من
بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الأحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار
من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم
وقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون من بعده
كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا في زمانه ومعنى من خلفه على هذا التفسير ومن
بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن
خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين ألا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب
العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا لتأفكنا الإفك الصرف
يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا ما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت من
الصادقين إن كنت صادقا في وعدك قال إنما العلم عند الله فإن قلت من أين طابق قوله إنما العلم عند
الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال
لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعو بأن يأتيكم بعذابه
في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي
أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكني أراكم قوما
تجهلون ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه
فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح
فيها عذاب أليم فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما
تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من
حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا
للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم
به ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين
تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر
دمارا إذا هلك لا يرى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء

وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليت بالقوية
وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة ع
وقرئ لا ترى إلا مساكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل
أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا أنه عذاب أنهم رأوا ما كان
في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب
وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم
فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين
تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس
وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت
به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن
يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن
الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها
مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم
سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ
كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون إن نافية أي فيما ما
مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى
أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله شعر
لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن ما بان منك
لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش شعر يرجي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون
أدناه الخطوب وتئول بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية
في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار
من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون قلت بقوله فما أغنى
فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء
لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف
في ذلك ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى يا أهل مكة وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون من
القرى من حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال
ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعتهم
من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون
وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة

شركهم وافترايهم على الله الكذب من كونه ذا شركا، وقرئ أَفكهم والإفك والأَفك كالحِذر والحَذر وقرئ وذلك أَفَكهم
اى وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم
اى قولهم الآفك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا
إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ صرفنا اليك نفرا أملناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم
جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابى ذر لو كان هاهنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن اى
فلما كان بمسمع منهم او لرسول الله وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى اى اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض
انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء
ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة
فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل
يصلى او في صلاة الفجر فاستمعوا القرآن وذلك عند منصرفه من الطايف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته
واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف
اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود
قال لم يحضره ليلة الجن احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا و
السورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك فان قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء انهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى فان قلت لم بعّض فى قوله
من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله ان اعبدوا الله واتقوه و
اطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من
النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة والصحيح انهم فى حكم بنى آدم لانهم مكلفون مثلهم وَمَنْ
لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فليس بمعجز
فى الارض اى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بقادر محله الرفع لانه خبر أنّ يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء
لاشتمال النفى فى اول الآية على أنّ وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل أليس الله
بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر

اذا لم اعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الاول وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى
وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أليس هذا بالحق محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب
الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده
وقولهم وما نحن بمعذبين فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ اولو العزم اولو الجد والثبات والصبر ومن يجوز
ان يكون للتبعيض ويراد باولى العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر
وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة
على لبنة قال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان يكون
للبيان فيكون اولو العزم صفة الرسل كلهم صلوات الله عليهم وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ
لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اى لا تدع بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة و
ان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بَلَاغٌ هذا بلاغ اى هذا
الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ فهل يهلك الا الخارجون
عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلّغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك
بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه السلام

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهى سورة القتال وهى تسع وثلاثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وصدوا اعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وعن
مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين
كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التى هى بمضيعة
لا رب لها يحفظها ويعتنى بامرها او جعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن واعمالهم ما عملوه
فى كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه
من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو
عام وقوله وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما
لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى قوله وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه نسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزّل وانزل على البناء
للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان
منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ اى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى امور الدين وبالتسليط
على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتأييد ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير
سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر
كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد
الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت
اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل
الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه
مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه
وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم
كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل
الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله
بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع
صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة
في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من
الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق
بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اى فاما تمنون
منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف
حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فحكمهم اما القتل واما الاسترقاق ايهما رأى الامام
ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا
لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا
عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي
فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى
المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى
رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع
الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى شعر
واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها
تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون
شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن و
الفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين

وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم
يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه
يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اى الامر ذلك
او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت
جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم
على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال
مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل
ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري وحددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة
من غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا
دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام
والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم واضل اعمالهم كانه
قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال
تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط
اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بانهم
كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم كرهوا القرآن وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا
الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص
به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها
الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة
ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى ان رسول الله كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت
فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا
عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء
يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله نعم المولى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض
بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون
بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها

غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي أشد قوة من
قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم وقرئ وكاين بوزن كاعن وأراد بالقرية أهلها ولذلك
قال أهلكناهم كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك
فإن قلت كيف قال فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك أهلكناهم فهم لا ينصرون
أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم من زين لهم أهل مكة
الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ولرسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو
القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل
على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم فإن قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها أنهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه
تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت فلم
عري عن حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين
المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار
التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل شعر أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا
هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح
بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي
يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة
الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى
إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها
أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمثال الجنة أي
ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معوية شعر
لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير ألبان الدنيا
فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات
فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص
ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع و
غيره ماء حميما قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم ومنهم
من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع
الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة ماذا قال

الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوا لعبد الله
بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من
استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا والذين اهتدوا زادهم هدى زادهم
الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون
وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون إلا الساعة أن
تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة
نحو أن تطأوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة فكيف لهم جزاء الشرط
واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه إن تأتهم
الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ
يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين قلت بإتيان الساعة اتصال
العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود شعر
فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء عليه السلام
منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة
اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون
غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين
قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله
تعالى وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم متقلبكم ومثواكم
والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في
حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر
ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله
واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم
وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم ثم أمرها بالعمل بعد فقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله
خمسه ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا
أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت سورة وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في
أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا
وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن
النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي
المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله
سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال وذكر على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين
في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت أي تخشع

قوله فالتفاوة التفاوت فالمفارقة المعاونة من صنع الجبل لينا بها ولو بصنفين والله اعلم بالصواب

ابصارهم جبناً وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي
وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير
لهم وقيل حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة
وقول معروف فاذا عزم الامر اي جدّ والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه
قوله ان ذلك لمن عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه
السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم عسيت و
عسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو
غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم
ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الافساد فان قلت فكيف يصح هذا في كلام الله وهو عالم بما كان
وما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان
يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين
رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام
بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وُلّيتم وفي قراءة علي رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم ولاة غشمة
خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وتقطيعهم الارحام فاصمهم واعمى ابصارهم
فنعهم الطائر وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا
المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين
فيما بينهم يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى
لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا
يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا
فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في
ذلك او يراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال اليها فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال
الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم
الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا
عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف
والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله
انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان
زين لهم على تقدير حذف المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد عليه السلام من بعد ما
تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
الذين قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير

لئن اخرجتم لنخرجن معكم سنطيعكم في بعض الامر وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك القتال
معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
القعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم
وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه كقوله
ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة
الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم ورضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن
يخرج الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم
على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك
بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعرفون بها وعن انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء
من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى اللام
في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول
في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن
ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا
واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر
على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ
وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا و
هتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة
وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون
منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر
على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا
مقبولا حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى
نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر

ويرجون ثوابها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ اى الاغلبون الاقهرون وَاللَّهُ مَعَكُمْ

ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وترامو وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب باضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح

الكلام ومنه قوله عليه السلام فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما قتلا ونهبا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ثواب ايمانكم وتقويكم وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ

اى ولا يسألكم جميعا انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استأصله تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ

اى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى اى يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ونخرج بالنون و تخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع اضغانكم هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تُدْعَوْنَ اى انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ فمنكم ناس يبخلون به ثم قال وَمَن يَبْخَلْ بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ فانما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ

ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه وهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وَإِن تَتَوَلَّوْا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملئكة وقيل الانصار وعن ابن عباس من كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سُورَةُ الْفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا هو فتح مكة وقد نزلت عند مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل

فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وقيل الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت ذلك كان قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح اعظم منه وابين وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من حديث امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازا او عزيزا صاحبه هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ السكينة السكون كالبهيتة للبهتان اى انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط

الناس دعنها نفل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دايرة السوء اى لا يتخطاهم ما يتربصونه بالمؤمنين فهو حايق بهم ودايرعليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دايرة السوء بالضم اى الدايرة التى يذمونها ويسخطونها فهى عندهم دايرة سوء وعند المؤمنين دايرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شىء واما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير ولذلك اريد بها السوء واريد بها الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدايرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التاويل الذى ذكرنا واما دايرة السوء بالضم فلان الذى اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ‹ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا› شاهدا تشهد على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضماير لله عز وعلا والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر ‹ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم› لانه المقصود ببيعته يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين هى يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان ‹فمن نكث فانما ينكث على نفسه› فلا يعود ضرر نكثه الا عليه وقال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اى لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ‹ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما› وبما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء ويقال وفيت بالعهد واوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله واوفوا بالعقود والموفون بعهدهم ‹سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم› هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة ‹قل فمن يملك لكم من الله شيئا› فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضايه ‹ان اراد بكم ضرا› ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة ‹او اراد بكم نفعا› او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم ‹بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون›

‹الى اهليهم ابدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا› والاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله تعالى وكلاهما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ‹ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا› للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ‹ولله ملك السموات والارض› ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم ‹يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء› يغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتايب وتعذيب المصر ‹وكان الله غفورا رحيما› وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت باجتناب الكباير ويغفر الكباير بالتوبة ‹سيقول المخلفون› سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية ‹اذا انطلقتم الى مغانم› اذا انطلقتم الى مغانم خيبر ‹لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل› ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا وعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذ قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل قوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا ‹فسيقولون بل تحسدوننا› ان نصيب معكم من الغنايم ‹بل كانوا لا يفقهون الا قليلا› لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفى الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه ‹قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما› قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولى باس شديد يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعى لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركى العرب والعجم وهذا دليل على امامة ابى بكر الصديق فانهم لم يدعوا الى حرب فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم اعطاء الجزية وعن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت عن قوله لن تخرجوا معى ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم كما توليتم من قبل عهد الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفى قراءة ابى او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ‹ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما› نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات فى

التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** روي أنه عليه السلام حين نزل بالحديبية بعث جراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره بايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة **فعلم ما في قلوبهم** من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه **فأنزل السكينة عليهم** أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم **وأثابهم فتحا قريبا** وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا **ومغانم كثيرة يأخذونها** هي مغانم خيبر وكانت ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق **وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة **فعجل لكم هذه** الغنائم يعني مغانم خيبر **وكف أيدي الناس عنكم** يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح **ولتكون** هذه الكفة **آية للمؤمنين** وعبرة يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة **ويهديكم صراطا مستقيما** ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله **وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا** وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة ولم تقدروا أو قد أحاط بها خبر المبتداء والجر بإضمار رب **فإن قلت** قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه **قلت** هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم الله المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا **ولو قاتلكم الذين كفروا** من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر **لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا** لغلبوا وانهزموا **سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** أي سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا** أيديهم أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح

قوله أو ليدخله الإسلام الأيمن إذا أريد من نساء المؤمنين فالمناسب أن يفسر الرحمة بالتوفيق فيكون مراعاة جانب طائفة من [illegible]

وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هزمهم وأدخلهم حيطان مكة وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالتاء والياء **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله** وقرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم ومعكوفا حال من الهدي أي محبوسا من أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة أن المحصر محل هديه الحرم **فإن قلت** فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية **قلت** بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم **فإن قلت** فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله **قلت** المراد المحل المعهود وهو منى **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما** لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره إذا عناه يعني عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بأن تطؤوهم يعني أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب **فإن قلت** أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت** تصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين إنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير **فإن قلت** قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا **قلت** لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما** إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب

ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله
السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه والذين معه اهل الخير و
مستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى
اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا
اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية
كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها
في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل و
رفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت الآية ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه
في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق
بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق
الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان
شاء الله في اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله
ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك
ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا
من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح
قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق دين الاسلام ليظهره على الدين
كله ليعليه على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين من اهل الكتاب ولقد حقق
ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه
الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله
سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده
كائن عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك محمد رسول الله اما خبر مبتدا محذوف اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي
ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرا رسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه
اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا اشداء جمع
شديد ورحماء جمع رحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم
على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان
لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك
التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق
المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموا

ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه
من قرا بالنصب اشداء ورحماء ان ينصب على المدح او على الحال المقدرة في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم
في وجوههم من اثر السجود علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي
تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يؤثره السجود وقوله
كان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو
الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود و
كذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم
وعن ابن عمر انه رأى رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت
ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث
في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى
احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الاروس ام خشنت الارض انما اراد بذلك من
تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجه ولكنه صفرة وعن سعيد
بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله عليه السلام
من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا و
عملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشان في الكتابين
جميعا ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ ومثلهم في الانجيل
كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان
دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطا
وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلب الهمزة واوا فآزره من
الموازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فازره بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه ومن جعل
آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع
ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة
اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله لبدء امر
الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه
كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع فان قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا
قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان
الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله فاجتنبوا الرجس من
الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة
وسلم

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه

اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول
وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه
بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت
ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه
وتعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة
لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا
تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت
الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع
وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا
فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور
دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما
عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله
شيئا حتى يقصه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبني
عمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله
بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق
صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال
ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تهامة
سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر عليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة
نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما ثم اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت
على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا
اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت
مقدار الصلاة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق
فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون لو انزل في
كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسألة في مجلس
رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين يديه الا لحاجة وان يستأني في الافتتاح بالطعام «واتقوا الله» فانكم ان
اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه
امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا
وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك

الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها «ان الله سميع» لما تقولون «عليم» بما تعملون وحق مثله ان يتقى و
يراقب «يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون» اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند
كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منه لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند
حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم
وذلك لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو عملا بما يحدوه عليه
وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم
ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم
حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته
بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع
الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر
كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا
السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان
ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند
رسول الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما
الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده
الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به
رسول الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس
بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن
بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم
والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في
هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه
من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان
جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس
انه لما نزلت هذه الآية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله
لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان

يرفع صوت من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تحبط والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنين
ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا ذلك لملأ منهم بمحضرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرًا مثل جهر بعضكم لبعض وفي
هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني
الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر
الرتب وإن جلت عن رتبتها أن تحبط أعمالكم منصوب الموضع على أنه مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي
فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن
تضلوا والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط لأنه لما كان بصدد الأداء
إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوًا فإن قلت
لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضمومًا إليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم يصب النهي
عليهما جميعًا صبًا وفي الأول يقدر النهي موجهًا على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيًا عنه فإن قلت بأي النهيين تعلق المفعول
له قلت بالثاني عند البصريين مقدرًا إضماره عند الأول كقوله آتوني أفرغ عليه قطرًا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما
كان فمرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصًا بذلك
لأن ما بعد الفاء لا يكون إلا مسببًا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي
والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما أهلكت ومنه قوله عليه السلام وإن مما ينبت الربيع لما يقتل
حبطًا أو يلم ومن أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر
إذا غفر وهو نكسه وتراميه إلى الفساد جعل العمل السيء في اقترانه بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب بهما أعاذنا الله
من حبط الأعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط
عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك
لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لأمر كذا وجرب
له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان
موضع المعرفة لأن تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام
متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الأمر أي كائن له ومختص به قال أنت لها أحمد من بين البشر أعداء
من لليعملات على الوجى وأضياف ليل بيتوا للنزول وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن
والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند
المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من
خبثه ونقاه وعن عمر أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل
جهيد فقد محنه وأنشد أتت رذايا باديًا كلالها قد محنت واضطربت آطالها قيل أنزلت في الشيخين لما كان منهما
من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسمًا لأن
المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو

جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهمًا أمر ناظر في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين
وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر
شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن
لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان فإن قلت أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وبين ما تسقط عنه قلت
الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لأن الوراء يصير بدخول من مبتدأ
الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد
وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقًا بغير تعيين واختصاص والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل
أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير
قصد إلى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة
كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتحها وقرئ بهن جميعًا والمراد حجرات نساء النبي وكانت لكل واحدة
منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء
تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت إجلالًا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وإن كان مسندًا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون
راضين فكأنهم تولوه جميعًا فقد ذكر الأصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والإخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون
يحتمل أن يكون فيهم من قصد المحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل فإن القلة
تقع موقع النفي في كلامهم وروي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج إلينا
فاستيقظ رسول الله فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالًا للأعور الدجال لدعوت
الله عليهم أن يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله و
إجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن
موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف
باللام دون الإضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات
تهوينًا للخطب على رسول الله وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة إلى آخر
هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد
ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء
على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح
برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرًا لينبه على فظاعة ما جسروا إليه و
جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع
هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغًا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن
أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابًا على عالم قط حتى يخرج في وقت
خروجه ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم أنهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية

لانّ المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صُبِر على كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مرّ لا يتجرّعه الا حرّ فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرًا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم كان اما ضميرا لفاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضميرا لمصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فغضب وهمّ ان يغزوهم فقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهنّ او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي عليه السلام وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبإ شياع فكانه قال اي فاسق جاءكم باي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة شعر

فواسقا عن قصدها جوائرا

يذهبن في نجد وغورا غائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ الجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم

رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعنّ لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم الماهيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زيّنوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدّهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة تقديم خبر انّ على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع رأي رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قلت فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عنّ لهم رأي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بفعل غيره وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وذلك فضل من الله وهو مما لا مدخل فيه لصنع احد قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم

بالتوفيق على ما ظلم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس من الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فإن قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله فإن فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية قولت كما أمر في الله ثم قاله بعد أن اعتزل فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المؤمنين في اقتتالهما إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة وإطلاعهما على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الإصلاح بالعدل في قوله فأصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق المأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط فإن قلت فلم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأول قلت لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتي شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين المذكورين وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به في إصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا

بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة لم يبخس عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولاد لزم السائرين أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظه منكم إلا قليل فإن قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع قلت لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم والمعنى ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية وأبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه واتقوا الله فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا به رجاءكم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب إذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير شعر أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن تقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات وإنما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء

موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفى قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التى لا خبر لها كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا **ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب** واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنين انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن فى ذكر الحجاج اخرج الى بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة فى سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقى ولا من الناس يستحيى فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قايل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة فى الامم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روى عن الضحاك ان قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابى ذر وسالم مولى ابى حذيفة فنزلت وعن عائشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى الى ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وان زوجى محمد وروى انها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا قال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد فى الحسب بعدها ابدا **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم او باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفى قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة والثانى انه كان فى شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله

منه فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ثم يقال فى مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم **فان قلت** بين الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة **قلت** مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان فى الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا فى تظننه والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة فى الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله سبحانه واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روى من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذى النوى بى فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها باحباطه **ولا تجسسوا** وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق فى خدورهن وقال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ اخذنا به **ولا يغتب بعضكم بعضا** غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهى ذكر السوء فى الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب من الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم تعالى بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اى ان صح هذا فكرهتموه وهى الفاء الفصيحة اى تحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم

لَه وتقذرتم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت تعديته بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فتأوّل واجراء الكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنده بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ وقرئ انّ بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده رسول الله ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام

ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال لاته السلطان حقه اشد الليت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالقياس لا يألتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا ان الحق معه فان قلت ما معنى ثم ههنا وهو للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات بجملتها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات

قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يقال ما علمت بقدومك
أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك أن أسلموا يقال منّ عليه
بيد إذا اعتدّها عليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنّة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلّها إليه واشتقاقها
من المنّ الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه
إذا اعتدّه عليه منّة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سمّاه الله
إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منّوا على رسول الله ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله إن هؤلاء يعتدّون عليك بما
ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حقّ تسميته أن يقال له إسلام قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم فقل لهم لا تعتدّوا عليّ
أي حدثكم المسمّى إسلاما عندي لا إيمانا ثم قال بل الله يمنّ عليكم بل الله يعتدّ عليكم أن هداكم للإيمان
أن أمدّكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادّعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفّقتم له إن كنتم صادقين إن صحّ زعمكم
وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدّعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادّعائكم الإيمان فلله المنّة عليكم وقرئ أن هداكم
بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون وقرئ
بالياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سرّكم وعلانيتكم
لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس
وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن
جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع
بعيد الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد
والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله
المجيد فإن اتصال قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا
وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحلّ بهم مكروه
وإذا علم أن مخوفا أظلّهم لزمه أن ينذرهم ويحذّرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به
من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى
ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عوّل على أحد الإنكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا دلالة على
أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحقّ بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون
على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر
كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن
وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان
الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دلّ عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ردّ لاستبعادهم
الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم

أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن
في الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما
أودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم بل كذبوا بالحق لما إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع
من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج
مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ
لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل
الإخبار بالبعث أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها
وزيناها بنيناها رفعناها بغير عمد وما لها من فروج من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب
لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والأرض مددناها دحوناها وألقينا فيها رواسي رواسي جبالا ثوابت
لولا هي لتكفأت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به ونذكر لكل عبد
منيب كل عبد منيب راجع إلى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء
مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة
والشعير وغيرهما والنخل باسقات باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال
السين صادا لأجل القاف لها طلع نضيد نضيد منضود بعضه فوق بعض إما أن يريد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه
من الثمر رزقا للعباد على أنبتناها رزقا لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لنرزقهم وأحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت
قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع
كل كذب الرسل فحق وعيد أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات
جماعات كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم إلا أنه وحّد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد
فوجب وحلّ وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا بالخلق
الأول عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال
هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك في طيّه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس من خلق
جديد بل هم في لبس أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيّرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك
اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن
من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكّر الخلق الجديد وهلّا عرّف كما عرّف الخلق الأول قلت قصد في تنكيره
إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حقّ من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في شأنه ولقد
خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد الوسوسة الصوت الخفي
ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوّت بكذا
وهمس به ويجوز أن يكون للتعدية والضمير للإنسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدّث نفسه بكذا
كما يقولون حدّثته به نفسه قال وأكذب النفس إذا حدثتها ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه
ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جلّ عن الأمكنة وحبل الوريد

مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة شعر والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه
بواحد الحبال الا ترى الى قوله كأن وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين
يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف
الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ
به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك
وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف
له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك
مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون
على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس
وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب
ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه
او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان
الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه
وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت
سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من
ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض
الصحيح لقوله خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي
كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكأنها جاءت به
ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك
اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد
تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سأل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن
عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو
للبر والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع
بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت غطاءك فبصرك بالكسر
على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كأنها غطاء غطي به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا
فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته
حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا
ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا
به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف القيا في جهنم خطاب من الله للملكين
السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل
لاتحادهما كأنه قيل الق الق للتأكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي
قفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين بالنون الخفيفة و
يجوز ان يكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله
مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط ومناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه
وبينه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد
ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ
مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا
للتوكيد قال قرينه فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل
الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه
هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر
لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها
للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ربنا ما اطغيته
ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد قال لا تختصموا
استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف
الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة الرسل فما تركت
لكم حجة علي ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد
فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع
بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم
هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا و
التقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قد
قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من
قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك

يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ يقول بالياء، وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم
معناه ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول
لجهنم ومعنى [illegible] والسؤال والجواب من باب التخييل الذي يقصد به تصوير
المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ
لأملأنّ جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا
للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والميد
واما اسم مفعول كالمبيع وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على
الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف
اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ
قرئ توعدون بالتاء والياء وهو جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من المتقين باعادة الجار كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي
الرحمن بالغيب ومن خشي بدل بعد بدل او تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا من موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم
اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم
ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب
بالغيب حال من الفاعل اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه
خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا
يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه
انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشي مع ان المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل
مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب
ادخلوها بسلام يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلّما عليكم يسلم الله عليكم وملائكته
ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد
هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي
قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من
محيص فنقبوا وقرئ بالتخفيف خرقوا في البلاد ودوخوا واصل التنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة
نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم
اقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا
لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيروا في الارض وقرئ
بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان تنتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت
اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت إن في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي كمن لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان
من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد مدح الامام عبد القاهر قول بعض من يأخذ عنه ما شئت من زخرفة والمعنى متصلا

بأن يشق الذرائع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس
وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة القى السمع على البناء للمفعول ومعناه
لمن القي عليه السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا
السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول
والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة و
استراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه
وأدبار السجود فاصبر على ما تقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من
انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر
ما امر به كل الحال بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس
الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات
والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر
بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم
آتيك خفوق النجم إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر
علينا يسير قرئ تشقق وتشّقق بادغام التاء في الشين وتُشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال
من المجرور وعلينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات
الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان انما انت داع
وباعث وقيل اريد الحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبّر على الامر بمعنى اجبر اي ما انت بوال
عليهم تجبرهم على الايمان او على معنى انه فعل التحذير عليهم اذا كان والي وما لا كفر امرهم فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا به دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة والذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الذاريات الرياح
لانها تذرو التراب وغيره وقال الصحيح تذرو الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا
والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات أمرا والمقسمات امرا الملائكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تتولى التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد يتولى تقسيم امر العباد
جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو
على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات
قال السحاب قال فالجاريات قال الفلك قال فالمقسمات قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن

واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج

المقسمات السحاب يقسم الارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون لصادق جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والواقع لحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير يصف غديرا

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل انكم لفي قول مختلف قولهم في رسول الله ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه من افك الضمير في عنه للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير للموعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المافوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن على معنى يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي عليه السلام يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فان قلت بم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون

ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضيها انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك ووصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان يكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت وفي اموالهم حق للسائل السائل الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم وما توعدون رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه

في الدنيا وما توعدون في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما
أنكم تنطقون قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم وبالنصب على إنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن
يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك
هاهنا وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما توعدون وعن الأصمعي أقبلت
من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال ممن الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال
اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل
وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت
فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم
قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى
حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل أتاك حديث ضيف إبراهيم
المكرمين هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحي والضيف
للواحد والجماعة كالزور والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل
ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام أو لأنهم
كانوا في حسبانه كذلك وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم في أنفسهم مكرمون قال
الله تعالى بل عباد مكرمون إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون إذ دخلوا نصب بالمكرمين إذا
فسر بإكرام إبراهيم لهم وإلا فبما في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم
عليكم سلاما وأما سلام فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه
قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام
وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس
الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال إنكم
قوم منكرون فعرفوني من أنتم فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فراغ إلى أهله
فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن
يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر فجاء بعجل والهمزة في ألا تأكلون للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه
فأوجس منهم خيفة فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس
وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه قالوا
لا تخف وبشروه بغلام عليم بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به إسحق وهو أكثر الأقاويل
وقيل إن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو إسمعيل فأقبلت امرأته في صرة في
صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة قال الحسن أقبلت إلى بيتها
وكانت في زاوية تنظر إليهم لأنها وجدت حرارة الدم فصكت وجهها فلطمت وجهها من الحياء وقيل أخذت في صرة
كما تقول أقبل يشتمني وقيل صوتها آوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل ضربت
بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز عقيم عجوز أنا عجوز فكيف ألد قالوا كذلك ربك مثل ذلك الذي

قلنا وأخبرنا به قال ربك أي إنما نخبرك عن الله إنه هو الحكيم العليم والله قادر على ما تستبعدين وروي أن
جبريل عليه السلام قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة قال فما خطبكم أيها المرسلون
لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلا في بعض الأمور قال فما خطبكم أي فما شأنكم وما طلبكم قالوا إنا
أرسلنا إلى قوم مجرمين إلى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين حجارة من طين يريد السجيل وهو طين
طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من
يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا عند ربك
للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم فأخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه
دليل على أن الإيمان والإسلام واحد وأنهما صفتان لموصوف واحد وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا
ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله وتركنا فيها
آية للذين يخافون العذاب الأليم آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر
منضود فيها وقيل ماء أسود منتن وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين وفي موسى معطوف على
وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه
فازور وأعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال
ساحر أو مجنون أي هو ساحر فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم مليم آت بما يلام عليه من كفره
وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه فإن قلت كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون
في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم
على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما
اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم العقيم التي لا خير
فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي عليه السلام النكباء وعن ابن عباس الدبور
وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم الرميم كل ما رم أي بلي وتفتت
من عظم أو نبات أو غير ذلك وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في
داركم ثلاثة أيام فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فأخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة وهي
المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي أن
العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم
نوح وقرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها
قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح
بأيد بقوة والأيد القوة وقد آد يئيد وهو أيد وإنا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع
القوي على الإنفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة والأرض فرشناها فنعم
الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء أي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وأنثى وعن الحسن

السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او تزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا او مرتب في فلاحة ليغل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب وقال علقمة وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملائكة واذنبة والمعنى فان الذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون عن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون

من يومهم يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة والطور مكية وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي عليه السلام ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة وغلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقوله وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوها وقرئ يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين هذه النار التي كنتم بها تكذبون يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون سواء خبر محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون فمن نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا هنيئا يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا

هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون بما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله إخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الإخوان المؤمنين واتبعتهم ذريتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم فإن قلت ما معنى تنكير الإيمان قلت معناه الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد إيمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ وأتبعتهم ذريتهم وأتبعناهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال وقد جعل آخر بمعنى أن يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا بهم ذريتهم وما بينهما اعتراض وما ألتناهم وما نقصناهم يعني وفّرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من عملهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثواب عملهم شيئا نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرئ ألتناهم من ألت يألت ومن لات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين أي مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكّها وخلّصها وإلا أوبقها وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وأمددناهم في وقت بعد وقت يتنازعون فيها كأسا يتعاطونها هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم كأسا خمرا لا لغو فيها في شربها أي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم أي مملوكون لهم مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ مكنون في الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله فما استوجب به نيل ما عند الله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أرقاء القلوب من خشية الله فمن الله علينا ووقانا وقرئ ووقّانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة إنا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير إليه يعني في الدنيا ندعوه نعبده أو نسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي إذا عُبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن

ولا مجنون فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويقطعها من حوادث الدهر قال أمن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهي في الأصل فعول من منّه إذا قطعه لأن الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أم تأمرهم أحلامهم بهذا أحلامهم عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى بأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فإن قلت ما معنى كون الأحلام آمرة قلت هو مجاز لأدائها إلى ذلك كقوله أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون أم يقولون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الإضافة والضمير لرسول الله ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر أم هم الخالقون أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم أم عندهم خزائن ربك خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون من التزام غرم أي أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لن يتبعوك مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدهم ذلك في اتباعك أم عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما يكتبونه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا إشارة إليهم أو يريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون وقرئ يُصعقون

يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان
للذين ظلموا ولمن ظلموا الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين
وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم
وابقائك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ
ضمير الجماعة والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وقرئ باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مقام قمت وقيل
من منامك ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب
النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من
نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة والنجم مكية وهي احدى وستون وقيل اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال اذا
طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى
اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى
وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي
عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا
جمالهم وأناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان شعر
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم وما غوى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب
لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى
الضلال والغي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما يأتيكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو
وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب عنه بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان
الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير
حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده
في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل
بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية دون
الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو بالافق الاعلى افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه
احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من النبي عليه

فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق وقال تدلى عليها
بين سبب وخيطة ويقال هو مثل القرلي ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تولى فكان قاب قوسين مقدار
قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي عليهما السلام قاد وقد
جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا
صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا و
ما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من خزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله
فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال
ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع فاوحى الى عبده ما اوحى الى عبده
الى عبد الله وان لم يجر ذكره لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للموحى اليه قيل
اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما رأى
ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان
كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه
جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى افتجادلونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان
كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجوت اخا صدق ومكرمة
لقد مريت اخا ما كان يمريكا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى
نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج
عند سدرة المنتهى قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او
الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد
ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون
الحسن وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء وقرأ علي عليه السلام وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله
ودخل فيه وعن عائشة انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى ما يغشى تكثير وتعظيم
لما يغشيها وقد علم بهذه العبارة ان ما يغشيها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت
ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف
من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر ما زاغ بصر رسول الله وما طغى اي اثبت
ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى من آيات ربه الكبرى والله لقد رأى من آياته
الكبرى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين رقي به الى السماء فاري عجائب الملكوت افرأيتم اللات والعزى

وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطايف
وقيل كانت لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون
وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان
يلت السويق بالطايف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز
وبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها
فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله
فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة فكانها
سميت مناة لان الدماء كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء
تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم و
يجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ كانوا يقولون ان الملائكة وهذه
الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى ويجوز
ان يكون المراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموها لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان
يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هذه الاناث اندادا لله وتسمونها آلهة تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ قسمة ضيزى
جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى فعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضازه بالهمز و
ضيزى بفتح الضاد ضمير الاصنام إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء ليس تحتها
مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها ونحوه قوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ليس لكم من الله سبحانه على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد إِن يَتَّبِعُونَ وقرئ بالتاء إِلَّا الظَّنَّ الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم
شفعاؤهم وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وما تشتهيه انفسهم وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ
فيتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار والمعنى ليس للانسان كل ما يتمناه والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن
يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم
عليه في شيء منهما وكم من ملك اي وكثير من الملائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم واختصاصهم بالسموات جهودهم لو
شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء والله
له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
الْمَلَائِكَةَ ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ فانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله
فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا لا يغني من
الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه انما يدرك بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم فَأَعْرِضْ عَن مَّن

تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة
ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامهم ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما يعلم الله سبحانه من يجيب ممن لا يجيب وانت
لا تعلم فلا تتعب نفسك ولا تتعبها فانك لا تقدر من اجبت وما عليك الا البلاغ وقوله سبحانه ذلك مبلغهم من العلم
اعتراض او ما عرض عنه والتعليل ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى وقرئ ليجزي ونجزي بالياء و
النون ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء
منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما باعمالهم
بعقاب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على صغائر وكبائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها
الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها وَالْفَوَاحِشَ والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش
منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله إِلَّا اللَّمَمَ واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون
واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لماما لقلة الصغائر والمراد الصغائر من الذنوب
ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم
وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم
يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ حيث يكفر الصغائر باجتناب
الكبائر والكبائر بالتوبة هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى
الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب
آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا
اذا كان على سبيل الاعجاب والرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح
لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ اكدى قطع عطيته
واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية فيقف عن الحفر روي ان عثمان كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله
بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى
الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت
ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ فهو يعلم ان ما قال
اخوه من احتمال اوزاره حق أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ وفى واتم
والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن والاطلاق ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغ الرسالة
واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج
كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل
كان بين نوح وبين ابرهيم عليهما السلام يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته

والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم وعن عطا بن السايب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل
وميكايل الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار
وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين
وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ وفى بالتخفيف الا تزر وازرة وزر اخرى الا تزر ان مخففة من الثقيلة
والمعطوفات لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال
وما في صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا تزر وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه فان تعلق اما صح في الاخبار الصدقة
عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا
صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقايما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله
ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القايم مقامه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى
ثم يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره
بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى وقرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف
وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير
وانه هو اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من
نطفة اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني اي قدر المقدر وان عليه النشأة
الاخرى وقرئ النشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك وانه هو رب الشعرى الشعرى مرزم
الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن
لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في
دينهم يريدون انه عبد معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ عادا لولى بادغام التنوين في اللام وطرح
همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمود فما ابقى وقرئ وثمودا وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم
واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر
فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك وقرئ و
المؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم اهواها الى الارض اي اسقطها فغشاها ما غشى
ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الحجر المنضود فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او للانسان على الاطلاق وعدد نعماء وسماها آلاء لما كان الانتقام من قبلها وفيه من الزواجر
للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول
منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله سبحانه وتعالى اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها
نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة

مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقراطه ليس لها مما تدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية افمن
هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء للخشوع حق عليكم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون مبرطمون
وقيل لاهون لاعبون يقال لجاريته اسمدينا اي غنينا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد
به بمكة

سورة والقمر مكية وهي خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن انس ان
الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق
فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة
وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر اي
اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة
انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دايم مطرد وكل شيء قد انقادت
طريقته ودامت حالته قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر
قوي محكم من قولهم قد استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا
لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر
لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية تتبين عندها انه حق او باطل
وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا
شقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار
او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر
مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم من الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة
ما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار
ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي
فيها حكمة بالغة بدل منها او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك
ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها
فما تغن النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم
يوم يدع الداع نصب بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها
والداعي اسرافيل او جبريل كقوله يوم ينادي المناد الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله
وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر
كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على يخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من
يقول اكلوني البراغيث وهو حال ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم

على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية
عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما يخرجون وقرئ يخرجون من الاجداث
من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا
كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا
يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع يقول الكافرون هذا
يوم عسر كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد
قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه
قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا
لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم
لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت
بقلبه فدعا ربه اني مغلوب وقرئ اني بمعنى فدعا باني مغلوب واني على ارادة القول فدعا قال اني مغلوب غلبني قومي
فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم
عليهم الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق
وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا
بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانما عيونا
تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض
وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربين من التمر برني ومعقلي
قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها
الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل الله من السماء كقدر ما اخرج من الارض
سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح
ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل
بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو
في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين
لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر
به منفذه تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده
اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال
للرشيد الحمد لله عليك قال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرا الحسن جزاء اي مجازاة ولقد تركناها آية فهل من
مدكر الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة
وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر

بقلب التاء دالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزجر فكيف كان عذابي ونذر والنذر جمع نذير وهو الانذار
ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من
الوعد والوعيد فهل من مدكر فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه
فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هياناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر
فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى ان كتب
اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن كذبت عاد فكيف
كان عذابي ونذر النذر جمع نذير ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر في يوم شوم وقرئ في يوم نحس كقوله في ايام نحسات
قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء
في آخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا
يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم و
تدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم
اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤوسهم
فتبقى اجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية فكيف كان
عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا
نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر ابشرا انتصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه
خبره والاول اوجه للاستفهام كان يقول انتبع بشرا منا واحدا انا لفي ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه
فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال
كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا
قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا
منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس
باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم االقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو
احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء
ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ
ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين
كقولهم حذر وحذر وحدث وحدث واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر
اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو اخير واشر وما
اخيره وما اشره انا مرسلو الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم
وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل
شرب محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها فنادوا صاحبهم

تداري بين سالف أحيمر ثمود **فتعاطى** فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له **فعقر** فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف **فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة** صيحة جبريل عليه السلام **فكانوا كهشيم المحتظر** والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا** حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحرين تذأل وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه **نعمة من عندنا** نعمة انعاما مفعول له **كذلك نجزي من شكر** نعمة الله بإيمانه وطاعته **ولقد أنذرهم** لوط عليه السلام **بطشتنا** أخذتنا بالعذاب **فتماروا بالنذر** فكذبوا بالنذر متشاكين **ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم** فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط **فذوقوا عذابي ونذر** فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة **ولقد صبحهم بكرة** اول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير مصروفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته **عذاب مستقر** ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة **فان قلت** ما فائدة تكرير قوله **فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت** فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبإ من انباء الأولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان **ولقد جاء آل فرعون النذر** موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الإنذار **كذبوا بآياتنا كلها** بالآيات التسع **فأخذناهم أخذ عزيز** لا يغالب **مقتدر** لا يعجزه شيء **أكفاركم** يا اهل مكة **خير من أولئكم** الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم **أم لكم** ام انزلت عليكم يا اهل مكة **براءة في الزبر** في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة **أم يقولون نحن جميع** جماعة امرنا مجتمع **منتصر** ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت **سيهزم الجمع** عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها **ويولون الدبر** اي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الأدبار **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ادهى اشد وافظع والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والأسر

وقرئ سيهزم الجمع **إن المجرمين في ضلال وسعر** في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة **يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتأنيث والتعريف **إنا كل شيء خلقناه بقدر** كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه **وما أمرنا إلا واحدة** الا كلمة واحدة سريعة التكوين **كلمح بالبصر** اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه **ولقد أهلكنا أشياعكم** اشباهكم في الكفر من الأمم **وكل شيء فعلوه في الزبر** في دواوين الحفظة **وكل صغير وكبير** من الأعمال ومن كل ما هو كائن **مستطر** مسطور في اللوح **إن المتقين في جنات ونهر** وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد **في مقعد صدق** في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق **عند مليك مقتدر** مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل مكية ومدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه فأراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر الإنسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من اجله وكأن الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد بأحد فما تنكر من احسانه **الشمس والقمر بحسبان** بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب **والنجم والشجر يسجدان** والنجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده **فان قلت** كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن **قلت** استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له **فان قلت** كيف اخل بالعاطف في الجمل الأولى ثم جيء به بعد **قلت** بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام

الى مضاجعهم بعد التبكيت في وصل الجمل وعطف المتناسب والمتقارب بالعاطف فإن قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الانسان آدم عليه السلام وعنه محمد عليه السلام وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا او هي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع وتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها للانام خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والحب ذو العصف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فبأي آلاء ربكما تكذبان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فإن قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فإن قلت ما معنى قوله من نار قلت هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ لا يبغيان بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يتبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان قرئ تخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله تعالى اللؤلؤ

والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فإن قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها فك والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي الجلال على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فإن قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء وعقيب ذلك يسأله من في السموات والارض كل من في السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم ايها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي اراد بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل

سيفرغ لكم أي الفريقين وسأفرغ وسنفرغ لكم بالنون مفتوحاً ومكسوراً وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحاً ومضموماً مع فتح الراء وفي قراءة أبي سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان** يا معشر الجن والإنس كالترجمة لقوله أيها الثقلان إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت به **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان** شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعاً عطفاً على شواظ ومجروراً عطفاً على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظاً من نار ونحاساً فلا تنتصران فلا تمتنعان **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان** وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام قال الشاعر كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان شبه عينيه بالمزادتين وقيل الدهان الأديم الأحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو الغنائم أو يموت كريم **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان** أي بعض من الإنس والجان أريد به ولا جن أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسألون عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وإن كان على حده **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان** يؤخذ بالنواصي والأقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان** حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف **ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان** مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه ذلك لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه

أي حافظ مهيمن من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد شعر ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب فإن قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل لقوله وزيادة **ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان** خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش أخضر ناضر **فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان** عينان تجريان حيث شاءتا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل **فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان** زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان** متكئين نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الإستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان** فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم **كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان** قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان** هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن محمد ابن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة يعني أن كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أسيء إليه **ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان** ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين **مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان** مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة **فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان** نضاختان فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لأن النضح غير معجم مثل الرش **فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان** فإن قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه **فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان** خيرات خيّرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيّرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق **حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان** مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة

وقيل ان الخيمة منها من درة مجوفة **لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان**
قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان** ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته **فان قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت** مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ **تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام** وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله **فان قلت** بم انتصب اذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي اي ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير **شعر** اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال **اذا رجت الارض رجا** رجت حركت تحريكا شديدا حتى تهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء **وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا** وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال هباء منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها براح وهي تمشي وتفاج **فان قلت** بم انتصب اذا رجت **قلت** هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض **وكنتم ازواجا ثلثة** ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج **فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة** فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولبغاء لهم بالسانح وتطيرهم من البارح وكذلك اشتقوا اليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال **والسابقون السابقون** والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة **اولئك المقربون في جنات النعيم** المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم **ثلة من الاولين وقليل من الآخرين** والثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وقليل من الآخرين وهم امة محمد عليه الصلوة والسلام وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في السابقين وذلك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا **فان قلت** فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين **قلت** هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة **على سرر موضونة** موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى **شعر** ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض **متكئين عليها متقابلين** متكئين حال من الضمير

في علو وجوه القاصي فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق والآداب **يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين** مخلدون
مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل
الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث
اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم **لا يصدعون عنها ولا**
ينزفون لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وعن مجاهد لا يصدعون بمعنى
لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقهم **وفاكهة مما**
يتخيرون يختارون يأخذون خيره وافضله **ولحم طير مما يشتهون** ويشتهون يتمنون وقرى
ولحوم طير **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون** قرى وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الاول كذا
جرهن حمزة وعلي ويتجه العطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور
على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب والنصب على ويؤتون حورا **جزاء بما كانوا**
يعملون جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا**
سلاما سلاما سلاما سلاما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او مفعول به
لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد
وقرى سلام سلام بالرفع على الحكاية **واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر** السدر شجر النبق **مخضود**
المخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا
ثناه وهو رطب **وطلح** والطلح شجر الموز وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر
يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع فقال وما شأن الطلح وقرأ قوله
لها طلع نضيد فقيل انحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه **منضود**
والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة **وظل ممدود** ممتد منبسط لا يتقلص
كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **وماء مسكوب** يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل
دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة** لا مقطوعة
هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة** ولا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على
بساتين الدنيا وقرى وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين **وفرش** جمع فراش وقرى وفرش
بالتخفيف **مرفوعة** نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة
على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء
وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن **انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا**
عربا اترابا لاصحاب اليمين انا انشأناهن انشاء اي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد
اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة سألته عن
قوله تعالى انا انشأناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر
اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك

قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها يومئذ ليست بعجوز وقرأ الآية عربا
وعربا بالتخفيف حمزة جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين
وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين
ابناء ثلث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشأنا وجعلنا **ثلة من الاولين وثلة من الآخرين**
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في سموم في حر نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناه
في الحرارة **وظل من يحموم** من دخان اسود بهيم **لا بارد ولا كريم** نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال
سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل
من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة
وانهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرى لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك **انهم**
كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم
بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج
وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون أوآباؤنا الاولون
دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف **فان قلت** كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن
قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا **قل ان**
الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة
بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة الا محرما **ثم انكم ايها الضالون** عن الهدى **المكذبون** بالبعث وهم اهل مكة و
من في مثل حالهم **لآكلون من شجر من زقوم** من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره
وانث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في قوله **فمالئون منها البطون فشاربون عليه من**
الحميم ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها و
هو في معناها **فشاربون شرب الهيم** شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل
التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة شعر واصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا
يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما
يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم
الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم **فان قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة
وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو
عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا
صفتين مختلفتين **هذا نزلهم يوم الدين** النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في

قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي شعر وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق
لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان
من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ما تمنون ما تمنونه
اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله من نطفة اذا
تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم
وننشئكم فيما لا تعلمون قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت
كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته
عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا
تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها
وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان
يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها
ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم
في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون افرأيتم ما تحرثون
من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية
لو نشاء لجعلناه حطاما والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم
وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم
من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها
القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما
انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون
لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا أفرأيتم الماء الذي تشربون يريد الماء العذب
الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض
خاصة وهو اعذب ماء لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت
لم ادخل اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة
ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا
من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق
فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم
وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن
رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة
امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ار فاذن حذفها اختصار

لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية
ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب
للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما
يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء
شعر اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا
على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب أفرأيتم النار التي تورون تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة
أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث
علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا
به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء
من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام من قولهم اقويت من ايام اي لم اكل شيئا فسبح باسم ربك العظيم فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر
اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك العظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته
وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون
وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الاية واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عددها
ونبه عليها فلا أقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن
فلأقسم ومعناه فلأنا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق
ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها
ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها
ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او
لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم
ذلك بقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومساريها وله في ذلك من الدليل على عظيم
القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم
والمقسم عليه وهو قوله انه لقران كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم
القران اي اوقات نزولها إنه لقرآن كريم كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله
في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين في كتاب مكنون مصون من غير المقربين
من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة
لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقران فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب
منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية
انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له
ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون

انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزل تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف
بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل
كذا ونطق به التنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون
به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف
يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون
وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء
ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب فلولا اذا
بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين
ترجعونها ان كنتم صادقين ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة
للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا
ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء
ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم
صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض
وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة
المذكورة في اول السورة فروح وريحان وجنة نعيم فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم
والريحان الرزق واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك
اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم
فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وتلك بالنار والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا
الذي نزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي
وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شأن ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي
هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح
اذا ذهب وبعد فاللام اما ان يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله
ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيي يجوز ان لا يكون له محل ويكون
جملة برأسها كقوله له ملك السموات والارض وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا
فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر
الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو

الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما
الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية
والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز
ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي
بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذلك مع العدول عن الظاهر المفهوم وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله
ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير مستخلفين
فيه يعني الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم
خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن
كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا
به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم لا تؤمنون
حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال
فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين وقبل
ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم يبق
لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ
ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم ليخرجكم الله بآياته من
الظلمات من ظلمات الكفر الى النور الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان الله بكم لرؤف رحيم لرؤف
وقرئ لرؤف وما لكم الا تنفقوا ان لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء
فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم
فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس
في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا
من قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اعظم درجة
وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ
بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله والله بما تعملون خبير
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اقراضا حسنا الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه

اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطي اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم
يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام والرفع عطف على
يقرض او على هو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم
او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين
كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم
سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما
ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وبرى ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا
انظرونا نقتبس من نوركم يوم بدل من يوم ترى انظرونا انظروا الينا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة
على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ
انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا
بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طردا لهم وتهكما بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا
هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين
وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب
بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو الاعراف له لذلك السور باب
لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره ما ظهر لاهل النار
من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي عليهما السلام فضرب بينهم على البناء للفاعل
ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم فتنتم
انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد
الاعمار حتى جاء امر الله الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية فدية ما تفتدى به ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم هي اولى
بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم ومقمنكم اي مكانكم
الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها او
المراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله يغاثوا بماء كالمهل وقيل متوليكم كما
توليتم في الدنيا اعمال اهل النار وبئس المصير النار الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون الم يان الم يأت وقت من انى الامر يانى اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يانى وانما قيل لما كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين
اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطا قلوب المؤمنين
فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون
فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة

فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزّل وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع و
قرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك
ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم
الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل
من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء
وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا الامد
بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون فهذا
تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم اجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا الله قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى
الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة
النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله والذين آمنوا بالله و
رسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يريد ان المؤمنين بالله ورسله عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا
الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف
يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم
مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور
اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام
وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث
فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر
وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات
وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة
عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم
من الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول
الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون والله ذو الفضل العظيم
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزرع والثمار وفي الانفس

نحو الاولاد والموت إِلَّا فِي كِتَابٍ مكتوب في اللوح مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا يعني الانفس او المصائب إِنَّ ذَلِكَ ان تعيين ذلك
واثباته في كتاب عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم
ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير
واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ لان من فرح بحظ من
الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود
بما اوتيتم فاتكم فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح فان المراد الحزن
المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي
لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا
مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا
حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته
وَمَنْ يَتَوَلَّ عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عن
الْحَمِيدُ وعن البخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
يعني الملائكة الى الانبياء بِالْبَيِّنَاتِ بالحجج والمعجزات وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ اي الوحي وَالْمِيزَانَ روي ان جبرئيل
نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ قيل نزل آدم عليه السلام
من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه
فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وهو القتال به وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها
او ما يعمل بالحديد وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين
بِالْغَيْبِ غائبا منهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد
هلاكه منهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا
فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فَمِنْهُمْ
مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ فمنهم من الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا
تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وعن الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان
الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وقرئ رآفة على فعالة اي
وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب النبي رحماء بينهم وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً والرهبانية ترهبهم
في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه
السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها

الفعلة للتسويه الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى
الرهبان جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابْتَدَعُوهَا
يعني واخترعوها من عند انفسهم ونذروها مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ لم نفرضها نحن عليهم إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ
اللَّهِ استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا كما يجب على الناذر رعاية نذره
لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها
صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم
ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم [illegible] ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله
ثم انهم لم يرعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون
وهم الذين لم يرعوها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من
اهل الكتاب فالمعنى والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى
وعيسى آمنوا بمحمد يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ق
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ يوم القيمة وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ما اسلفتم
من الكفر والمعاصي وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة
أَلَّا يَقْدِرُونَ وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم
فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب
من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون
بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه
الى الايمان فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن
لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة
استأذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله
ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما
من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجر مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي
ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام في الياء وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون
في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة
ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى
ان اصل لام الجر الفتح كما انشد ع اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ في ملكه
وتصرفه واليد مثل يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير

قد سمع الله قالت عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وأنا عنده لا
أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان إذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك أي تراجعك الكلام وتحاولك
أي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما
سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أوسا
تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت إن لي صبية
صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا فقال ما عندي في أمرك شيء وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت
يا رسول الله ما ذكر طلاقا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووجدي
كلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فنزلت في زوجها في شأنه ومعنى إن الله سميع بصير يسمع
كل مسموع ويبصر كل مبصر فإن قلت ما معنى قد في قوله قد سمع قلت معناه التوقع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم من
نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم
ما هن أمهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة
من ينصب والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه
باطل لتباين الحالين إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن
ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات وكذلك أزواج
رسول الله أمهات المؤمنين لأن الله حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء
من الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الأمهات وإنهم ليقولون منكرا من القول
فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وإن الله
لعفو غفور لما سلف منه إذا تيب عنه ولم يعد إليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا يعني والذين كانت عادتهم
أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر
منها لا يحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك
للأمر عائد إليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالإصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول و
تلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم
بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون
العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لأن
الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله
عليه فإن قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم إذا وضع مكان أمه عضوا منها يعبر به عن الجملة

كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات
رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن تقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب
أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري
والأوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار إلا بالأم وحدها وهو قول قتادة والشعبي
وعن الشعبي لم ينس الله أن يذكر البنات والأخوات والعمات والخالات إذ أخبر أن الظهار إنما يكون بالأمهات
الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فإن قلت فإذا امتنع المظاهر
من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات
يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار وحدها لأنه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم إيفاء حقها
فإن قلت فإن مس قبل أن يكفر قلت عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي أن سلمة بن صخر البياضي
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه
السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فإن قلت أي رقبة تجزي في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا
لأنها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزي إلا المؤمنة لقوله في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي
أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئا فإن لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز فإن قلت فإن أعتق بعض
الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة
وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وإن كان المس يفسد الصوم استقبل وإلا فلا فإن قلت
كم يعطي المسكين في الإطعام قلت نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام
بلده الذي يقتات فيه فإن قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت
اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المسيس وإنما ترك
ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع في خلاله
وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء فإن قلت الضمير في أن يتماسا إلام يرجع قلت
إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتؤمنوا لتصدقوا
بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا
يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب أليم إن الذين يحادون الله ورسوله
يعادون ويشاقون كبتوا أخزوا وأهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد
كبتهم يوم الخندق وقد أنزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب
مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله يوم منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا
كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا
وتشهيرا بحالهم يتمنون عند المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد أحصاه الله أحاط به عددا
لم يفته منه شيء ونسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وإنما تحفظ معظمات الأمور والله
على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا
هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا

ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو اما ان يكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمسلمين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقال ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترى وهم يتناجون كذلك الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يقارب هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ ويتنجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول يا ايها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وروي فلا تتناجيا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا

انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير وقرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال عليه السلام اوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة بين يدي نجواكم صدقة استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته ذلك خير لكم واطهر في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة عليها السلام واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس

هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم
تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فإذ لم تفعلوا ما أمرتم
به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في أن لا تفعلوا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا
الله ورسوله فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون وقرئ بالياء والتاء
ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من
لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله
مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويحلفون على الكذب أي يقولون والله إنا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو
ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب بحت فإن قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب أن يكون
الخبر لا على وفق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم
عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ثم يرفع حديثه
إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما
فعل فقال له عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أعد الله لهم عذابا
شديدا نوعا من العذاب متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول
على سوء العمل مصرين عليه أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا أيمانهم وقرئ إيمانهم بالكسر أي اتخذوا
أيمانهم التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه جنة أي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا عن سبيل
الله فلهم عذاب مهين فصدوا الناس في خلال أمنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن
الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم فلهم عذاب الآخرة وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الإغناء أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا
فيحلفون لله على أنهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون أنهم على شيء من النفع يعني
ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية
وأنتم تفعلونه في الدنيا لا يضطرون فيها العلم ما يعتقدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار
العلم ما انتهى بهم الختل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما
قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه
الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شيء
من النفع إذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم
على أفواههم ألا إنهم هم الكاذبون حيث إنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا
والآخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا ومنه كان أحوذيا نسيج
وحده وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته

وحزبه فأنساهم ذكر الله فأنساهم أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم أولئك حزب الشيطان ألا إن
حزب الشيطان هم الخاسرون قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك
في الأذلين في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب
في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم
ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون لا تجد قوما من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد
قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه
والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد
ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم وبقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان
بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه
كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت
به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري أنه قال
كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب
منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت
فيما أوحيت لا تجد قوما ويروى أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة
سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني
لقتلته وقيل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله دعني
أكن في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد
بن عمير يوم أحد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي رضي الله عنه وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب
من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من
ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار صالح بنو النضير
رسول الله على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم
المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر
عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم
بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة
أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن
خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا
من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام

قوله فاعتبروا في التفريع اذ المعنى هو الذي اخرج ... من تطهير الارض ... لكان ... الدنيا

إلى أريحا وأذرعات الشام إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة. اللام في لأول الحشر تتعلق بأخرج وهي اللام في قوله يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك. فإن قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه. يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والخربة الخراب كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب. فإن قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه. فاعتبروا بما دبر الله ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب يعني أن الله قد عزم على تطهير المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء أجلوا أو قتلوا عذاب النار الذي لا أشق منه يعني أن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها لأنه في معنى اللينة واللينة النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة
شعر
كأن قتودي فوقها عش طائر ... على لينة سوقاء تهفو جنوبها
وجمعها ألين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أن يكون جمع أصل كرهن ورهن واكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فقطعها

تحرك القبلة عند هبوب الجنوب والله اعلم ... قوله انه اشق ... والله اعلم بالصواب

بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا. واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقطعها مثمرة أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال. فإن قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروي أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب. وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير أفاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الإفاضة من عرفات ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى فما أوجفتم عليه فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم يحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كي لا يكون إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة يعني كي لا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كي لا يكون تداول له بينهم أو كي لا يكون شيء متداول بينهم غير مخرج إلى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة أو فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن أخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه أنفسكم واتقوا الله أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه إن الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والأجود أن يكون عاما في كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود أنه لقي رجلا

وقد خلق عبد وجاز ان يريد قوله ان اخرجتم ان عبد الله بن ابي ومن معه لا تخرجوا فاطلع الله رسوله على ... والاول اظهر والله اعلم

محرما عليه بأبيه فقال له ارتح عنك هذا فقال الرجل ادلك على فهذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوءوا الدار والايمان معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوءوا الايمان قلت معناه تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم في صدورهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج والمحتاج اليه تسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصل الخصاصة خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا من رسول الله والمؤمنين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لكاذبون في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه

ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة وكانوا يشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تخذيل للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم قريبا اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على تقدير كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ عاقبتهما بالرفع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون

نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة
من الاهوال ما انساهم انفسهم لقوله لا يرتد اليهم طرفهم **لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة
هم الفائزون** هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار
العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب
الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على
حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر و
ان الكافر لا يملكون اموال المسلمين بالقهر **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله تعالى انا عرضنا الامانة
وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض منه توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة
القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله والى
امثاله في مواضع من التنزيل **هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** الغيب المعدوم و
الشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل
الدنيا والآخرة **هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس** البليغ في النزاهة عما
يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح **السلام** بمعنى السلامة ومنه
دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة **المؤمن** واهب
الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما في قوله في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون
بلفظ صفة السبعين **المهيمن** الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء **العزيز
الجبار** الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم **المتكبر** البليغ في الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن
ظلم عباده **سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق** المقدر لما يوجده **البارئ** المميز بعضه من بعض
بالاشكال المختلفة **المصور** الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي
يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات **له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم** وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة رضي سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم
فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر **سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و
اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم** روي ان سارة مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي
والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها
وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب

بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها
فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي عليه السلام والله ما كذبنا ولا كذب
رسول الله وسل سيفه فقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرءا ملصقا في
قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم
غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا
فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على
اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي اتخذ الى مفعولين
هما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد
تلقون اليهم يتعلق **قلت** يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره او باولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا
فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم
قلت ذاك انما اشترط في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير
البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة او الافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء
في المودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف
معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون
اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة
فان قلت وقد كفروا حال مماذا **قلت** اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه
حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم
لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان
سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون **ومن يفعله منكم** ومن يفعل هذا الاسرار **فقد ضل
سواء السبيل** فقد اخطأ طريق الحق والصواب بعد الجحدري لما جاءكم اي كفعل الاحبار لما جاءهم بمعنى ان ما كان يجب
يكونوا لكم اعداء ان يكون سبب ايمانكم جعلوه سبب الكفرتم **ان يثقفوكم** ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم
خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم **ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** بالقتال والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه
قوله تعالى لا يالونكم خبالا **فان قلت** كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي **قلت**
الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم
وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم

دركم كما كانوا اسبق الشيء عندهم واقطف الحقهم ان الذي اعز عليكم من ارحامكم لانهم يتذللون لها دونه فالمعنى اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا والله بما تعملون بصير خطا رايتم في موالاة الكفار فكلا يرجع في حال من قال الى الامر بما يرجع الحال من اقتضى تلك الموالاة تاليا لهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ويفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا على شيء فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها ...

... هؤلاء وانما ينهيكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل

... لهم ولا هم يحلون لهن لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم ولا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجهن على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكوافر تشمل المسلمة التي تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت هذه الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فآتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق

بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ** ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها وفرجها الذي تلده به بين الرجلين **وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** في معروف فيما تأمرهن به من الحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف **فان قلت** لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف **قلت** نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم **قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ** قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة **كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ** من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح

حال المؤمنين وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات شفعاء له يوم القيامة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت فقيل له حدثنا فقال تأمرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله في قوله **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ** عقيب ذكر المقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون **صَفًّا** صافين انفسهم او مصفوفين **كَأَنَّهُمْ** في تراصهم من غير فرجة وخلل **بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** رص بعضه الى بعض وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلان **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ** اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا **يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي** كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه **وَقَدْ تَعْلَمُونَ** في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا **أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به **فَلَمَّا زَاغُوا** عن الحق **أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** بان منع الطافه **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف **فان قلت** ما معنى قد في قوله وقد تعلمون **قلت** معناه التوكيد كانه قال وتعلمون

بما يقبح الا شنعه تكم فيه وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال
موسى لانه لم يكن له فيهم نسب فيكونوا قومه والمعنى اني ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال
تبشيري برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ
من بعدي بسكون الياء وفتحها الخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل
بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم
قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان تعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها
من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ وقرئ هذا ساحر مبين وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب
وتمويه وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي يقال دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت
مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة
في لا ابالك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ
بالاضافة هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الملة الحنيفية لِيُظْهِرَهُ ليعليه عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وتؤمنون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله و
جاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين
ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت فان قلت هل لقول الفراء
انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل
هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان يكون
على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب
الاعمال الى الله لعملنا فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون
وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس بعد تشوق وتطلع منها اليه اوقع
فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذَلِكُمْ يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خَيْرٌ لَكُمْ من اموالكم وانفسكم

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فان قلت ما معنى قوله ان كنتم تعلمون قلت معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان
خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون
وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها
بقوله نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر
كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت لم نصب من قرا نصرا من الله
وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم
اخرى نصرا وفتحا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قرئ كونوا انصار الله وانصارا لله وقرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حثم
للنصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى عليه السلام من انصاري
الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم
من انصاري الى الله فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين
نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار
الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي
في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله
والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو
البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل كانوا
قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بعيسى وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فايدنا مؤمنيهم على كفارهم فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ
فظهروا عليهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه والله اعلم

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع
على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد هُوَ الَّذِي بَعَثَ
فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم
وقيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الاميين رسولا
منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله
من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ في الاميين بحذف ياء النسب يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يقرؤها عليهم مع كونه اميا
مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم آية بينة وَيُزَكِّيهِمْ ويطهرهم من الشرك وخبائث
الجاهلية وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ القرآن والسنة وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ كما قال وان قوله ان

من المحققة من الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
وآخرين مجرور عطف على الاميين يعنى انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم الذين بعد
الصحابة وقيل لما نزلت هذه الآية قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله
رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اى يعلمهم
ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله وكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو
العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك فضل الله
الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء واعطاؤه
مقتضى حكمته والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفظة ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها
نعت رسول الله والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اى كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما
يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التوراة
كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها وقرئ حملوا التوراة اى حملوها ثم لم يحملوها على الحقيقة لفقد العمل
وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم هاد يهود
اذا تهود انكم اولياء لله من دون الناس اولياء الله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي
اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول
الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ
فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا
وتشديدا ليس في لا فاتي مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه والله عليم بالظالمين قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه
خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه ولا هو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون ثم ترجعون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما انه ملاقيكم وفي
قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي
تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اى ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يا ايها الذين
آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه
ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ
بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان
عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب

المسجد

المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل نادى ثانيا
آخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام
للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان
الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فنذكر
الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة وهي اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب
وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه
السلام اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك
من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه عليه السلام ان لله في كل جمعة ستمائة
الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه
السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة
قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة
احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب
نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع لقوله
عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت
فيه الاحكام ومن شرطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث
وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب
شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند
الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة
ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر انه سمع رجلا
يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي
وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وعن الحسن ليس السعي
على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطئه ان عمر
سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة

والصلوة والتسبيح لله خطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله
جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المكان مقالا وانكم الى امام فعال
احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي
لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه
وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم
والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة
لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام وذروا البيع
اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه
من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى
الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله و
المضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا
البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فان قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت
عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة
في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق
لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها
عنه وان يكون همهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلا به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس
لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل
صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية واذا رأوا تجارة او
لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين روي ان اهل المدينة
اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه السلام
والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو
المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة
كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه
اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره
اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة
من قرأ لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة
وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك

والله يعلم انك لرسوله والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا
عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم
لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في
قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا
كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله
اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة
تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي
وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرئ
ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا انهم ساء ما
كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين
ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا بسبب انهم
آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان
اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون لم يكونوا
الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه
قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه قوله لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام
كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الى قوله انما نحن مستهزئون والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم
وقرأ زيد بن علي عليهما السلام فطبع الله فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا
تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو كان عبد الله بن ابي
رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة فكانوا
يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي
صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت
شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به
كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة
الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم وتعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب وقرئ
يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب مسندة رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستأنف لا محل له وخشب
جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال
في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم يحسبون عليهم اي

اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت
دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
ومنه اخذ الاخطل شعر ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اي
هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا
تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال هي العدو
قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله
دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون
عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم
ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون لووا رءوسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ
بالتخفيف والتشديد للتكثير سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا
يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود
فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل محمدا ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن
جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع
بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من
المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا
رسول الله فقال اذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف
اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله
الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول
الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروي ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه
قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه
فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترض
ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله
لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله بتخليته وروي انه
قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد
ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد

الله قيل له قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اومن فآمنت و
امرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات
سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار
والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر وآلله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم
وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو
رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون
بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن ابي عبلة
لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة
ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه
من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى
الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه
عزة وتلا هذه الاية يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها
والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم
وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر
منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل
ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير
الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفقوا مما رزقناكم من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان يأتي
احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه
الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان
ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان
يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل
الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون
بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة فيقول
رب لولا اخرتني وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرأ ابي فاتصدق
على الاصل واكن من الصالحين وقرئ واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرأ واكون
على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة
المنفي للحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم
باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله

وقرئ يعملون بالياء والتاء. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها خلق السموات والأرض بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا وإليه مصيركم فيجازيكم على الشكر وتركه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال في أحسن تقويم فإن قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفى عليها لا تستملح وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى من مراتب الحسن فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذوات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملة الخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة نبؤا الذين

كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك وذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب بأنه بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله أبشر يهدوننا أنكروا أن يكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا والله غني حميد واستغنى الله أطلق ليتناول كل شيء يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم قال ولم أزعمك عن ذلك معزلا وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا أهل مكة قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وبلى إثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يعني برسوله محمدا وبالنور القرآن يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون فإن قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت صالحا صفة للمصدر أي عملا صالحا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد إليه لقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بمعنى يهتد وبهدأ قلبه يطمئن ويهدأ ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإن توليتم فلا عليه إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم فإنما على رسولنا البلاغ المبين إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم

ويجوز ان يكون العفو والصفح والاذى فاخذ بعضهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله غفور رحيم فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما فاتقوا الله ما استطعتم ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه ويغفر لكم والله شكور حليم يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كذا وكذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا

للسنة الا واحدة ثم لا تطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في الطلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر انه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت فيه الرواية عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف

والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ** يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم **وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ** لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم **ذَلِكُمْ** أي ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط **يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ** يجوز أن يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن والأبعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا **يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وإن قل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله قد جعل الله خبر إن وبالغا حال **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ** روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت فمعنى إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك **وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ** هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي رضي الله عنه وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها

بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى **ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ** يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ** أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن **فإن قلت** من في من حيث سكنتم ما هي **قلت** هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه **فإن قلت** فقوله من وجدكم **قلت** هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة **وَلَا تُضَارُّوهُنَّ** ولا تستعملوا معهن الضرار **لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ** في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه **فإن قلت** فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله **وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** **قلت** فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم **فإن قلت** فما تقول في الحامل المتوفى عنها **قلت** هي مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي رضي الله عنه وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها **فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ** يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية **فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** فحكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي **وَأْتَمِرُوا** الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات **بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ** بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه **وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى** فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما يقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا** لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة قدّر **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا **وَكَأَيِّنْ**

من قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور رسولا هو جبريل عليه السلام ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله قرئ ندخله بالياء والنون جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم وهي اثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان عليه السلام يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الالى فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضوان الله عليهم ان الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي عليه السلام ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره الله واطلع النبي عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه السلام وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها واعرض عن بعض وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت

ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى
انه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ذكر المنبأ كيف
اتى بضميره ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس
لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت
الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد
صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله من حب ما يحبه و
كراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة
وافشاء سره فان الله هو مولاه فلن يعدم من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره
وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره
بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن
وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم
فان قلت صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس
كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب
بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع
الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك ظهير بعد نصرة الله وناموسه
وصالح المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت
قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم
قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على
جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات
قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا وقرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات
مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد
ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه
الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين
قلت اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه
الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله
قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط
بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا ايها الذين
آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وفي الحديث
رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل
ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت

اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده
فكأنه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا
وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن
ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها
يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة
اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون
ما امر الله اي امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت
لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون
به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا
قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد و
الندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا
عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد
المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات
وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح
الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك
واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
من الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي
اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس
والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها
لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم
وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه
مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار عسى ربكم اطماع من الله
لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة

ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يوم نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أمن ياتي آمنا يوم القيمة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واغلظ عليهم واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين لاقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب ووصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكاملة فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين

بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبين غيرهم الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يتنافس فيه الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان يكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره وسماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله احكم واسلم من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا والله سبحانه اعلم

سورة الملك مكية

وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل شيء قدير وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا والحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما يقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمى هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمرادات انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق قال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير واكرر بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في مثل

دهديين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء الدنيا الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم بمصابيح والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وجعلناها رجوما للشياطين وضمنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومنه قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم لقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير الم ياتكم توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الا ياتكم نذيرا ووصف منذريهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول اراد وحكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او اراد بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم عليهم وكان من كان من هؤلاء

فهو من الحين لا محالة وعن قتادة ليس من الصحابة رضي الله عنهم اليوم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير فبعدا لهم اسحقا وسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل اي فبعدوا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوي عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك. قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جبالها وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالياء والتاء كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الاصل في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور ام من يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان

لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على المعاصي فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض واليه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكابة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة وتاملها قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والاخذ بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين فان قلت لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى اياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر والله اعلم

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم
واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسماً للدواة من ان يكون جنساً او علماً فان كان
جنساً فاين الاعراب والتنوين وان كان علماً فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت
هو مقسم به وجب ان كان جنساً ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم
وان كان علماً ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت قلت اما ان يراد
نون من النينان او يجعل علماً للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة مثل ذلك واقسم
بالقلم تعظيماً له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف
وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل وما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون
الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة **ما انت بنعمة
ربك بمجنون** فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفياً كما يتعلق بعاقل مثبتاً في قولك انت
بنعمة الله عاقل مستوياً في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمراً وما ضرب زيد عمراً تعمل الفعل مثبتاً
ومنفياً اعمالاً واحداً ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعماً عليك بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله
لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسداً وانه من انعام الله عليه بحصافة
العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمعزل **وان لك** على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه
لاجراً لثواباً **غير ممنون** غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال **وانك لعلى خلق عظيم** استعظم خلقه لفرط احتماله
الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون **فستبصر ويبصرون بايكم المفتون** المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون
او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود
اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم المجنون افبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم
وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غداً من الكذاب الاشر **ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله** بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله **وهو اعلم بالمهتدين**
اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيداً ووعداً وانه اعلم بجزاء الفريقين **فلا تطع المكذبين** تهييج والتهاب للتصميم
على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم **ودوا لو تدهن** لو تلين وتسامح
فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل
خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف
ودوا لو تدهن فيدهنوا **ولا تطع كل حلاف** كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله
قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم **مهين** من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز او اراد الكذاب

لانه حقير عند الناس **هماز** عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس **مشاء بنميم**
مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني
بعض العرب شعر تشببي تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمة **مناع للخير** بخيل والخير المال او مناع اهله
الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي وكان
موسراً وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه
انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة
ولذلك قيل زنيم **معتد** مجاوز في الظلم حده **اثيم** كثير الآثام **عتل** غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة **بعد ذلك** بعدما عد له من المثالب والنقائص **زنيم** دعي قال حسان **شعر** وانت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه
قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين
آمنوا وعن الحسن عتل رفعاً على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي
الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله **ان كان ذا مال وبنين**
ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب **اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين**
لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولاً مستظهراً بالبنين كذب
آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى
التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزهري
عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطاً يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط
في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر **سنسمه على الخرطوم** الوجه
اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه
الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه
فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع
منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها
وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر
الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره
بهذه الشتيمة في الدارين جميعاً فلا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده
على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب ولانها تطير في الخياشيم
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون انا بلونا اهل مكة
بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه
الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطأه المنجل وما

اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شى كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بنى اسرائيل مصبحين داخلين فى الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمى استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وطاف عليها طائف بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اى احترقت فاسودت وقيل النهار اى يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شى من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اى فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرا ابن مسعود بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه اى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك هنا وغدوا على حرد قادرين الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اى قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا فى بديهة وصولهم انا لضالون اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطنى من سطات مالك ومنه قوله امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين قالوا

سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كانهم كانوا يتوانون فى الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين ثم اعترفوا بانهم طغوا فى منع المعروف وترك الاستثناء ويتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود بلغنى انهم تابوا واخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا افنجعل المسلمين كالمجرمين كانت صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون فى ذلك الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون اى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح وتخير الشى واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد فان قلت بم يتعلق الى يوم القيامة قلت بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرا الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم اى بذلك الحكم زعيم اى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فلياتوا بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم يعنى ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون الكشف عن الساق

والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن
في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم
يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل
في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن
عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعنى يشتد
امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق
مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فان قلت لم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر
خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن
ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان
ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل
والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ
تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا
وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن
ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث
وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا
وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا
لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا
به فذرني ومن يكذب بهذا الحديث يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا
به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن
فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله
العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من
الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم
واملي لهم ان كيدي متين واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر
احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك
وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر
وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلاك ووصفه
بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة اي لم تطلب
منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب
اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم

ولا

ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء
اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه
حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته
لنبذ بالعراء وهو مذموم وقرأ الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان
زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه
بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على
خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ
رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه و
هدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه
وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان مخففة من الثقيلة و
اللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وازلقه
وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون
العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد
يأكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام
وقيل كانت العين في بني اسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله
الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم
رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اي القرآن لم يملكوا
انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا
فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر للعالمين وما هو الا ذكر وموعظة
للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب
الذين حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية اثنى وخمسون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة الحاقة الساعة
الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب
والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل
الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما
لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم
لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما
قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام
كذبت ثمود وعاد بالقارعة القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار
والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة

زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم **فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية** بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذلك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر **واما عاد فاهلكوا بريح صرصر** والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل البارد من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها **عاتية** شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح عتت يوم عاد على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما** الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء **فترى القوم فيها صرعى** ان كنت حاضرا مهابها او في الليالي والايام **كانهم اعجاز نخل خاوية** وترى اعجاز نخيل **فهل ترى لهم من باقية** من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان **وجاء فرعون ومن قبله** يريد ومن عنده من اتباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه ويعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه **والمؤتفكات** قرى قوم لوط **بالخاطئة** بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم **فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية** شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو في اموال الناس **انا لما طغى الماء حملناكم** حملنا آباءكم **في الجارية** في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم **لنجعلها** الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكافرين **لكم تذكرة** عظة وعبرة **وتعيها اذن واعية** من شأنها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي عليه السلام عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى **فان قلت** لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير **قلت** للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملأوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد **فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة** وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور **فان قلت** هما نفختان فلم قيل واحدة **قلت** معناه انها لا تثنى في وقتها **فان قلت** فاي النفختين هي **قلت** الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية **فان قلت** اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية **قلت** جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفخات والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته **وحملت الارض والجبال** ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف الحمل وتشديده على ان يكون احد الثلاثة **فدكتا دكة واحدة** فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا افترش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان **فيومئذ وقعت الواقعة** فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة **فان قلت** ما الفرق بين قوله **والملك** وبين ان يقال والملائكة **قلت** الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة **على ارجائها** على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم أثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون **يومئذ تعرضون** العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وروي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله **لا تخفى** منكم سريرة وكان تخفى في الدنيا بستر الله عليكم **فاما** تفصيل للعرض **من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه** ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان

بغير هاء قرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارها قريبة من مريدها ينالها القاعد والنائم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فيقال لهم كلوا واشربوا ﴿هَنِيئًا﴾ اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا﴾ الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ اي القاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ اي اغنى نفي والمستفهم على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطاني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسره الملقب بالعضد انه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ فادخلوه فالسلك ان يلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة الاعلى تراخي المدة ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ انه تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل شعر اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حثهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل ﴿لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس

وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ﴿إِنَّهُ﴾ ان هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة عند الله ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تتذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم ﴿تَنزِيلٌ﴾ هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقرأ ابو السمال تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى

يدعون فيها بكل فاكهة آمنين عن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سايل وهو
على وجهين اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان
ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب
فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن
معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب
واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم
وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع اي
واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه
وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين
الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة
على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فاصبر صبرا جميلا فان قلت بم تعلق قوله فاصبر قلت بسال
سايل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي
وذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل
على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سايل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد
شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم
القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن
الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في يرونه
للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا
هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه يوم تكون
السماء كالمهل نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون
السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة
في تلونها وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأله بكيف حالك
ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم
من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال
لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت
هو كلام مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا
من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين
ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ

قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ بعذاب لانه في معنى تعذيب ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم
التي تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ينجيه عطف على يفتدي
اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده
وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه
الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب
ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه
في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص
للتهويل للشوى تدعو مجاز عن احضارهم كانما تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو
الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم
وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك
قال دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فاوعى فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة
والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه
وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به
ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع
واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثار الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه
امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به
هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره
وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن آدم شح هالع
وجبن خالع الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون
قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على اداتها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ
الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع
الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها والذين في اموالهم حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او
صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال
فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مأمون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ

فى الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغى ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم
على صلاتهم يحافظون اولئك فى جنات مكرمون قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات
وخصها من بينها ابانة لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى زيها تضييعها وابطالها فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا
حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزءون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت
مهطعين مسرعين نحوك مادين اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة
كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل
شتى عزينا وقيل كان المستهزءون خمسة ارهط ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا ردع لهم
عن طمعهم فى دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة انا خلقناهم مما يعلمون
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا
كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون
وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون فى دخول الجنة فان قلت
من اى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم
فى مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اى من النطف وبالقدرة على ان يهلكهم ويبدل ناسا خيرا
منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شئ والغرض ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد
انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا
بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا
خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع
ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب فيخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار
والادغام ونصب ونصب كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون
الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون سورة نوح مكية وهى ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر لو كنتم تعلمون ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهى ان الناصبة للفعل والمعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرا
ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا نحو ان انذر فى الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره
بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا

على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا
تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا
الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتاخير قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا دائبا من
غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلم يزدهم دعائى جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار
والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا وانى كلما
دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون اقبح
لاعراضهم عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم
ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم واصروا الاصرار من اصر الحمار على العانة
اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها واستكبروا استكبارا
واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم انى دعوتهم
جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا
ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه الصلاة والسلام كما
يفعل الذى يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم
تقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من
الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه
الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة
لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدرا فى موضع الحال اى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا امرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع فى نفوسهم واحب
اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى
تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وروى سبعين وكلهم
انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما
رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى
لا تخطى وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع
ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار
فتلا له الآية يرسل السماء عليكم مدرارا والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد
السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر
والمؤنث كقولهم رجل او امراة معطار ومتفال ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون

فيما نعظّم الله ايّاكم في دار الثواب ولله بيان للموقّر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله **وقد خلقكم اطوارا** في موضع
الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم
اولا ترابا ثم خلقكم نطفة ثم خلقكم علقة ثم خلقكم مضغة ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشأكم خلقا آخر او لا
تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة
وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا نبّههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب
منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوّي فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من
السموات والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق
فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس
والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض **وجعل الشمس سراجا** يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر
اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور **والله انبتكم من الارض نباتا** استعير الانبات من
الانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة دلالة على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة
حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم
نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم **ثم يعيدكم فيها** مقبورين
ويخرجكم اخراجا ثم يخرجكم يوم القيامة واكّده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة **والله جعل لكم الارض بساطا**
جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** واسعة منفجة **قال
نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** واتبعوا رؤساءهم المقدمين من اصحاب الاموال
والاولاد واتبعوا ما رسم لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة
ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتشبيها
بالماله سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها **ومكروا** معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه
في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم
عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح **مكرا كبارا** قرئ بالتخفيف والتثقيل وهو
الكبير والكبار ابلغ من الكبار ونحوه طوال وطوّال **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** كأن هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم
لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق
لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ودّ وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا
فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم
وقيل كان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
وقرئ ودّا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا
منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما

منصرفات ودّا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج **وقد اضلوا كثيرا** الضمير
للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا اول من اضلوهم
او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن
كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب انهم
عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال
لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة
وصلّ في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته
قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل
يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا **مما
خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا** تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار
الا من اجل خطيئاتهم واكّد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها
مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم
كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه
ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم
وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب
لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته
السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير
النار اما لتعظيمها او لان الله اعدّ لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا** تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم
يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
**وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا** ديار من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال
من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا فان قلت بم علم ان اولادهم
يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وعرفهم واطلع على
طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت
الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى لا يلدوا الا
فاجرا كفارا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه لقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه
رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين
ابن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما وحاما **ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات** بيتي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا فان قلت ما ذنب صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب

ولكن لا يموتون بالانواع من اسباب الهلاك وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء
والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون وعنه عليه السلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى
وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم
وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن
مكية وهي ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازنت واذا الرسل اقتت
وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة وإعاء اخيه
وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل
عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد
وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عدداً وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم
حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعاً مباينا لسائر الكتب
في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز والعجب مصدر وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج
عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان فآمنا به الضمير في به
للقرآن ولما كان الايمان به ايماناً بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن
نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى
جد ربنا جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر كان الرجل منا اذا قرأ البقرة
وآل عمران جد فينا اي عظم وقرئ في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان
الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته
او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته
وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وكأنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ
فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان
يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم
وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة
والولد الى الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن
يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا
قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع
تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب

كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد
الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس
رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وان الانس
وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي
والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف فالمعنى طلبنا بلوغ السماء او خبرها وكلها
الى نسب في توجيه غير واضح يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه
باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى
الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شداد ونحوه اخشى رجيلا او ركبا غاديا لان الرجل
والركب مفردان في معنى الرجالة والركاب وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين
يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعاجيا عا
يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قيل كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت
قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث
وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم شعر والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض
الكوكب وقال اوس بن حجر شعر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع شعر
يرد علينا العير من دون انفه او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الجن والانس ومنع الاستراق اصلا
وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد
امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين رضي الله عنهما عن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد
اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في
البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا
الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او
توفيق وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله
وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد غير الصالحين كنا
طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا
مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا

على حذف المضاف الذي هو الطرائق اي ذوي اقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع
ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ
هَرَبًا في الارض وهربا حال اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه
في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من
احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا
ينجي عنه مهرب وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا لما سمعنا الهدى
هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر
دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجب
ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك وكان فيه تقوية
وكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي بخسا
ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس لاحد حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على
ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم
ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم ذلة وَأَنَّا مِنَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا
القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول فيّ قال
قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني
ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا
ان الله تعالى اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب و
موجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ان مخففة من
الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم
الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لَأَسْقَيْنَاهُم
مَّاءً غَدَقًا لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل
المعاش وسعة الرزق لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه
وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم
اثما او لنعذبهم في كفران النعمة وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يَسْلُكْهُ
عَذَابًا صَعَدًا يسلكه وقرئ نسلكه بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله
ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه
معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يصعد صعدا وصعودا فوصف
به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة
النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وان المساجد من جملة الموحى

وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد
لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه
قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى
اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد
اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة
والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهي السجود وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ عبد الله
النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله
فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل ولان المعنى ان عبادة عبد الله
لله ليس بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام عبد الله يدعوه قام يعبده يريد قيامه
لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا اي يزدحمون عليه متراكمين
تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم
يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسول الله يعبد الله وحده مخالفا المشركين في عبادتهم
الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع
لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد
كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا
اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قَالَ المتظاهرين عليه إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي
يريد ما آتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي
وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي لله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه
انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ
وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه
قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم
على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل والا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن
يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا
من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله
المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون
حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به
وقيل الا في معنى ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك
لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي
ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا بلاغا عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني

قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هو بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي
فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من حتى اذا رأوا ما يوعدون فان قلت بم تعلق حتى وجعل
ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون
عدده حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ من اضعف
ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم
لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي
امدا قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد
ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من المصلحة فان قلت
ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له
غاية عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات
لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالا
طلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط فانه
يسلك من بين يديه فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة
يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك
ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع
على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر
العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم
والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل
وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا
محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدا وكذب به عتق رقبة سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا
قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها
بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم
فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا
في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم
كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب
ونحوه سعدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل وقد ذمه
بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف
للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا
على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما
في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي
فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحالته التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن
عائشة انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت
ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة
وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل عليه السلام يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله
احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين
فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف
الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين
ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان
تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة
الى الكل وان شئت قلت لما كان قم الليل الا قليلا نصفه راجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه
قيل قم اقل من نصف الليل اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف
وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع او قم انقص من ذلك الاقل
او زد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته
به ان يجعل نصف الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون
تخييرا بين النصف والثلث والربع فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة ان الله جعله تطوعا بعد ان كان
فريضة وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة
وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل
حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار
ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية ورتل القرآن ترتيلا ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة
بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان
لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو
في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا
لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي

هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها
امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة
الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه
ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رايته ينزل عليه
الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين
وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف **ان ناشئة الليل هي اشد وطا** ناشئة الليل النفس الناشئة
بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض
قال نشانا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشا اذا
قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل
اتقولين قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشا بالليل
اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي
ابن الحسين رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة
الليل هي اشد وطا هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ فيها
قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية
الخلائق وقرئ اشد وطا بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار
من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على مضر **واقوم قيلا** واسد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات
وعن انس انه قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وروى ابو زيد
الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرا فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو فجاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا
واحد **ان لك في النهار سبحا طويلا** سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك
بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر
اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو
ان الليل اعون على المواطاة واسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم
من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك و
تصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه **واذكر اسم ربك**
ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير
وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة القرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغرق به ساعات ليله ونهاره **وتبتل اليه تبتيلا** وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان
تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل **رب المشرق والمغرب لا اله الا
هو فاتخذه وكيلا** رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس
على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل لانه هو وحده

هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار **و
اصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا** الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن
المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان
قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف **وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا** اذا عرف
الرجل من صاحبه انه مستاهل للخطب يريد ان يكافئه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مطيق بذلك مقتدر
عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه
فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض
كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور في خلد المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام
وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه **ان لدينا انكالا
وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما** ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن
الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة
وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى
موكولا اليه امرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الا شتام وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال
ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني
ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق **يوم ترجف الارض والجبال وكانت
الجبال كثيبا مهيلا** يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل
المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة شعر
اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا
وبيلا** الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر
الرسول ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف
اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلا وبيل وخيم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا
الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم **فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به**
يوما مفعول به اي فكيف تقون انفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون
ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون
الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه
الشيب قال ابو الطيب شعر والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض
الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة والجنة

والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فقيل هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول
وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها و
احكامها تتفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف
او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم
وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه
كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده مفعولا وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان
يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة
موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ
السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه و
ثلثه ادنى من ثلثي الليل اقل منهما واستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل
ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم
النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث
وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو
ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين
معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار
ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله فان تقديم اسمه جل وعلا مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى
الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر
اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع
للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب
عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب فاقرءوا ما
تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها
كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول
ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها فقيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة
لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي
تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين
والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ
واقيموا الصلوة يعني المفروضة وآتوا الزكوة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت
بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم

من خير واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد به سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج
اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير
مما يتعلق بالنفس والمال تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم خيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعارف لامتناعه
من حرف التعريف وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر المدثر
لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الانصار شعار
والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء
فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا ونظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم
فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان
اسمعوه وآذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل
قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى
فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر وروي
انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير
الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات
لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا
وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل
هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل و
الاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومداني الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان
ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد
في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار
الطهر في كل شيء والرجز فاهجر والرجز بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها
من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر وقرئ ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب الحال
اي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان
يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما
ان يكون نهيا خاصا برسول الله لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم
له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه

على انه من المن فى قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطى ان يستكثره اى يراه كثيرا
ويعتد به وان ذلك بتنوين بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر بحال الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجرى
احضر الوغى وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز فى الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روى احضر الوغى
بالرفع **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعى على عطيتك
كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم
كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ
يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** والفاء فى قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين
ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء فى فذلك للجزاء **فان قلت** بما انتصب
اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير **قلت** انتصب بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر
على الكافرين والذى اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة
ياتى ويقع حين ينقر فى الناقور واختلف فى انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا
من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير **فان قلت** فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه **قلت**
لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد
الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير
العسير من امور الدنيا **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** وحيدا حال من الله على معنيين احدهما ذرنى وحدى معه
فانا اجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم والثانى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او حال من المخلوق على معنى
خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت فى الوليد بن
المغيرة المخزومى وكان يلقب بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير
له عن الغرض الذى كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا
الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزا
بدينه **وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا** ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل
كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان
بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف
وعن ابن جريج غلة شهر بشهر **وَبَنِينَ شُهُودًا** شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف فى عمل وتجارة لانهم
مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم
وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه
المجامع والمحافل او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة
كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام و
عمارة **وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا** وبسطت له الجاه العريض والرياسة فى قومه فاتممت عليه نعمتى الجاه والمال
واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه و
الحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش **ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ**

أَزِيدَ ثم يطمع استنكار واستبعاد لطمعه وحرصه يعنى انه لا مزيد على ما اوتى سعة وكثرة وقيل انه كان يقول
ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى **كَلَّا** ردع له وقطع لرجائه وطمعه **إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عَنِيدًا** تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك
نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول الآية فى نقصان من ماله حتى هلك **سَأُرْهِقُهُ
صَعُودًا** ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله
عليه وآله وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله
ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه
كذلك ابدا **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ** انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز فى الدنيا بما فعل ويعاقبه فى الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته
واقصاه فى تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه
ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من
قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله وهياه
فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذى كان ينتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة
الاستهزاء به او هى حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى
قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه
حاسده بذلك روى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله
الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى
شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو
ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثر
عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر فى وجوه الناس ثم قطب فى
ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمى بها وصف اشكاله التى تشكل
ملحقا استنبطها استنباطا استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول
وقيل قطب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر
والدعاء اعتراض بينهما **فان قلت** ما معنى ثم الداخلة فى تكرير الدعاء **قلت** الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من
الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى ثلاث تحيات وان لم تكلمى **فان قلت** فما معنى المتوسطة بين الافعال
التى بعدها **قلت** الدلالة على انه قد تانى فى التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت**
فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت** لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها
من غير تلبث **فان قلت** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين **قلت** لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد

حق المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لا تبقي شيئا يلقى
فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة
لواحة للبشر لواحة من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد
سوادا من الليل والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل
نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين
وأيمن وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا جعلهم
ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم
ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد
منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق
وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي
بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم
أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشدين أسيد بن كلدة
الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم
رجالا من جنسكم يطاقون فإن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة
إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما
العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا
عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد
العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة
كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان
أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا
لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك فإن قلت لم قال
ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لأنه إذا جمع لهم
إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال
ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون و
السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يجمون في مستقبل
الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات
بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم
شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فإن قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين
والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا

فأدت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا ألا ترى إلى قولك خرجت من البلد مخافة الشر فقد جعلت
المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فإن قلت لم سموه مثلا
قلت هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا
له والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم
إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء الكاف في كذلك نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك
المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه
المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه
فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها
على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة إلا هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة
في أعداد السماوات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات
والصلوات في الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن في هذا العدد
الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل ما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب
النار إلى قوله إلا هو اعتراض وقوله وما هي إلا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها إلا تذكرة
للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر
نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم
لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس
الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذ أدبر إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو تعليل لكلا
والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتاء التأنيث فكما جمعت فعلة على فعل جمعت
فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لإحدى
البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال
وهي إحدى النساء ونذيرا تمييز من إحدى على معنى إنها لإحدى الدواهي إنذارا كما تقول هي إحدى النساء عفافا
وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع
خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن
توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق
إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها
منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤوا تقدموا ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة
رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا
بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه
بيت الحماسة أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس
رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه

بإذن الحق وعن علي عليه السلام انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس هم الملئكة
في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر يتساءلون عن المجرمين يسأل
بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف يطابق قوله ما سلككم وهو سؤال
عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول
المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين قالوا لم نك
من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي
فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين و
قد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين
جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب
كقوله ثم كان من الذين آمنوا حتى اتانا اليقين واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملئكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه
الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين فما لهم
عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ معرضين ومعرضين نصب
على الحال كقولك ما لك قائما كأنهم حمر مستنفرة مستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من
نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار فرت من قسورة والقسورة
جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة
وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في
(الركز الصوت الخفي)
اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم
بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف
الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي كانت تكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت
بها الملئكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك و
نحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية و
قيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل
الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها
واحد كأنزله ونزله كلا ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة

فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة
يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه
فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر
او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا
وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر
لمن اتقاه وقرئ تذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه
الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم
القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم
وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد
في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها
لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه
ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك
وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة
فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم
زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا
تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي
لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم في كتاب
مكنون وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده
انه في الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة
على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما
نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة و
على التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم عليه السلام لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب
القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه
على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها
في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره وحاله
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن بك او يجمع الله العظام

عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة وفيه تلويح الى معنى قوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم الآية واسامره

بلى قادرين على ان نسوي بنانه بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير
في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه
وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت
فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرين على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا
كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل
من فنون الاعمال والبسط والقبض والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان
بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب
عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان
لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر
احواله واسوء اعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا
الوعد فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر برق البصر تحير فزعا واصله من برق
الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرا ابو السمال بلق اذا انفتح و
انفرج يقال بلق الباب وابلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول
وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما
ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان يومئذ اين المفر
المفر بالفتح المصدر وبكسر الفاء المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر
لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل وغيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر
مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا
يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى
مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم بما قدم من عمل عمله واخر
وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخر فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة
حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم
آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت
لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره
ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها
معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر
لا معاذير قلت المعاذير ليست بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر لا تحرك به لسانك الخطاب للنبي
في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى
ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى
اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلام

يقرأ لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك
وقرآنه واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه
فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه
اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار
لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة كانه قال بل انتم
يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو
ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ
بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها
ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك
يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم
على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم
فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا
اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد
معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية
بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون
النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه ووجوه يومئذ باسرة والباسر الشديد
العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته
فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع عن ايثار الدنيا
على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون
الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاءت
المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء والتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت
الذي هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض
من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن
المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه
والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة
اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق
المساق اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا
ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق
بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى

ثم ذهب إلى أهله يتمطى يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه، وقيل هو من المطا وهو الظهر لأنه
يلويه، وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم، يعني كذب برسول الله صلى الله
عليه وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارا بذلك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أولى لك بمعنى ويل
لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فعدله فجعل منه من الإنسان الزوجين الصنفين الذكر والأنثى أليس ذلك الذي
أنشأ هذه الأشياء بقادر على أن يحيي الموتى بقادر على الإعادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها
قال سبحانك بلى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا
بيوم القيامة

سورة الإنسان مدنية وهي إحدى وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الإنسان حين من الدهر هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والأصل أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع
ذي الأكم فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا
مذكورا أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج والمراد بالإنسان
جنس بني آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فإن قلت ما محل لم يكن
شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على
الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي
كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك
وقعت صفات للأفراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ: طوت أحشاء مرتجة لوقت، على مشج سلالته مهين
ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة
قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم
علقة ثم مضغة نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه
كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال
فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير
يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا شاكرا وكفورا حالان
من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة السمع والعقل كان معلوما منه
أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا
كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في إما وهي قراءة حسنة والمعنى
إما شاكرا فبتوفيقنا وإما كفورا فبسوء اختياره إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ولما ذكر الفريقين أتبعهما
الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من
حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه
على صرف غير المنصرف إن الأبرار يشربون من كأس الأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن
هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر ويسمى الخمر نفسها كأسا كان مزاجها ما يمزج به كافورا
ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده عينا يشرب بها عباد الله وعينا بدل منه

وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور
وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص
فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الإلصاق آخرا قلت لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين
فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا
من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه
الله عليه أوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار
الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا على حب الطعام
أي مع اشتهائه والحاجة إليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن
عياض على حب الله وأسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول
أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار
الإسلام ولا يصرف إليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد
بن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا إنما نطعمكم على إرادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم
مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من
أخلص لله وعن عائشة أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئا
وعن مجاهد أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر إنا
نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا إنا يحتمل إن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم
وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف
بصفة أهله من الأشقياء كقولهم نهارك صائم روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل
القطران وأن يشبه في شدته وضره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع
ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر
وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة: واصطليت الحروب في كل يوم، باسل الشر قمطرير الصباح فوقاهم الله
شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ولقاهم نضرة وسرورا أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة
في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن
يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من
شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام

عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا
اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من
شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة
قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي
متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة
برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد شعر
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم
ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها لانها في
موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد
تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل
وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ
ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان يجعل
متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية
عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت
فعلام عطف وذللت قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال
من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة
قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل
القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا
كان قصيرا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا
قواريرا قواريرا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها
فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن
الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها
صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم
فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب
لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز عنها وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه
ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء واقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها
كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا سميت العين زنجبيلا
لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقال المسيب

عليّ شعر وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر عينا فيها تسمى سلسبيلا وسلسبيلا السلاسة الحدا
في الحلق ومعناه ان في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج
السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد
عزوا الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل
سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو
مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي بن ابي طالب ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة
النفس براح كأنها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا
القول بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور
وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة
اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى
من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء واذا رأيت
ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا اذا رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا اوجدت
الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف
يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا
ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا
شيئا كان وقيل تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق قرئ
عاليهم بالسكون على انه مبتدأ وخبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه
حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا
عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم
وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح
ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم
فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب
ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج
نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من
فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل
وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم تجعل في الدنان
والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك ان هذا

اى يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم **كان لكم جزاء** ما جوزيتم به على اعمالكم **وكان سعيكم مشكورا** وشكر سعيكم والشكر مجاز **انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اى وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين **فاصبر لحكم ربك** الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة **ولا تطع منهم آثما او كفورا** ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم **فان قلت** كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله آثما او كفورا **قلت** معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو **فان قلت** معنى او ولا تطع احدهما فهلا جىء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا **قلت** لو قيل ولا تطعهما جاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما على طريق الاولى **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** ودم على صلوة الفجر والعصر **ومن الليل فاسجد له** وبعض الليل فصل له او يعنى صلوة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم **وسبحه ليلا طويلا** وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه **ان هؤلاء** الكفرة **يحبون العاجلة** يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا **ويذرون وراءهم** قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤن به **يوما ثقيلا** استعير الثقل لشدته وهوله من الشىء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض **نحن خلقناهم وشددنا اسرهم** الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته **واذا شئنا** اهلكناهم و **بدلنا امثالهم تبديلا** فى شدة الاسر يعنى النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجىء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم **ان هذه تذكرة** هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة **وما تشاؤن** الطاعة **الا ان يشاء الله** بقسرهم عليها **ان الله كان عليما** باحوالهم وما يكون منهم **حكيما** حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء **فان قلت** ما محل ان يشاء الله **قلت** النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه **يدخل من يشاء فى رحمته** يدخل من يشاء وهم المؤمنون **والظالمين اعد لهم عذابا اليما** ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على اعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة

وحريرا

سورة والمرسلات مكية وهى خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت **فان قلت** ما معنى عرفا **قلت** متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر **فان قلت** قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا **قلت** ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم **فان قلت** ما العذر والنذر وبم انتصبا **قلت** هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين **انما توعدون لواقع** ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات **فاذا النجوم طمست** محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور **واذا السماء فرجت** فتحت فكانت ابوابا قال الفارجى باب الامير المبهم **واذا الجبال نسفت** نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشىء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة **واذا الرسل اقتت** قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم **لاى يوم اجلت** والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاى يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله **ليوم الفصل** بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة واجلت اخرت **وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين فان قلت** كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله ويل يومئذ للمكذبين **قلت** هو فى اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا **الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين** وقرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين

ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وتقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت معلوم قد علم الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه انطلقوا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من اللهب من حر اللهب انها ترمي بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج كانه جمالات صفر جمالات جمع جمال وجمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر على ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون كلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وتسمى سورة النبأ وهي اربعون واحدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كانه قال عن اي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم

بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمّه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ
يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر **فان قلت** قد زعمت ان الضمير
في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون **قلت** كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل
الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء
وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يسّاءلون بالادغام **كلا سيعلمون** وستعلمون
بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه
واقع لا ريب فيه **ثم كلا سيعلمون** تكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ
من الاول واشد **الم نجعل الارض** فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم
يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكاركم قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء
مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوّم عليه
تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد **والجبال اوتادا** اي ارسيناها بالجبال كما
يرسى البيت بالاوتاد **وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا** موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه
مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء **وجعلنا الليل لباسا** ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة
معاشا اي حياة في قوله **وجعلنا النهار معاشا** اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل
لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه
من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبّر ان المانوية تكذب **وبنينا فوقكم سبعا** سبع
سموات **شدادا** جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان **وجعلنا سراجا وهاجا**
متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها **وانزلنا من المعصرات** المعصرات السحاب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحائب لانه اذا كان
الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن
وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكنّ منه
فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح **قلت** الرياح هي التي
تنشئ السحاب وتدرّ اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر **فان قلت** ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث
لا المعصر يقال عصره فاعتصر **قلت** وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث **ماء ثجاجا** منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن
عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي **لنخرج
به حبا ونباتا** ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم
والحب ذو العصف والريحان **وجنات الفافا** ملتفة ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال

الاقليد انشد للحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم
الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا
وجيها **ان يوم الفصل كان ميقاتا** كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق
ينتهون اليه **يوم ينفخ في الصور** بدل من يوم الفصل او عطف بيان **فتأتون افواجا** من القبور الى الموقف امما
كل امة مع امامها وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت
عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على
صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون
السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة
من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم
وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السماء** قرئ بالتشديد والتخفيف **فكانت ابوابا**
فالمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون
تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء **وسيرت الجبال فكانت
سرابا** فكانت هباء تخيل الشمس انها شيء كالسراب لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها **ان جهنم
كانت مرصادا للطاغين مآبا** المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي
يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم
عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على
تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء **لابثين فيها احقابا**
وقرئ لبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا
يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا
حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى الحقيبة الرآب والحقب الذي وراء التصدير
وقيل الحقب ثمانون سنة **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا** ويجوز ان يراد لابثين فيها
احقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب
وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه
احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والا
منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد: فان شئت حرمت النساء سواكم ... وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

بمعنى العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم جزاء وفاقا وفاقا
وصف بالمصدر اي ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفّاقا فعّال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا كذابا تكذيبا وفعّال في باب فعّل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال
لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل
قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب
وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان
المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ
كُذّابا وهو جمع كاذب اي وكذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان
وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه كتابا وقرأ ابو السمال وكلُّ شيء احصيناه
بالرفع على الابتداء وكتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة والكتابة في معنى الضبط
والتحصيل ويكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصينا معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه وهو
اعتراض فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة
وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا
على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا
مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده حدائق الحدائق
البساتين فيها انواع الشجر المثمر واعنابا والاعناب الكروم كروما وكواعب والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن
النواهد اترابا لداتا وكاسا دهاقا والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني لا يسمعون فيها لغوا
ولا كذابا وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي عليه السلام
انه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء من ربك عطاء حسابا جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه
قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء
اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى
المدرك رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا قرئ رب والرحمن بالرفع على هو رب
السموات الرحمن او رب السموات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر
الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض
اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم
فيه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق
فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم
عند الله واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من
اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق
الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلام وهما شريطتان

ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى انا
انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر
وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه
يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة
محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت
ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص
للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي
احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون
سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا
والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح
من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع
فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اي اغراقا في النزع اي تنزع
من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها
فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق
الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك
من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام
والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف الراجفة
ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت
بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة
من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم
لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها
تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت
يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي
يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل
حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب
واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان ابصارها خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء
بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك
فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون ائنا لمردودون

في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسنانه والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة أئذا كنا عظاما نخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة فان قلت بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وعلا فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء بالساهرة على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر اي لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما يقال اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمته الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين

اربعون سنة وقيل عشرون سنة ان في ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها الخطاب لمنكري البعث يعني أانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان واغطش ليلها غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها بتفجير العيون منها بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي والجبال ارساها ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل داهية وهائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رآه وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس وهي النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير فان الجنة هي المأوى وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها

ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فيم انت فى اى شىء انت من ذكريها من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما انت من ذكرها لهم وتبيين فى وقتها فى شىء وعن عائشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى اى شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهيها اى منتهى علمها لم يؤت علمها احد من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكريها اى ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور الا عشية او ضحيها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ ان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدى على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفى ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عندك العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله فى هذا ادبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى ان الفقراء كانوا فى مجلسه امراء وما يدريك واى شىء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه الذكرى فتنفعه ذكراك اى موعظتك ويكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى انك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله

للكافر يعنى انك طمعت فى ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على تذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى تتصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء فى الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى بضم التاء اى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع فى طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة فانت عنه تلهى تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تلهى اى يلهيك شان الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اى موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ فى صحف صفة لتذكرة يعنى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة فى السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين بايدى سفرة لا يمسها الا ايدى ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح كرام بررة اتقياء وقيل هى صحف الانبياء كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الانسان دعاء عليه وهى من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ فى وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان ينتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اى شىء خلقه من اى شىء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشىء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شىء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر ثم اماته فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوانات يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا ثم اذا شاء انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعنى ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم فى نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه فلينظر الانسان الى مطعمه الذى يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن على رضى الله عنهما انى صببنا الماء بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء ثم شققنا الارض شقا شققناها بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه

سنى عصده تغلبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها
وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اى عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب
الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدى كرب يمشى بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يؤب
اى يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابى بكر انه سئل عن الاب
فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا
فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال
اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **فان قلت** فهذا يشبه النهى عن تتبع معانى القرآن والبحث عن
مشكلاته **قلت** لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشىء من العلم لا يعمل
به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة فى الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من
فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله
على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذى هو
اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه
ذلك من مشكلات القرآن **فاذا جاءت الصاخة** يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا
لان الناس يصخون لها **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه** يفر منهم لاشتغاله بما هو
مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب
واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ
لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا
وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح **لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه** يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة** مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثر
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله **ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة** غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان
ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله يجمع الى سواد وجوههم
الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه
ضاحك مستبشر **سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية والله اعلم بالصواب**

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت فى التكوير وجهان
ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهو عبارة عن ازالتها
والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب
اذا اريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوى السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اى تلقى و
تطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار **فان قلت** ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية **قلت**
بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط **واذا النجوم انكدرت**

انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى فى الشمس والنجوم انها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها
كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **واذا الجبال سيرت** اى عن وجه الارض وابعدت
او سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب **واذا العشار** والعشار جمع عشراء كالنفاس
فى جمع نفساء وهى التى اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما تكون عند اهلها
واعزها عليهم **عطلت** تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ
عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص وقيل
اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس
حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد **واذا البحار
سجرت** قرئ بالتشديد والتخفيف من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا
وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة **واذا النفوس زوجت**
قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا
ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين **واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت** وأد يئد
مقلوب من آد يؤد اذا اثقل له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية
وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر
لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى
البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت
بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته **فان قلت** ما حملهم على وأد البنات **قلت** الخوف من لحوق العار بهم
من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملئكة
بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق فى قوله
ومنا الذى منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم يوأد **فان قلت** فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به
وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها **قلت** سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى
لعيسى أانت قلت للناس اتخذونى الى قوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وقرئ سألت اى خاصمت
عن نفسها وسألت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت
لقيل قتلت او كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه
دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر
ببراءة الموؤدة من الذنب فما اقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل
بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية **واذا
الصحف نشرت** قرئ بالتشديد والتخفيف يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته
ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ماذا يملى
فى صحيفته وعن عمر انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وآله و
سلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت

وما نعلم قال إن الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل يوشك أن يؤذن نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم
وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال وإذا السماء
كشطت كشطت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف
والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور وإذا الجحيم سعرت سعرت أوقدت إيقادا
شديدا وقرئ سعّرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم وإذا الجنة أزلفت أدنيت
من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة
علمت نفس ما أحضرت وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فإن قلت كل نفس
تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت
هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك
من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي
في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن تزيد فجاء
بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده فلما
بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا أقسم بالخنس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في
آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله الجوار السيارة الكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه
قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى
تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار
فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها والليل إذا عسعس عسعس
الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس إذا أقبل
ظلامه والصبح إذا تنفس فإن قلت ما معنى تنفس الصبح قلت إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل
ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح إنه الضمير للقرآن لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام
ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة عند ذي العرش مكين لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال
عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته مطاع ثم أمين عند الله مطاع في ملائكته المقربين
يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة وما صاحبكم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام
وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم إذا وازنت بين الذكرين حين
قرن بينهما وقايست بين قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم
بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو
على الغيب وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك بظنين بمتهم من
الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه أو يسأل

تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فإن أكثر
العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة
اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج
الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان
وأصول الثنايا العليا وهي أحد الأحرف الذلقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة
قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب
فإن قلت فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين
لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم
أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة فأين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك
الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل
إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم لمن شاء منكم بدل من العالمين وإنما أبدلوا منهم
لأن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن
كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها
إلا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤونها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت فجرت فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب
بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار
فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل و
التخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله لا يبغيان لأن البغي والفجور أخوان وإذا القبور بعثرت
علمت نفس ما قدمت وأخرت بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة
إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين يا أيها
الإنسان ما غرك بربك الكريم فإن قلت معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف با
لكريم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم
يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه
وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه قلت معناه أن حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث
خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة
المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول فإنه منكر خارج من حد الحكمة
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره و
الله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولا

وهو متصل بعليه رآه آخر احق وزطه. وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك
الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاء فالاغترار بالستر وليس
باعتذار كما تظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته
ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من
قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا الذي خلقك
فسويك فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك فعدلك فصيرك معتدلا
متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض
وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف
وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك
يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت ما شاء من ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيته
وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه
فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق
بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على
الحال ان تعلق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك
اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر
والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا
تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم
الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب
عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
انه كان اذا قراها قال ما اشدها من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين
وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحيوة
التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم
الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة
وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه والامر يومئذ لله ولا امر الا لله وحده من رفع يوم فعلى
البدل من يوم الدين وعلى هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان
يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا السماء انفطرت كتب الله
له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة وهي ست و
ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم
المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس
قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا
فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم
الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن
عباس رضي الله عنه انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم
لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر
انه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق
ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار
وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا
يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول
على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى
يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله
استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم
او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر وقال
الحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك
ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا
من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل
لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط
المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين
واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما
كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا
قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين
لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم
من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم

عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين الايظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف
كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن
قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه
يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان
المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل
ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك
القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه
ما ذكرته ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب و
نبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من
اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما
كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس و
التضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته
استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملئكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة
هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين
يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين الذين
يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدا وغلب عليها وهو ان يصر
على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى
يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت
به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وامليت الالف وفخمت كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ردع عن الكسب
الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم
ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب
وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من
اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملئكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل

من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء
السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملئكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا
به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله
فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من
النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم من الادراك تعرف في وجوههم
نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء
للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه
مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا
شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما
لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا منصوب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب
وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان
يصل علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنه واذا مروا بهم يتغامزون يغامز
بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذذين بذكرهم والسخرية
منهم واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا عليهم
حافظين وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم
لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك
آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك
مرارا فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس
سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة. أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يأتي له كل مقدور ويحق ذلك. مدت من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل أمت فيه وامتد واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة. وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها. يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح. فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب. وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك. ويصلى سعيرا وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم. إنه كان في أهله مسرورا في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين. إنه ظن أن لن يحور ظن أنه لن يرجع إلى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد شعر

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي. بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن. إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد. فلا أقسم بالشفق الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين أنه البياض

وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه. والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها. والقمر إذا اتسق إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. لتركبن قرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان. طبقا عن طبق والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله طبقا عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. فإن قلت ما محل عن طبق قلت النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة. وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه. فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة. بل الذين كفروا يكذبون الذين كفروا إشارة إلى المذكورين. والله أعلم بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب. فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون إلا الذين آمنوا استثناء منقطع. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره.

سورة والسماء ذات البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء. واليوم الموعود يوم القيامة. وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا ينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم السلام. فإن قلت أين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود فان
السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على
الايمان والحاق انواع العذاب الذي يصيبهم وبانهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم
عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود
وقيل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء
ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض
الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة
قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي
فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام
فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا
فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع
وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه
ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد فاوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا
اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل لما تنبي ولا نافع ... الاغيضة فضربت وعن علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال انهم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر
قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب
الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت
له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى
فيها وهم الذين اراد الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام
فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في
الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النَّارِ بدل اشتمال من الاخدود ذَاتِ الْوَقُودِ وصف لها
بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ
عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما
يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو
منه ومعنى شهادتهم على احداث المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا
منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم
القيمة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان

كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا
بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن بها ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا
منعما يجب الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا
لان ما نقموا منه هو الحق الذي لا ينقمه الا المبطل المنهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا عدله
عذاب وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا
المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فَلَهُمْ في الآخرة عَذَابُ جَهَنَّمَ بكفرهم
وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم
في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين
اي بلوهم بالاذى على العموم والذين المؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ
البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالانتقام
والعذاب إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على
الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء
وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيدِ بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه
وعظمته فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى
قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ اي تكذيب واستيجاب
للعذاب وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل
لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به بَلْ هُوَ ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم
وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قُرْآنٌ مَجِيدٌ شريف
عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد فِي لَوْحٍ وقرأ يحيى بن يعمر
في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح مَحْفُوظٍ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ
بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة
يكون في الدنيا عشر حسنات سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ
فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق
الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم
الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما عرف

فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق
ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط
نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب فقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو اية
من ايات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرا
لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قراها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما
كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء
مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل
بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة
عين لاختطفته الشياطين فلينظر الانسان فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر الانسان بما قبله قلت وجه
اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه
قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته مم خلق استفهام
جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر
او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه
يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر
حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب
قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه الضمير للخالق
لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر
بين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله لئن كان يهدي برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير يوم تبلى منصوب
برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى
نصب الظرف بمضمر تبلى السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال
وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد شعر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله عما في السماء والطارق
فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات
الرجع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ربّاء شمّاء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل تسمية
بمصدري رجع واب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى
الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء
كالرجع في المدجنة السارية والارض ذات الصدع الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير
للقران لقول فصل فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه
ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه
ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى

ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في
قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا يعملون
المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الله واكيد كيدا وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم
الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا
امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية

وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى

سبح اسمه عز وعلا نزهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك
مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان
يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرا علي رضي الله
عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود
اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم
ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى قدر فهدى
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد
الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي
تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها
عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في
اغذيته وادويته وفي ابواب دينه ودنياه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين
لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى
احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريئا اسود ويجوز ان يكون احوى
حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله
بشره الله باعطاء اية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه
ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه
جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقراه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء
الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط اية في قراءته في
الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل
لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي
وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما
شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر وما يخفى يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة
جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه

او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء **ونيسرك لليسرى** معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة **فذكر ان نفعت الذكرى** فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع **قلت** هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون كذلك **سيذكر** سيقبل التذكرة وينتفع بها **من يخشى** الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك **ويتجنبها** ويتجنب الذكرى ويتحاماها **الاشقى** الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى** النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا **ثم لا يموت فيها ولا يحيى** وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه **قد افلح من تزكى** تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلاة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة **وذكر اسم ربه فصلى** الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحمه الله امرءا تصدق وصلى وعن علي عليه السلام انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وعلا وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد **بل تؤثرون الحيوة الدنيا** فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون **والآخرة خير وابقى** خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب **ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى** هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش **وجوه يومئذ** يومئذ اذ غشيت **خاشعة** ذليلة **عاملة ناصبة** تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها في الآخرة وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجري عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم **تصلى نارا حامية** قرئ تصلى بفتح التاء وتُصلى بضمها وتُصلّى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا **تسقى من عين آنية** متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن **ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع** الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال ابن قتيبة وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود **فان قلت** كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين **قلت** العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع **وجوه يومئذ ناعمة** ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة **لسعيها راضية** رضيت بعملها لما رات ما اداهم اليه من الكرامة والثواب **في جنة عالية** من علو المكان او المقدار **لا تسمع** يا مخاطب او الوجوه **فيها لاغية** لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء **فيها عين جارية** يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس **فيها سرر مرفوعة** مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء **واكواب موضوعة** موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا **ونمارق مصفوفة** مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح

اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابى وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او متفرقة فى المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لمن اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شىء نابت فى البرارى والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب فى اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا فى اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز والى السماء كيف رفعت كيف رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد والى الجبال كيف نصبت وكيف نصبت نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل ولا تزول والى الارض كيف سطحت وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهى مهاد للمتقلب عليها وقرا على خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه فذكر انما انت مذكر اى فلا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو فى لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الا من تولى استثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقرا ابو جعفر المدنى ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعضها او مخصوصة بفضيلة ليست

لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعدما اقسم بالليالى المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسر اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابى عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن بعضهم وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسرى تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه هل فى ذلك اى فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر اى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم فى قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعنى بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاث مائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا

واقه ذات الجبل لم يخلق مثلها فى البلاد مثل عاد فى البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اى لم يخلق الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر بالواد جابوا قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الذين طغوا في البلاد احسن الوجوه فيه ان يكون فى محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد المرصاد والمكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له فى هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اى اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فأما الانسان اذا ما ابتليه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصى فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه وقوله واما اذا ما ابتليه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الاحسان فشكور واما الاساءة فكفور قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتليه ربه وذلك ان قوله فيقول ربى اكرمن خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثانى خبرا لمبتدا واجب تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمنى بالهدية ولا تقول اهاننى ولا اكرمنى اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربى اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربى اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندى وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد

الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرونها استحقاق الكرامة من اجلها والثانى ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربى اهانن يعنى انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فاكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام فيحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة وتأكلون التراث اكلا لما اى ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعنى انهم يجمعون فى اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون وتحبون المال حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة يومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان فى جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بابى انت وامى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يومئذ يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وكذلك بين قوله يقول يا ليتني قدمت لحياتي لحياتى هذه وهى حياة الآخرة او وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان فى ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قرئ بالفتح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابى عمرو انه رجع اليها فى آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده

او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد
لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه **يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية** يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما
ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن
وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة
ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة **فان قلت** متى يقال لها ذلك **قلت** اما عند الموت واما عند البعث واما
عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله **فادخلي في عبادي** في جملة عبادي
الصالحين وانتظمي في سلكهم **وادخلي جنتي** معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرأ
ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ ابي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي
وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال
اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد اقسم سبحانه بالبلد الحرام
وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت
حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير
الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلى
رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية
والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك
ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل
ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم
تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر **فان قلت** اين نظير
قوله وانت حل في معنى الاستقبال **قلت** قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد
يقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده
كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق
مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح **فان قلت** ما المراد بوالد وما ولد **قلت** رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشأ ابيه اسمعيل وبمن ولده
وبه **فان قلت** لم نكر **قلت** للابهام المستقل بالمدح والتعجب **فان قلت** هلا قيل ومن ولد **قلت**
فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل
كل والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى
استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته وقام الخصوم في كبد بمعنى اهلكه واصله
كبده اذا اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا اي في شدة الامر وصعوبة الخطب
ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد والضمير في ايحسب
لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد
القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما
يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها
مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لن يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله
كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن
شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان
في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا
يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم
العكاظي فيقوم عليه فيقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة
لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد
جمع لابد **الم نجعل له عينين** يبصر بهما المرئيات **ولسانا** يترجم به عن ضمائره **وشفتين** يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك **وهديناه النجدين** اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين
**فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب
الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة** فلا اقتحم العقبة يعني
فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم الايمان
الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الآية
فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في
الكلام الافصح **قلت** هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى
انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا
آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما
لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان
نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال
لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال

وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى صار ذا ثروة وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن وقرئ موصدة بالواو والهمز من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها

ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف والقمر اذا تلاها اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور والنهار اذا جليها اذا جلى الشمس عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء والليل اذا يغشيها اذا يغشى الشمس فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما والسماء وما بناها والارض وما طحيها ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحيها وما سويها وليس بالوجه لقوله فالهمها لما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا

فان قلت لم نكر النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وتنكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل تقضى تقضض وسئل ابن عباس عنه فقال اتقرأ قد افلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء كذبت ثمود بطغويها الباء مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث اشقاها اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها والضمير في فقال لهم يجوز ان يقال للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فعقروها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم ربهم فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسويها الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقبيها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسويها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكهم وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي عليه السلام ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى بالجر وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق

بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وعن الكسائي بجر على اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده
بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل
امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى
وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا ﴿إن سعيكم لشتى﴾ شتى
جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره ﴿فأما من أعطى﴾ اعطى يعني حق
ماله ﴿واتقى﴾ الله فلم يعصه ﴿وصدق بالحسنى﴾ بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام
كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ واستغنى وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه
فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى ﴿وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ فسنيسره
للعسرى فنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما
طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر وفي ابي سفيان بن حرب ﴿وما يغني عنه ماله
إذا تردى﴾ وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى
في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ﴿إن علينا للهدى﴾ ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان
الشرائع ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ وقرا ابو الزبير تتلظى ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها
الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل
شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار
فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك
النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين
فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما
ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او
يتفعل من الزكاة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل
في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ﴿وما لأحد عنده
من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ الا ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد
عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع
على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في بحار ثم اضحت خلاء قفارا لا انيس الا الجآذر والظلمان
تحتك وقول القائل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له
على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ﴿ولسوف يرضى﴾ موعد بالثواب الذي
يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه

من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والضحى﴾ المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم
لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد
بالضحى النهار بيانه قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة قوله بياتا ﴿والليل إذا سجى﴾ سجى سكن وركد ظلامه وقيل
ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن
فاتر ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني
ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك
مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان
محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف
الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى
فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ بما قبله
قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من
ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع
الانبياء والرسل وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك
من الكرامات السنية ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر
باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره
وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة و
انهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء
المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك
فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف
تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء
فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام الابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من
المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي
التوكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه
وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع
الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ والمعنى من الوجود الذي
بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت
امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم
درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى
آواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ ضالا معناه
الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض

قوله الموقسة الموقسة الابل الجربى والوقس الجرب ولكل من اوى

شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد
المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرائع او فازال ضلالك عن جدك وعمك
ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على
دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة فما
بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر **ووجدك**
عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما **فاغنى** فاغناك بمال خديجة او بما افاء الله عليك من الغنائم قال
عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك **فاما اليتيم فلا تقهر** فلا تغلبه على ماله وحقه
لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي
وامي هو ما كهرني **واما السائل فلا تنهر** فالنهر الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل
ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره **واما**
بنعمة ربك فحدث التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا
ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله
البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس مثلك يقول مثل هذا يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه
الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي عليه السلام فخبر
والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله
عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك
وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله
كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا
لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة و
دعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم
والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه
قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها **ووضعنا عنك وزرك**
الذي انقض ظهرك والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل
لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع
او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره
بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك **ورفعنا لك ذكرك**
ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله
احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره
في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به **فان قلت** اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه
قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك
فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك **فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا** **فان قلت** كيف
تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله **قلت** كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر
والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل
النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا **فان قلت**
ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر **قلت** اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب
اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب **فان قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن
مسعود لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب
عسر يسرين **قلت** هذا حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه
والقول فيه انه يحتمل ان يكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس
وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان يكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية
عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون
تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد
مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني
مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال **فان قلت** فما المراد باليسرين **قلت** يجوز ان يراد بهما
ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا
ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب **فان قلت** فما معنى
هذا التنكير **قلت** التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة **فان قلت**
فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه
لن يغلب عسر يسرين **قلت** كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة
فاذا فرغت فانصب **فان قلت** فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة
ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا
يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن
فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي انه رأى
رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغال بما لا يعنيه في دينه او دنياه
من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل
دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب
بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي
وعداوته **والى ربك فارغب** فاجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي رغب

قوله فانصب الخ ما احمد على
هذا القول الاسعد ارايته في
الكلام وقد حظ بالى ان

الناس الطلب اعنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني سورة
والتين مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة وحكي أنه أهدي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم
فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وهي
سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال
لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون
جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وطور سينين وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي
البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب و
هذا البلد الأمين والبلد مكة حماها الله والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في
كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه
مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع
المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه
عليهما السلام والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد
رسول الله ومبعثه عليه الصلاة والسلام لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم في أحسن تعديل
لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم رددناه أسفل سافلين ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم
أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن
الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا
غضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته
خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك
بعد بالدين فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني
ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة و
الهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فإن قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب
للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء
لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين
هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل
ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا
كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بلى وأنا

على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية
واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة سورة اقرأ باسم ربك
مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين
على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ
فإن قلت كيف قال الذي خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الإنسان قلت هو على وجهين إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد به
أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق
فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن
التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فقيل
الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته فإن قلت لم قال من علق على الجمع
وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر
اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل
كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم
المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء
التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه
بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب
الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره
دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل أراقم قطف الخطى نيالة أقصى
المدى سود القوائم ما يجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا
إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه
أن رآه أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم
ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني إن إلى ربك الرجعى
وارد على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى
الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك أرأيت الذي ينهى وروي أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام
فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدعاء إبقاء عليهم أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت
إن كذب وتولى وروي عن أبي جهل أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي
يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا أبا الحكم فقال إن بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك

الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما تعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن **ألم يعلم بأن الله يرى** ويطلع على احواله من هداه وضلاله. وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة. **ارأيت** تكرير للتأكيد. ومفعولا أرأيت محذوفان تقديره ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي ارأيته ان كان على الهدى ... فان قلت ما متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون ألم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك أتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال **لئن لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية** لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب

قوم اذا سمعوا الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره او سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة **ناصية كاذبة خاطئة** بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم انهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم إمسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا **كلا** ردع لابي جهل **لا تطعه** اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين **واسجد** ودم على سجودك يريد الصلاة **واقترب** وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله. **سورة القدر** مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر عظم القرآن بثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته وتتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر

الليالي **وما ادراك ما ليلة القدر** يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها **ليلة القدر خير من الف شهر** تبيين لما له من الفضل بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكر من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد **تنزل الملائكة والروح** تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة **فيها باذن ربهم من كل امر** من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان **سلام هي حتى مطلع الفجر** قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع الفجر بكسر اللام. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر. **سورة البينة** مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة كان الكفار من الفريقين وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الباطل الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة ويجوز ان يراد بالبينة القرآن او لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول من الله جبريل عليه السلام وهو الوحي الى الصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي نسبه ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي قلت اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة** وما امروا يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا

وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد جمع جيد وطياب في جمع طيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا

زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بأن ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء

وحجارة في حجم العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابن يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من ذهبهم وجواهرهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضائعا ونحوه قوله وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل شعر

ورجلة يضربون البيض عن عرض ضربا تواصت به الابطال سجيلا

وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ شبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت لم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولهم آلفت المكان أولفته إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الأوارك وقرئ لإلاف قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بإطعام وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون

وقرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يترك

ويجفو

ويجفو ولا يحض ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم فإن قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن المراد به الجنس فإن قلت أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون فإن قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود الماعون الزكاة قال الراعي قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالنون وفي حديثه عليه السلام وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال ... كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجه الله وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان إِنَّ شَانِئَكَ ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هُوَ الْأَبْتَرُ لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا أعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على المضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل البعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد

قوله ... انتم عابدون الخ وهذا الجواب ضعيف ويمكن ان يقال انه انما قال ما اعبد ليكون ... بدل على الغير ...

الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه أَفْوَاجًا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال عليه الصلوة والسلام اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك وفضله لديه روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة انه كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وَاسْتَغْفِرْهُ والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل الامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك

يا عمر قال نعيت اليك نفسك قال اني لاراها كما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة عليها السلام فقال يا ابنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع **انه كان توابا** اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته لقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا فقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت **فان قلت** لم كناه والتكنية تكرمة **قلت** فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان يبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم **ما اغنى عنه ماله وما كسب** ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه

وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد** سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد وهو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ... ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلدا او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ... ام ما تعيير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجد غرتها ... كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله وجرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له **فان قلت** ما محل هو **قلت** الرفع على الابتداء والخبر الجملة **فان قلت** فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع **قلت** حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين **الله الصمد** والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون

عنه والنفي عنهم **لم يلد** لانه لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة **ولم يولد** لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم **ولم يكن له كفوا احد** ولم يكافئه احد اى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوى على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله ولم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربى الفصيح ان يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفى المكافاة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القران كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى انس وابى عن النبى صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعنى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال عليه الصلاة والسلام وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهى ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالى اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره **من شر ما خلق** من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله فى الموات من انواع الضرر كالاحراق فى النار والقتل فى السم **ومن شر غاسق اذا وقب** والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين

فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله ليصدروا اشتاتا ليروا اعمالهم. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة شعر: والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا. وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اى ضابحات **فالموريات** تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها **قدحا** قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا **فالمغيرات** تغير على العدو **صبحا** فى وقت الصبح **فاثرن به نقعا** فهيجن بذلك الوقت غبارا **فوسطن به** بذلك الوقت او بالنقع **جمعا** اى وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد: فمتى ينقع صراخ صادق. اى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ففسرتها بالخيل فذهب الى على رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على راسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن **ان الانسان لربه لكنود** الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها فى جنب نعمة الله قليلة ضئيلة **وانه** وان الانسان **على ذلك** على كنوده **لشهيد** يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد **وانه لحب الخير لشديد** الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة: ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد. يعنى وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله تعالى وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض **افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور**

بُعثر بُعث وقرئ بُحثر وبُحث وبَعثر وبَحثر على بنائهما للفاعل وحُصِل بالتخفيف وهو حَصَل بمعنى جُمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل مُيّز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبرته بهم وقرئ أنّ بالفتح وإسقاط اللام ربهم بهم يومئذ خبير. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر لما حضرته الوفاة إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف فأمه هاوية من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا أي فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه هاوية في التفسير الأول أو ضمير هاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد أو يزور القبرا وقال جرير زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوارها وقرئ أألهاكم على الاستفهام الذي معناه

التقريع كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول المطلع وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه أيضا وقال كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بطلبها همتكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة فإن قلت لم استكرهت والواو المضموم ما قبلها تهمز قياسا مطردا قلت ذلك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لتُرون ولتُرونها على البناء للمفعول عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فإن قلت ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس والخسر والخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة

وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا و الوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي جمع مالا وعدده بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمّع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا بمعنى ضنوا يحسب ان ماله اخلده اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه في الحطمة في النار التي من شأنها ان تحطم كل من يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها انها عليهم مؤصدة مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب ... ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره

امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخوله في الظلام ومنه وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه ومن شر النفاثات في العقد النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله تعالى قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يشعر به فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلا حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مدنية وقيل مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس

بيانا له بان الناس ... رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس ولما
اله الناس فانه خاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت
لان عطف البيان للبيان وكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فبالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او
اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي الخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر
كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس
في محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس
على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن
وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق
على الجنة واستدل بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من
الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة
القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع كما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة
والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما قال المصنف رحمه الله وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة
التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يثلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسبوق
بالقسم والتمس واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ورفع اليد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو ...
في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما قبيت به من مهاجري اليه ومعاودتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على ... من
التوى وتخلي عن الحظوظ ... من كتبه المستقيم وقرآنه المجيد وبالنعت من كد اليمين وعرق الجبين في عمل الكتاب من ...
المخلص عن مضايق المطالع على غوامض البحث في مداحض الفكر لنكته ولطائف نظمه المنقح عن ... المكتنز
بالفوايد المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط لابكاره من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الخالي عن الفضول وتجنب المستنكر
الممل ولو لم يكن في معونه الا ايراد كل ... على قانونه لكفى بفضائله ... محققة الاتحاد وجوهرة يتمنى ... عليها ...
البحار وما ... ويجدد ولتختص بركاته ويوحدني من ارتفاع على يدي ... ومنزل آياته
وسورة من البلد الامين بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى يقع التأويل حيث يجد التنزيل
ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عني ... يوم التناد ولا يفضحني بها على رؤوس
الاشهاد ويحلني دار المقامة بفضله بوابح طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين اجمعين قال المصنف في آخر نسخته ...
هي النسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد ... الكتاب ... المباركة المسمى بها ...
بان ... بها بركات السماء ... التنبيه ...
جامع دار السلطنة التي على بابها جياد الصلاة ... يوم الاثنين الثالث والعشرين
من ربيع الآخر سنة ٧٢٨ حامدا لله على ايادي كرمه ومصليا على محمد ... وصحبه
وعلى آله واصحابه اجمعين تمت